

عبد الرحمن البرنوقى

الذخائر والعقبات  
مُعْجَمٌ مُتَقَاتِفٌ مُجَامِعٌ

الجزء الثانى

مكتبة الثقافة الدينية  
٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر  
القاهرة/ ت: ٩٣٦٢٧٧ - ٩٢٢٦٢٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَضَهُ سِجَانَهُ فَتَسْمَدُ الْعَوْدَ وَالتَّوْفِيقَ

فَهُوَ الْمُسَدَّدُ إِلَى سِوَاءِ الطَّرِيقِ

«وبعد» فَإِنَّا نَفْتَحُ هَذَا الْجُزْءَ الثَّانِيَّ مِنَ «الذِّخَائِرِ وَالْعَبَقِيَّاتِ» بِصَدِّ  
مِنْ عَبَقِيَّاتِهِمْ فِي أَكْثَرِ الْمَعَانِي الَّتِي أوردنا ما أوردنا مِنْ عَبَقِيَّاتِهِمْ فِيهَا ، فِي  
أَبْوَابِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ نَفْتَحَ هَذَا الْجُزْءَ بِسَائِرِ عَبَقِيَّاتِهِمْ  
فِي التَّعَاذِي ، وَفِي الْمَرَضِ ، يَبْدَأُ أَنَا قَدْ اسْتَحْسَنَّا أَنْ نُصَدِّرَ هَذَا الْجُزْءَ الثَّانِيَّ  
بِطَائِفَةٍ مِنْ عَبَقِيَّاتِهِمْ فِي مَعَانِي شَتَّى تَنْدَرِجُ فِي الْأَبْوَابِ السَّابِقَةِ ، وَذَلِكَ  
لِأَمْرَيْنِ : أَمَّا أَوْلَاهُمَا فَلَأَنَّ فِي هَذَا الصَّنِيعِ مُبَادَرَةً بِاسْتِدْرَاكِ مَا قَدْ كَانَ يَصْحُحُ  
إِيرَادُهُ هُنَا ، وَأَمَّا الْآخَرُ : فَذَلِكَ لِأَنَّا لَمْ نَسْتَحْسِنْ أَنْ نَفْجَأَ الْمُتَصَفِّحَ لِهَذَا  
الْجُزْءِ بِمَا عَسَى أَنْ يُفْرِغَهُ وَيَنْفِرَ مِنْهُ ، وَتَنْقَبِضَ نَفْسُهُ عَنْهُ ، عَلَى أَنْ هَذِهِ  
الْعَبَقِيَّاتِ وَإِنْ جَاءَتْ فِي الْبَيْنِ وَقَصَلَتْ بَيْنَ عَبَقِيَّاتِ الْبَابِ الثَّلَاثِ غَيْرِ  
أَنَّهَا جَاءَتْ كَالدُّرَّةِ الْفَرِيدَةِ تَفْصِلُ بَيْنَ ذَهَبِ الْقِلَادَةِ ؛ إِلَى مَا فِي ذَلِكَ مِنْ  
اسْتِرَاحَةٍ لِلْقَارِئِ وَتَثْقُلٍ بِهِ مِنْ مَعَانِي قَدْ تَكَثَّرْنَا مِنْهَا إِلَى مَعَانِي أُخْرَى قَدْ  
يَسْتَرْجِحُ إِلَى جِدَّتِهَا ؛ وَبَعْدَ أَنْ نَفْرُغَ مِنْ هَذِهِ الْعَبَقِيَّاتِ نَعْطِفُ عَلَى عَبَقِيَّاتِهِمْ  
فِي التَّعَاذِي ، وَفِي الْمَرَضِ ، وَقَانَا اللَّهُ جَمِيعًا بِحُجَّتِهِ ، وَخَفَّفَ - إِذَا هُوَ قُدِّرَ  
عَلَيْنَا - وَطَأَّتَهُ .

# غـبـقـريـات شـتـى

تندرج في الأبواب السابقة

\*\*\*

## سمو أخلاق الخلفاء الراشدين

ومما يُؤثر في باب حسن الخلق ما حدّث به العُتبيّ<sup>(١)</sup> في إسناد ذكره قال: دعا طلحةُ بنُ عبيد الله أبا بكر وعمر وعثمانَ رَحْمَةً اللهُ عليهم، فأبطأ الغلامُ - الخادم - عنه بشيءٍ أراده، فقال طلحةُ: يا غلام، فقال الغلام: كَيْبِكَ، فقال طلحةُ: لا لِيَيْكَ؛ فقال أبو بكر: ما يسُرني أني قُلتها وأن لي الدنيا وما فيها، وقال عمر: ما يسُرني أني قُلتها وأن لي نصفَ الدنيا، وقال عثمان: ما يسُرني أني قُلتها وأن لي حُمْرَ النّعم<sup>(٢)</sup>؛ قال العُتبيّ: وصمّتَ عليها أبو محمد - هو طلحة - فلما خرّجوا من عنده باع ضيعةً بخمسة عشر ألفَ درهم، فتصدّقَ بِشَمَنِها ... فهل رأيتَ أو سمِعتَ بمثل هذا الأدب العُلويّ الرّبانيّ! وأنت إذا نظرت إلى هذا الحديث من أيّ أقطاره رأيتَ أدباً باسِقاً وخُلُقاً سامياً! فهذا الصّدّيقُ رضِيَ اللهُ عنه يُسكّر في كِياسَة وأدب قولةً

---

(١) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله ... بن عتبة بن أبي سفيان: شاعر أديب راوية للأخبار والأدب ... تتابعت عليه مصائب في أولاده المذكور الستة في الطاعون الذي كان بالبصرة سنة ٢٢٩ هـ فرثاهم بمراث كثيرة منها قوله:

كَلَّ لسانِي عن وصف ما أجد      وذقت نُكْلاً ما ذاقه أحد  
ما عالج الحزنَ والحِراةَ في      الاحشاء من لم يمّت له ولد

وله من الأبيات السائرة:

قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها      إن الشباب جنون برؤه الكبير

(٢) النعم: الإبل خاصة والعرب تقول: خير الإبل حرها وصهبها؛ لأن الحرأ أصبر على المواجر، والصهباء أحسن حين ينظر إليها

أبي محمد لغلامه: لا ليك، ثم يجيء بعده عمر فينكر هو الآخر إنكاراً لا حظ فيه التأدب مع الخليفة أبي بكر، وكذلك فعل عثمان مع عمر، وأخيراً يكفر أبو محمد عن هذه البادرة بخمسة عشر ألف درهم... لا جرم لقد أدبهم المصطفى صلوات الله عليه، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه .

### طلحة بن عبيد الله

وهذا طلحة بن عبيد الله هو الصحابي الجليل أحد العشرة المبشرين بالجنة<sup>(١)</sup> وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلوا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى<sup>(٢)</sup> وأحد أغنياء الصحابة، وأحد أجواد قريش، بل كان نبي الجود، إن كان للجود نبي... وقد كان يقال له: طلحة الفياض، وطاحة الجود، وطلحة الخير، يقال إنه فرّق في يوم سبعمائة ألف، باع أرضاً له من عثمان بن عفان بسبعمائة فحملها إليه، فبات ورؤسله تختلف بها في سكك المدينة حتى أسحر<sup>(٣)</sup> وما عنده منها درهم واحد، ويروى أنه وصل أعرابياً من أقاربه بثمانمائة ألف درهم؛ وكان لا يدع أحداً من بني تميم عائلاً إلا كفاه، ووثته ووثنة عياله وزوج أيامهم<sup>(٤)</sup> وأخدم عائلهم وقضى دين غارهم، وكان يرسل إلى السيدة عائشة إذا جاءت غلته كل

(١) وقال له سيدنا رسول الله يوم أحد: إنه قد أوجب؛ أي أتى بما أوجب

له الجنة .

(٢) أي الذين عهد إليهم الفاروق رضي الله عنه أن يتشاوروا ويختاروا من بينهم

خليفة بعده .

(٣) أسحر: صار في السحر، والسحر: ما قبل انصداع الفجر

(٤) الأيايم جمع أيم والأيم من النساء: التي لا زوج لها بكرأ كانت أو ثيباً

ومن الرجال: الذي لا امرأة له

سنة بعشرة آلاف ... إلى آخر أنباء جوده وكرمه ؛ ولما انقضى يومُ  
الجل (١) خرج عليُّ بن أبي طالب في ليلة ذلك اليوم ومعه قَنَسِيرٌ (٢) ، وفي  
يده مَشَعَلَةٌ من نارٍ يَتَصَفَّحُ القَتلى ، حتى وقف على طاححة فقال : أعزُّ عليُّ  
أبا محمد أن أراك مُعَفَّرًا (٣) تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية : شَفَيْتُ  
نفسى وَقَتَلْتُ مَعَشِرِي إلى الله أشكو عَجْرِي وُبَجْرِي (٤) ثم تمثل (٥)

قَتَّى كَانَ يُدْنِيهِ الغَنَى من صديقه إذا ما هو أَسْتَعْنَى وَيُبْعِدُهُ الفَقْرُ  
قَتَّى لَا يُعِدُّ المَالَ رَبًّا وَلَا تُرَى به جَفْوَةٌ إن نَالَ مَالًا وَلَا كِبْرُ  
قَتَّى كَانَ يُعْطَى السيف في الرُّوعِ حَقَّهُ

إذا تَوَبَّ الداعي وَآشَقَى بِهِ الجُزْرُ (٦)

وهو نَجْدِي أَنَّى سَوْفَ أُعْتَدِي على إثرِهِ يَوْمًا وإن نَفَسَ العُمُرُ

وقوله قَتَّى كَانَ يُدْنِيهِ الغنى من صديقه ... أبيت : هو معنى جميل مطروق

وفيه بقول إبراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات :

(١) هو تلك الوقعة التي نشبت بين علي وبين عائشة ومن معها ، وكانت عائشة  
تمتلي جملان فسمى ذلك اليوم يوم الجمل  
(٢) هو خادم علي

(٣) معفراً : أى ملصق الوجه بالتراب ويقال للتراب : العفر . والعفر

(٤) أى ما ظهر من أمرى وما بطن ، وأصل العجر : العروق المنعقدة في الظهر  
والبجر : العروق المنعقدة في البطن ، وقال الاصمعي : هو قول سائر في أمثال العرب  
يقال : لقي فلان فلانا فأبته عجره وبجره

(٥) هذه الأبيات لسلسلة بن يزيد بن مشجعة الجعفي أحد الصحابة يرثى أخاه لأمه

(٦) نوب الداعي ، فالشوب : التلويح بالشوب مع صوت فيه استغاثة وقال عمرو  
ابن العلاء : الشوب : الترجيع من ناب يوب إذا رجع يريد : إذا رجع الداعي دعاه  
بعد دعاه ، يصفه بإجابة الصريخ وقوله : وتشقى به الجزر ، يصفه بكرم الضيافة

أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا مَا نَعْتَهُ وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَرَا  
يَعْرِفُ الْأَبْعَدَ إِنْ أَثْرَى وَلَا  
يَعْرِفُ الْأَدْنَى إِذَا مَا افْتَقَرَا

ويقول الأديب أبو بكر الخوارزمي :

رَأَيْتُكَ إِنْ أَيْسَرْتَ حَيَّمْتَ عِنْدَنَا لِنَامًا وَإِنْ أَعْسَرْتَ زُرْتَ لِمَا  
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ أَغْبَ وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءُ أَقَامَا  
وقد تقدمت آيات لعبد الله بن الزبير الأسدي في هذا المعنى؛ وما أبرع  
آياتاً لابن المعتز يقول فيها :

إِذَا مَا أَرَادَ الْحَاسِدُونَ انْهِدَامَهُ بَنَاهُ إِلَهُ غَالِبُ الْعِزِّ قَاهِرُهُ  
وَمَاذَا يَرِيدُ الْحَاسِدُونَ مِنْ أَمْرِي تَزِينُهُمْ أَخْلَافُهُ وَمَا ثَرُهُ  
إِذَا مَا هُوَ اسْتَعْنَى اهْتَدَى لِافْتِقَارِهِمْ

ولا تهتدي يوماً إليهم مفاقرُهُ<sup>(١)</sup>

وكانوا كزرايم كوكباً يبصاقه فَرَدَّ عَلَيْهِمْ وَبَلَّهْ وَمَوَاطِرُهُ<sup>(٢)</sup>

حادث تلاقى فيه الكرم بالشجاعة والمروءة

والحياء والنبل

تحدث رجلٌ من الأعراب قال : نزلتُ برُّجِلٍ من طَيْبٍ ، فَنَحَرَ لِي نَائَةً

(١) المفاقر : وجوه الفقر ، أو جمع فقر على غير قياس كالملاح والمشابه

(٢) هذا البيت كما قال بعض العرب :

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيئًا وَمِنْ جَالِ الطَّوِيِّ رَمَانِي  
وَالجَالِ وَالجَوْلِ : الناحية ، والطوي : البئر ، يريد : رماني بما عاد عليه ،

فَأَكَلْتُ مِنْهَا ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ نَحَرَ أُخْرَى فَقُلْتُ : إِنَّ عِنْدَكَ مِنَ اللَّحْمِ مَا يُغْنِي <sup>عَنْكَ</sup> وَيَكْفِي ، فَقَالَ : إِنْ وَاللَّهِ لَا أُطْعِمُ ضَيْفِي إِلَّا لِحْمًا عَيْبَطًا ، قَالَ : وَفَعَلَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ آكَلُ شَيْئًا وَيَأْكُلُ الطَّائِي أَكَلَ جَمَاعَةً ، ثُمَّ نَوَيْتُ بِاللَّبَنِ فَأَشْرَبُ شَيْئًا وَيَشْرَبُ عَامَّةَ الْوَطْبِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ ارْتَقَبْتُ غَفْلَتَهُ ، فَاضْطَجَعْتُ ، فَلَمَّا امْتَلَأْتُ نَوْمًا اسْتَمَقْتُ قَطِيعًا مِنْ إِبِلِهِ ، فَأَقْبَلْتُهُ الْفَجْجَ ، فَانْتَبَهَ ، وَاخْتَصَرَ عَلَيَّ الطَّرِيقَ حَتَّى وَقَفَ لِي فِي مَضِيقٍ مِنْهُ ، فَأَلْقَمَ وَتَرَهُ فُوقَ سَهْمِهِ ، ثُمَّ نَادَى بِي : لَتَطْبُ نَفْسُكَ عَنْهَا ، قُلْتُ : أَرِنِي آيَةً ، فَقَالَ : انْظُرْ إِلَى ذَلِكَ الضَّبِّ ، فَإِنِّي وَاضِعٌ سَهْمِي فِي مَغْرَزِ ذَنْبِهِ ، فَرَمَاهُ ، فَأَنْدَرُ ذَنْبَهُ ، فَقُلْتُ : زِدْنِي ، فَقَالَ : انْظُرْ إِلَى أَعْلَى قَقَارِهِ ، فَرَمَاهُ ، فَأَنْبَتُ سَهْمَهُ فِي الْمَوْضِعِ ، ثُمَّ قَالَ لِي : الثَّلَاثَةُ وَاللَّهُ فِي كَيْدِكَ ، فَقُلْتُ : شَأْنُكَ يَا بَيْلِكَ ، فَقَالَ : كَلَّا ، حَتَّى تَسُوقَهَا إِلَى حَيْثُ كَانَتْ ، قَالَ : فَلَمَّا انْتَهَيْتُ بِهَا قَالَ : فَكَّرْتُ فِيكَ فَلَمْ أَجِدْ لِي عِنْدَكَ رِزَّةً تُطَالِبُنِي بِهَا ، وَمَا أَحْسِبُ الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَخْذِ إِبِلٍ إِلَّا الْحَاجَةَ ، قَالَ : قُلْتُ : هُوَ وَاللَّهُ ذَلِكَ ، قَالَ : فَانْعَمِدْ إِلَى عَشْرِينَ مِنْ خِيَارِهَا فَخُذْهَا ، فَقُلْتُ : إِذَنْ وَاللَّهُ لَا أَقْسَلُ حَتَّى تَسْمَعَ مَدْحَكَ ، وَاللَّهُ مَا رَأَيْتُ رُجُلًا أَكْرَمَ ضِيَاقَةً وَلَا أَهْدَى لِسَابِيلٍ وَلَا أَرْحَى كَفَا وَلَا أَوْسَعَ صَدْرًا وَلَا أَرْغَبُ جَوْفًا وَلَا أَكْرَمَ عَفْوًا ، مِنْكَ ، قَالَ : فَاسْتَحْيَا فَصَرَفَ وَجْهَهُ عَنِّي ، ثُمَّ قَالَ : أَنْصِرْفِ بِالْقَطِيعِ مُبَارَكًا لَكَ فِيهِ ...

• قوله : عَيْبَطًا : يُقَالُ : عَيْبَطُ فُلَانٌ نَاتَهُ : إِذَا نَحَرَهَا مِنْ غَيْرِ دَاءٍ وَلَا كَسِيرٍ وَهِيَ شَابَةٌ سَمِيئَةٌ ، وَالْعَيْبَطُ أَيْضًا : اللَّحْمُ الطَّرِيقِيُّ غَيْرِ النَّضِيجِ ، وَالْوَطْبُ : سِقَاءُ اللَّبَنِ خَاصَّةٌ مِنْ جِلْدٍ ، وَالْفَجْجُ : الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، وَالْجَمْعُ : فَجَاجٌ ؛ وَاخْتَصَرَ الطَّرِيقَ : سَلَكَ أَقْرَبَهُ ، وَفُوقَ السَّهْمِ : مَشَقُّ رَأْسِهِ حَيْثُ



يقع الوتر ، وقوله : فَأَنْدَرَّ ذَنْبَهُ : أى أَسَقَطَهُ ، وقد نَدَرَ الشَّيْءُ يَنْدُرُ نَدُورًا : سقط أو سقط من جوفِ شَيْءٍ أو من بين أشياء فظهر ، ومنه نوادرُ الكلام وهي ما شذت وخرجت عن جمهوره فظهرت . وقوله : ولا أرغب جوفًا : من الرُّغْب وهو : سَعَةُ البَطْنِ وكثرة الأكل ،

### حلم وأدب وسمو خلق

رَوَى المُبَرِّدُ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ قَالَ : دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا رَاكِبًا عَلَى بَغْلَةٍ لَمْ أَرَ أَحْسَنَ وَجْهًا وَلَا سَمَمًا وَلَا ثَوْبًا وَلَا دَابَّةً ، مِنْهُ إِذْ قَالَ قَلْبِي إِلَيْهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي : هَذَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَاِمْتَلَأْ قَلْبِي لَهُ بُغْضًا <sup>(١)</sup> وَحَسَدًا عَالِمًا أَنْ يَكُونَ لَهُ ابْنٌ مِثْلُهُ إِذْ فَصِرْتُ إِلَيْهِ <sup>(٢)</sup> ، فَتَقَلْتُ لَهُ : أَأَنْتَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟ فَقَالَ : أَنَا ابْنُ ابْنِهِ ، فَتَقَلْتُ : فَبِكِ وَبَأَبِيكَ أُسْبُهُمَا ، فَلَمَّا انْقَضَى كَلَامِي قَالَ لِي : أَحْسَبُكَ غَرِيبًا أَقَلْتُ : أَجَلٌ قَالَ : فَمِلْ بِنَا فَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَى مَنْزِلِ أَنْزَلْنَاكَ ، أَوْ إِلَى مَالِ آسِينَاكَ ، أَوْ إِلَى حَاجَةِ عَاوَنَاكَ ، قَالَ : فَانصَرَفْتُ عَنْهُ وَوَاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ... وَقَالَ رَجُلٌ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ : إِنِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَشْتَمُونَكَ شَتْمًا رَحِمَتْكَ مِنْهُ إِذْ قَالَ الْقُرَشِيُّ : أَفَسَمِعْتَنِي أَتَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : إِبَاهِمُ فَارْحَمِ ... وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : إِنْ الرَّجُلَ كَيْتَلَمُنْ فَارْحَمْهُ إِذْ قَالَ رَجُلٌ لِلشَّعْبِيِّ كَلَامًا أَقْدَعَ لَهُ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ ... وَيُرْوَى أَنَّهُ أَتَى مَسْجِدًا ، فَصَادَفَ فِيهِ قَوْمًا يَغْتَابُونَ ، فَأَخَذَ بَعْضَادَتِي الْبَابَ ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ كَثِيرِ عَزَّةَ :

(١) لأن الرجل من أشياخ معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه (٢) توجهت إليه

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَائٍ مُخَامِرٍ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ  
وقال محمود الوراق :

إِنِّي شَكَرْتُ لِظَالِمِي ظُلْمِي وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي  
وَرَأَيْتُهُ أَسَدِي إِلَى يَدَا لَمَّا أَبَانَ بِجَهْلِهِ حِلْمِي  
رَجَعْتُ إِسَاءَتَهُ عَلَيْهِ وَإِحْسَانِي فَمَادَ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ  
وَعَدَوْتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ وَعَدَا بِكَسْبِ الظُّلْمِ وَالْإِنِّمِ  
فَكَأَنَّمَا الْإِحْسَانُ كَانَ لَهُ وَأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ  
مَازَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ حَتَّى بَكَيتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ

### خير ما يرزقه العبد

قال بعض الملوك لبعض وزرائه - وأراد محنته - : ما خير ما يرزقه  
العبد ؟ قال : عقلٌ يعيش به ، قال : فإن عديمه ؟ قال : فأدبٌ يتجلى به ،  
قال : فإن عديمه ؟ قال : فمالٌ يستتره ، قال : فإن عديمه ؟ قال : فصاعقةٌ تريح  
منه العبادَ والبلاد ...

### لاتزال العرب عربا

#### ما حافظت على زيبها

كان الأحنف بن قيس يقول : لاتزال العربُ عرباً ما لبست العمام ،  
وتقلدت السيوف ، ولم تعدد الحلم ذلاً ، ولا التواهب فيما بينها صفة ...  
« قوله : ما لبست العمام ، يريد : ما حافظت على زيبها ، وقوله : وتقلدت  
السيوف ، يريد : الامتناع من الضيم ، وقوله : ولم تعدد الحلم ذلاً ، يقول :  
ما عرفت موضع الحلم ، وذلك أن الرجل إذا أغضى للسلطان ، أو أغضى

عن الجواب وهو مأثور لم يُقَلْ: حَلِمَ ، وإنما يقال : حَلِمَ ، إذا ترك أن يقول الشيء لصاحبه مُنتصرا ولا يخاف عاقبةً يكرهها . فهذا الحِلْمُ المحض ، فإذا لم يفعل ذلك ورأى أن تركه الحِلْمُ ذُلٌّ فهو خطأ وسَفَهٌ ؛ وقوله : ولم تر التواهب بينهما ضَعْفٌ ، نحو من هذا ، وهو : أن يهَبَ الرجل من حَقِّه مالا يُستَكره عليه ... وكان يقال : أَحْيُوا المعروف بإماتته ، ومعنى ذلك : أن الرجل إذا امتنَّ بمروفيه كدَّرَه ؛ وقيل : المِنَّةُ تَهْدِمُ الصَّنِيعَةَ ، وقد قال قيسُ بن عاصمِ المِنْقَرِي : يَا بَنِي تَمِيمَ ، اصْحَبُوا مَنْ يَذْكُرُ إِحْسَانَكُمْ إِلَيْهِ وَيَنْسَى أَيْدِيَهُ إِلَيْكُمْ ...»

## توقير العالم والشريف والكبير

### والترفع عن الوضع

كان زياد بن أبيه يقول : أوصيكم بثلاثة : بالعالم ، والشريف - يعني العظيم القدر - والشيخ - يريد : الذي تقدمت به السن - فوالله لأوتى بوضع سب شريفا ، أو شابٍ وثب بشيخ ، أو جاهلٍ امتهنَّ عالما ، إلا عاقبتُ وبالغتُ ... وقال عمارة بن عقييل بن بلال بن جرير لبني أسد ابن خزيمة :

يأبها السائل عمدا لأخبره بذاتِ نفسى وأبدي الله فوق بدي  
إن تستقيم أسد ترشدوا إن شغبتُ فلا يلمُّ لائمٌ إلا بني أسد  
إني رأيتكم يُعصى كبيركم وتكنعون إلى ذى الفجرة النكيد<sup>(١)</sup>

(١) تكنعون : تخضعون ، من كنع يكنع - بالفتح فيهما - كنوعا : خضع ، والفجرة اسم لكل قبيل ، من فجر الرجل بفجر فجرا وفجورا : انبعث في المعاصي ، والنكيد : اللئيم ، من النكد - بالتحريك - وهو الشوم واللؤم

فَبَاعِدَ اللهُ كُلَّ الْبُعْدِ دَارَكُمْ وَلَا شَفَاكُم مِّنَ الْأَضْغَانِ وَالْحَسَدِ  
 فَرَأَى عِصْيَانَهُمُ الْكَبِيرَ مِنْ أَفِيحِ الْعَيْبِ وَأَدَلَّهُ عَلَى ضِعْنِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ  
 وَحَسَدِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَالْوَضِيحُ يَنْقَلِبُ إِلَى الشَّرِيفِ لِأَنَّهُ يَرَى مُقَاوَلَتَهُ نَخْرًا ،  
 وَالْاجْتِرَاءَ عَلَيْهِ رِيحًا ، كَمَا أَنَّ مَقَاوَلَةَ الشَّرِيفِ لِلتَّيْمِ ذُلٌّ وَضَعَةٌ قَالَ الشَّاعِرُ :  
 إِذَا أَنْتَ قَاوَلْتَ اللَّيْمَ فَإِنَّمَا يَكُونُ عَلَيْكَ الْعَتَبُ حِينَ تُقَاوَلُهُ  
 وَلَسْتَ كَمَنْ يَرْضَى بِمَا غَيْرُهُ الرِّضَا وَيَمْسَحُ رَأْسَ الذَّنْبِ وَالذَّنْبُ آكَلُهُ  
 قَالَ الْمُبَرِّدُ : وَفِي هَذَا الشَّعْرِ بَيْتَانِ يَقْدَمَانِ فِي بَابِ الْفَتَكِ - وَفِي بَابِ الْغَرَمِ  
 وَالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ - وَهُمَا :

فَلَا تَقْرِنَنَّ أَمْرًا الصَّرِيمَةَ بِأَمْرِي إِذَا رَامَ أَمْرًا عَوَّقْتَهُ عَوَاذِلُهُ (١)  
 وَقُلْ لِلْفَوَادِ إِنَّ نَزَابِكَ نَزْوَةٌ مِنَ الرَّوْعِ : أَفْرِخُ أَكْثَرَ الرَّوْعِ بَاطِلُهُ (٢)

قَالَ الْمُبَرِّدُ : وَقَدْ اِمْتَنَعَ قَوْمٌ مِنَ الْجَوَابِ - أَيْ مِنْ مَقَاوَلَةِ اللَّيْمِ - تَبَلًا  
 - يَرِيدُ تَرْفَعًا - وَوَضِعُهُمْ تُنْبِيُّ عَنْ ذَلِكَ - أَيْ أَنَّ مَرَاكِزَهُمْ تَدُلُّ عَلَى  
 أَنَّ اِمْتِنَاعَهُمْ تَرْفَعٌ - وَامْتَنَعَ قَوْمٌ عِيًّا بِلَا اِعْتِلَالٍ - يَرِيدُ دُونَ أَنْ يَبْدُوا عِلَّةً لِهَذَا  
 الْإِعْرَاضِ عَنِ اللَّتَامِ - وَامْتَنَعَ قَوْمٌ عَجَزُوا وَاعْتَلَوْا بِكَرَاهَةِ السَّفْهِ ، وَبَعْضُهُمْ  
 مَعْتَلٌّ بِرِفْعَةٍ نَفْسَهُ عَنْ خَصْمِهِ ، وَبَعْضُهُمْ كَانَ يُسَبُّهُ الرَّجُلُ الرَّيْكَ مِنْ  
 الْعَشِيرَةِ ، فَيُعْرَضُ وَيُسَبُّ سَيِّدَ قَوْمِهِ ، وَكَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ رَبَّمَا فَعَلْتَهُ فِي الذَّحُولِ

(١) فَلَا تَقْرِنَنَّ : مِنْ قَرَنَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ : شَدَّهُ إِلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ قَرَنَهُ إِلَيْهِ ،  
 وَالصَّرِيمَةُ : الْعَزِيمَةُ

(٢) إِنَّ نَزَابَكَ نَزْوَةٌ : فَالنَزْوَةُ : الْمَرَّةُ مِنَ النَّزْوِ وَهُوَ الْوَثُوبُ إِلَى فَوْقِ ، يَرِيدُ :  
 إِنَّ تَسَلُّطَ عَلَيْهِ الْهَزْعُ وَالرَّعْبُ فَاضْطَرَبَ ، وَأَفْرِخُ يَرِيدُ : أَفْرِخُ رَوْعًا ، وَمَعْنَاهُ : لِيُخْرِجَ  
 عَنْكَ رَوْعَكَ وَيَذْهَبَ فَرَوْعَكَ كَمَا تَفْرِخُ الْبَيْضَةُ إِذَا انْفَلَقَتْ عَنِ الْفَرِّخِ فَخَرَجَ مِنْهَا وَقَوْلُهُ :  
 أَكْثَرَ الرَّوْعِ بَاطِلُهُ ، يَرِيدُ : لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَحَاذَرُ

- جمع دُحُل وهو: النار - قال الراجز:

إِن بَجِيلاً كَلِمَا هَجَانِي      مِلْتُ عَلَى الْأَغْطِيشِ أَوْ أَبَانِ  
أَوْ طَلَحَةِ الْخَيْرِ قَتَى الْفِتْيَانِ      أَوْلَاكَ قَوْمٌ شَأْنُهُمْ كَشَانِي  
مَا نَلْتُ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ كَفَانِي      وَإِنْ سَكَتُ عَرَفُوا إِحْسَانِي  
وقال أحد المحدثين :

إِنِّي إِذَا هَرَّ كَلْبُ الْحَيِّ قَلْتُ لَهُ      إِسْلَمْ وَرَبُّكَ مَخْنُوقٌ عَلَى الْجِرَرِ (١)  
وفي مثل اختيار النبل لتكافؤ الأعراض قول الأخطل :

شَقَى النَّفْسَ قَتَلَى مِنْ سُلَيْمٍ وَعَاسِرٍ      وَلَمْ يَشْفَهَا قَتَلَى غَتَى وَلَا جَسِرٍ  
وَلَا جُشْمٍ شَرَّ الْقَبَائِلِ إِنَّمَا      كَيْبِضِ الْقَطَا لَيْسُوا بِسُودٍ وَلَا حُمْرٍ  
وَلَوْ بِنَبِي ذِيانَةَ بُلْتُ رِمَاحُنَا      انْقَرَّتْ بِهِمْ عَيْنِي وَبَاءَ بِهِمْ وَتَرِي  
وقال رجل من المحدثين وهو حمدان بن أبان الألاحقي :

أَلَيْسَ مِنَ الْكَبَائِرِ أَنْ وَغَدَاً      لِأَلٍ مُعَدَّلٍ يَهْجُو سَدُوسَا  
هَجَا عِرْضًا لَهُمْ غَضًّا جَدِيدًا      وَأَهْدَفَ عِرْضَ وَالِدِهِ اللَّيْسَا (٢)  
وقال آخر :

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ وَوَالِدِهِ      وَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ وَمَا وُلَدَا  
قَوْمٌ إِذَا جَرَّ جَانِي قَوْمَهُمْ أَمِنُوا      مِنْ أَوْمٍ أَحْسَا بِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوَدَا  
اللُّؤْمُ دَاءٌ لِيُؤْبَرِ يُقْتَلُونَ بِهِ      لَا يُقْتَلُونَ بِدَاءٍ غَيْرِهِ أَبَدَا  
وقال أحد المحدثين هو - دِعْبِل بن علي الخزاعي - :

(١) الجرز: جمع جزرة وهي: الجذب كالجز والاجترار

(٢) يريد . جعله هدفا يرمى ، واللبيس : مستعار من قولهم ثوب لبيس إذا كثر

لبسه فأخلى

أما الهجاءُ فندقُ عِرْضِكَ دونه والمدحُ غنك كما علمتَ جليلُ  
فأذهبُ فانتَ عتيقُ عِرْضِكَ إنه عِرْضُ عَزَزْتَ به وأنتَ ذليلُ  
وقال آخرُ :

نَبَّئْتُ كَلْبًا هَابَ رَمِي لَهُ يَنْبُحْنِي مِنْ مَوْضِعِ نَائِي (١)  
لو كنتَ من شيءٍ هجُونَاكِ أَوْ لَوْ بَدَتْ لِلسَّامِعِ وَالرَّائِي (٢)  
فَعَدُّ عَنْ شَتْمِي فَإِنِ امْرُؤٌ حَلَمَنِي قِلَّةٌ أَكْفَانِي  
وقال دعبيلُ أيضاً :

فلو أني بليتُ بهاسِمْي خُوْلْتَهُ بنو عبدِ المدانِ  
صَبَرْتُ عَلَى عَدَاوَتِهِ وَلَكِنْ تَعَالَى فَأَنْظِرِي بَيْنَ ابْتِلَانِي

ووقف رجلٌ عليه مُقَطَّعَاتُ عَلَى الْأَحْنَفِ بنِ قَيْسِ يُسَيْبِهِ ، وكان عمرو  
ابن الأَهمم جعلَ له ألفَ دِرْهَمٍ عَلَى أَنْ يُسَفِّهَ الْأَحْنَفَ ، فجعل لا يَأَلُو أَنْ  
يُسَبِّهَ سَبًّا يُغْضِبُ ، وَالْأَحْنَفُ مُطْرُقُ صَامِتٌ ، فلما رآه لا يكلمه أقبل  
الرجلُ يَعْضُ لِإِهْمَامِيهِ ويقول : يَا سَوْأَنَاهُ ، وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُهُ مِنْ جَوَابِي إِلَّا هَوَانِي  
عَلَيْهِ ... وَقَعَلَ ذَلِكَ آخِرُ فَأَمْسَكَ عَنْهُ الْأَحْنَفُ ، فَأَكْثَرَ الرَّجُلُ ، إِلَى أَنْ  
أَرَادَ الْأَحْنَفُ الْقِيَامَ لِلغَدَاءِ فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ : يَا هَذَا ، إِنَّ غَدَاءَنَا قَدْ  
حَضَرَ فَانْهَضْ بِنَا إِلَيْهِ إِنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مَذَّ الْيَوْمَ تَحْدُو بِجَمَلٍ نَفَالٍ . (٣)

### عبرة

قال المنصورُ لعمرو بن عُبيدٍ : عِظْنِي قَالَ : بِمَا رَأَيْتُ أَوْ بِمَا سَمِعْتُ ؟

(١) نبحني : يريد تلحقني شتائمك على سبيل المجاز

(٢) يريد : لو أحس بك الأعمى والبصير

(٣) الثفال من الإبل : البطيء الثقيل الذي لا يكاد ينبعث ...

قال : بما رأيت ، قال : مات عُمَرُ بنُ عبد العزيز وخَلَّفَ أحدَ عشرَ ابناً وبلغت تَرَكَتُهُ سبعةَ عشرَ ديناراً ، كَفَنَ منها بخمسة ، واشترى موضعاً لقيبره بدينارين ، وأصاب كلُّ واحدٍ من أولاده ثمانية عشرَ قيراطاً من دينار... ومات هشام بن عبد الملك فخَلَّفَ أحدَ عشرَ ابناً أصاب كل واحد من أولاده ألفَ ألفِ دينار ، فرأيت رجلاً من أولاد عمر بن عبد العزيز قد حَمَلَ في يوم واحد على مائة فرَسٍ في سبيل الله ، ورأيت رجلاً من أولاد هشام على قارعة الطريق يسأل الصدقة ...

### لا تشكُّ إلى غير الله

حدَّث بعضهم قال : سمعني شريحُ القاضي وأنا أشكو بعضَ حالٍ إلى صديق لي ، فأخذ يدي وقال : يا ابن أخي ، إياك والشكوى إلى غير الله عز وجل ، الصديقُ يُخزَنه ، والعدوُّ نُشِمته ؛ انظر إلى عيني هذه - وأشار إلى إحدى عينيه - وقال : والله ، ما أبصرتُ بها شخصاً ولا طريقاً منذ خمسَ عشرةَ سنة ، وما أخبرتُ بها أحداً إلى هذه الغاية سواك ...

### نبالة ومروءة

حدَّث العسجديُّ قال : جاء رجل إلى أبي إسحاق الكسائي ليلاً فقال : ما جاء بك ؟ قال : رَكِبني دَيْنٌ ، فقال : كم هو ؟ قال : أربعمائة درهم ، فأخرج كيساً فأعطاه ، فلما رَجَعَ عنه بكى ، فقال له أهله : ما يُكيك ؟ فقال : بُكأني أنى لم أبحث عن حاله وألجأته إلى الذل ...

## دعوة الله

قال أعرابي :

وإني لأُعْضِي مُقْلَتِي عَلَى الْقَدَى وَأَلْبَسُ ثَوْبَ الصَّبْرِ أَيْضَ أَبْلِجَا  
 وإني لأدعو الله والامر ضيقُ عَلَى فَمَا يَنْفَكُ أَنْ يَتَفَرَّجَا  
 وكم من قَتِي ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ أَصَابَ لَهَا فِي دَعْوَةِ اللَّهِ تَخْرَجَا

\* \* \*

## كلمات في السؤال

قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : فَوَتْ الْحَاجَةَ خَيْرٌ مِنْ طَلِبِهَا مِنْ  
 غَيْرِ أَهْلِهَا... قال : وسمعت آخر يقول : عِزُّ النَّزَاهَةِ أَشْرَفُ مِنْ سُرُورِ الْعَائِدَةِ  
 قال : وسمعت آخر يقول : حَمْلُ الْمِنَنِ أَنْثَقُلُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى الْعَدَمِ ... وفي  
 الحديث الشريف : والذي نفسى بيده لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يذود إلى  
 الجبل فيحطب فيبيع فيأكل ويتصدق خيرا له من أن يسأل أحدا فيعطيه  
 أو يمنعه .

كانوا يَرَوْنَ أَنَّ الْمَلُوكَ لَا يُسْتَحَى مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ

ولمناسبة السؤال نورد عليك مايلي : كان كبيد بن ربيعة الشاعر المخضرم  
 شريفا في الجاهلية والاسلام ، وكان نذرا أن لا تهب الصبا (١) إلا نحر  
 وأطعم حتى تنقضى ، فهبت بالاسلام وهو بالكوفة (٢) مقير مُمَلِّق ،

(١) الصبا : الريح التي تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار وتسمى  
 القبول لأنها تستقبل الكعبة .

(٢) يقال : إنه أقام بالكوفة في عهد عمر بن الخطاب ولم يزل بها حتى مات في  
 آخر خلافة معاوية عن خمس وأربعين ومائة سنة ، رحمه الله



فَعَلِمَ بِذَلِكَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ - وَكَانَ وَالِيَهَا لِعُثْمَانَ بْنِ عَمَّانَ - وَكَانَ  
أَخَاهُ لَأَمَةً - فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ : لَأَنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ نَذْرَ أَبِي عَقِيلٍ وَمَا وَكَّدَ عَلَى  
نَفْسِهِ ، فَأَعِينُوا أَحَاكِمَ ، ثُمَّ نَزَلَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ نَاقَةٍ وَأَيَاتٍ يَقُولُ فِيهَا :

أَرَى الْجَزَارَ بِشَحْدُ شَفَرَتَيْهِ إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ (١)

أَشْمُ الْأَنْفِ أَصَيْدُ عَامِرِي طَوِيلُ الْبَاعِ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ (٢)

وَفِي ابْنِ الْجَعْفَرِيِّ بِمَا نَوَاهُ عَلَى الْعِلَاتِ وَالْمَالِ الْقَلِيلِ (٣)

بِنَجْرِ السُّكُومِ إِذْ سُجِبَتْ عَلَيْهِ ذُبُولُ صَبَا تَجَاوَبُ بِالْأَصِيلِ (٤)

فَلَمَّا أَتَتْهُ قَالَ : جَزَى اللَّهُ الْأَمِيرَ خَيْرًا ، قَدْ عَرَفَ الْأَمِيرَ أَنِّي لَا أَقُولُ  
شِعْرًا (٥) وَلَكِنْ أَخْرَجِي يَا بَابِيَّتِي ، فَخَرَجَتْ خُمَاسِيَّةً (٦) فَقَالَ لَهَا : أَجِيبِي  
الْأَمِيرَ ، فَأَقْبَلَتْ وَأَذْبَرَتْ ، وَبَعَثَ النَّاسُ ، فَقَضَى نَذْرَهُ ، فِي ذَلِكَ تَقُولُ  
أَبْنَةُ لَيْدٍ :

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا

طَوِيلَ الْبَاعِ أَيْضَ عَبْشَمِيًّا أَعَانَ عَلَى مُرُوءَتِهِ لَيْدَا (٧)

(١) الشفرة: السكين ، والشحد: التحديد بالمشحد ، بكسر الميم ، وهو المسن

(٢) الأصيد: الذي يرفع رأسه كبرا لا يلتفت يمينا ولا شمالا

(٣) على العلات: على كل حال أو على ما فيه من الحالات والشئون

(٤) الكوم: العظام الأسنمة واحدها كوما

(٥) لأنه حزم على نفسه قول الشعر منذ أسلم

(٦) خماسية: طولها خمسة أشبار ، وكذلك غلام خماسي ولا يقال إذا بلغ ستة

أشبار أو سبعة: سداسي ولا سباعي

(٧) أبيض: إذا قالت العرب: فلان أبيض فالمعنى: نقاء العرض من الدنس والعيوب

لا يريدون بياض اللون وهذا كثير في شعرهم . وعبشمي: من بني عبد شمس بن عبد مناف

بأمثال الهضاب ، كأنَّ ركبًا عليها من بني حَامِ قُعودا (١)  
 أبا وَهَبٍ جزاك الله خيرًا نَحْرَناها وأطعمنا التَّريدَا  
 فَعُدَّ إِنَّ الكَرِيمَ له مَعَادُ وظنِّي بَابِنِ أَرَوَى أَن يَعُودَا

فقال لها لبيد : أَحَسَنْتِ يَا بِلْتِي لولا أَنَّكَ سَأَلْتِ ا فَقَالَتْ : إن المَلُوكَ  
 لا يُسْتَحَى من مَسْأَلَتِهِمْ ا ولو كان سُوقَةً لم أَفْعَلُ ... فقال لها : وَأَنْتِ في  
 هذا أَشْعُرُ ا

### مَثَلٌ في الرِّياءِ

عن وَهَبِ بنِ مُنَبِّهٍ قال : نَصَبَ رَجُلٌ من بني إِسْرَائِيلَ نَخْطًا ، فجاءت  
 عَصْفُورَةٌ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ : مَالِي أَرَاكَ مَنحِنِيَا ؟ قال : لكَ كَثْرَةٌ صَلَاتِي  
 انخِيتِ ا قَالَتْ : فَمَالِي أَرَاكَ بِأَدِيَّةِ عِظَامِكَ ؟ قال : لكَ كَثْرَةٌ صِيَامِي بَدَّتْ  
 عِظَامِي ا قَالَتْ فَمَالِي أَرَى هَذَا الصُّوفَ عَلَيْكَ ؟ قال : لِزَهَادَتِي في الدُّنْيَا لَيْسَتْ  
 الصُّوفُ ا قَالَتْ : فَمَا هَذِهِ العَصَا عِنْدَكَ ؟ قال : أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا وَأَقْضِي حَوَائِجِي ،  
 قَالَتْ : فَمَا هَذِهِ الحَبَّةُ في يَدِكَ ؟ قال : قُرْبَانٌ إن مَرَّ بِي مِسْكِينٌ نَأَوَّلتُهُ  
 إِيَّاهُ ، قَالَتْ : فَإِنِّي مِسْكِينَةٌ ا قال : فَخُذِيهَا ، فَدَنَنْتُ فَقَبَضَتْ عَلَيَّ الحَبَّةُ ،  
 فَإِذَا الفُحْخُ في عُنُقِهَا ، فجعلت تقول : قَمِي قَمِي ا تَفْسِيرُهُ : لا عَرَّني نَاسِكَ مُرَاءِ  
 بَعْدَكَ أَبَدًا ...

(١) بأمثال الهضاب : جمع هضبة بسكون الضاد وهو كل جبل خلق من صخرة  
 واحدة أو هي كل صخرة ضخمة ، تصف ضخامة الإبل ، وقولها : كأن ركبًا الخ تصف  
 اسنمتها السود ، وحام : أحد أولاد نبي الله نوح عليه السلام وهو فيما زعموا أبو السودان

## الهم نصف الهرم

من كلمة لسيدنا علي بن أبي طالب : والهم نصف الهرم ، وقال حكيم :  
الهم يُشيبُ القلب ، ويُعقِمُ العقل ، فلا يتولد معه رأيٌ ، ولا تصدُقُ معه  
رَوِيَّةٌ ، وقال أبو تمام :

شاب رأبي وما رأيت مشيب الرأ      بين إلا من فضل شيب الفؤاد  
وكذاك القلوبُ في كلُّ بُؤس      وتدميم طلائعُ الأجساد  
وقال أبو نواس :

وما إن شبتُ من كبرٍ ولكن      لقيتُ من الحوادث ما أشابا  
وقد تقدم قول المتنبي :

والهم يخترم الجسم نحافة      ويشيب ناصية الصبي ويهرم

## مثل الدنيا وآفاتها

### والخوف من نهايتها

جاء في كتاب كليله وديمته : وَجَدْتُ مَثَلَ الدُّنْيَا وَالْمَغْرُورِ بِهَا ، مَعَ امْتِلَانٍ  
بِالْآفَاتِ ، مَثَلَ رَجُلٍ أَلْجَأَهُ خَوْفُ فَيْلٍ هَانِجٍ إِلَى بَيْتٍ ، فَتَدَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّى  
بُغْصَنَيْنِ نَابَتَيْنِ عَلَى شَفِيرِ الْبَيْتِ ، فَوَقَعَتْ رِجْلَاهُ عَلَى شَيْءٍ فِي طَى الْبَيْتِ ، فَظَلَّ  
فَإِذَا بِحَيَاتٍ أَرْبَعٍ قَدْ أَطْلَعْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ جُحُورِهِنَّ ، وَنَظَرَ إِلَى أَسْفَلِ  
الْبَيْتِ فَإِذَا بِتِنَيْنِ <sup>(١)</sup> فَاغْرِيَاهُ نَحْوَهُ ، مُلْتَمِظِرٍ لَهُ لِيَقَعَ فَيَأْخُذَهُ ، فَرَفَعَ بَصْرَهُ

(١) التنين : ضرب من الحيات

إلى الغُصْنين فإذا في أصلهما أُجْرَدَانِ أَسْوَدٌ وَأَبْيَضٌ ، وهما يَقْرِضَانِ الغُصْنينِ  
دَائِبِينَ لَا يَفُتْرَانِ ، فبينما هو في النظرِ لأمره والاهتمام لنفسه ، إذ أَبْصَرَ  
قريباً منه كِوَارَةَ فيها عسلٌ نُحْلٍ <sup>(١)</sup> ؛ فذاق العَسَلَ ؛ فَشَغَلَتْهُ حلاوته وَأَلْهَمَتْهُ  
لَذَّتُهُ عن الفِكرَةِ في شيءٍ من أمرِهِ ، وأن يَلْتَمِسَ الخِلاصَ لنفسِهِ ؛ ولم  
يَذْكَرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ على حَيَاتٍ أَرْبَعٍ لَا يَدْرِي متى يَقَعُ عليهنَّ ، ولم يَذْكَرْ  
أَنَّ الجُرْذِينَ دَائِبَانِ في قِطْعِ الغُصْنينِ ؛ ومتى انْقَطَعَ رَقَعَ على التَّنِينِ . فلم يزلْ لاهياً  
غَافِلاً مُشْغولاً بِتلك الحلاوة حتى سَقَطَ في فَمِّ التَّنِينِ فَهَلَكَ . فَشَبَّهْتُ  
بِالْبُحْرِ الدُّنْيَا المملوءةَ آفَاتٍ وَشُرُوراً ، وَخَافَاتٍ وَعَاصِمَاتٍ ، وَشَبَّهْتُ بِالحَيَاتِ  
الأَرْبَعِ الأَخْلَاطِ الأَرْبَعَةَ الَّتِي في البَدَنِ ؛ فإنها متى هَاجَتْ أو أَحْدَها كانت  
كُحْمَةً <sup>(٢)</sup> الأَفَاعِي وَالسُّمَّ المُمِيتِ ، وَشَبَّهْتُ بِالغُصْنينِ الأَجَلَ الَّذِي لا بُدَّ  
مَنْ انْقِطَاعِهِ ؛ وَشَبَّهْتُ بِالجُرْذِينِ الأَسْوَدِ والأَبْيَضِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ اللَّذِينَ هُمَا  
دَائِبَانِ في إِفْنَاءِ الأَجْلِ ؛ وَشَبَّهْتُ بِالتَّنِينِ المَصِيرِ الَّذِي لا بُدَّ مِنْهُ ؛ وَشَبَّهْتُ  
بِالعَسَلِ هَذِهِ الحلاوةَ القليلةَةَ الَّتِي يَنَالُ مِنْهَا الإِنْسَانُ فَيَطْعَمُ وَيَسْمَعُ وَيَشْمُ  
وَيَلْمِسُ ، وَيَتَشَاغَلُ عَن نَفْسِهِ ، وَيَلْهُو عَن شَأْنِهِ ، وَيُصَدُّ عَن سَبِيلِ قُصْدِهِ ...

### عمرو بن العاص يصف حاله في احتضاره

قال عبد الله بن عباس : دخلتُ على عمرو بن العاص وقد احتَضِرُ ،  
فدخل عليه ابنُه عبد الله فقال له : يا عبدَ الله ، خُذْ ذلك الصُّندوقَ ، فقال :  
لا حاجةَ لي فيه ، قال : إنه مملوءٌ مالا ، قال : لا حاجةَ لي به ، فقال عمرو :

(١) الكوارة : خلية النحل

(٢) الحمة : ابرة النحلة ونحوها

كَيْتَهُ مَلُوءٌ بَعْرًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِنَّكَ كُنْتَ تَقُولُ :  
 أَشْتَهِي أَنْ أَرَى عَاقِلًا يَمُوتُ حَتَّى أَسْأَلَهُ : كَيْفَ يَجِدُ ، فَكَيْفَ تَجِدُكَ ؟  
 قَالَ : أَجِدُ السَّمَاءَ كَأَنَّهَا مُطَبَّعَةٌ عَلَى الْأَرْضِ وَأَنَا بَيْنَهُمَا ، وَأُرَانِي كَأَنَّمَا أَتَنَقَّسُ  
 مِنْ خَرْتِ إِبْرَةِ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ ، خُذْ مِنِّي حَتَّى تَرْضَى ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ :  
 اللَّهُمَّ ، أَمَرْتُ فَعَصَيْتَا ، وَنَهَيْتُ فَرَكَبْنَا ، فَلَا بَرِيءٌ فَأَعْتَذِرُ وَلَا قَوِيٌّ فَأَتَصَرُّ  
 وَلَكِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - ثَلَاثًا - ثُمَّ فَاطَ ۞ ۞ ۞ ، وَقَوْلُهُ : مِنْ خَرْتِ إِبْرَةِ يَعْنِي :  
 مِنْ ثَقَبِ إِبْرَةِ ، وَقَوْلُهُ : فَاطَ : أَي مَاتَ ،

### ماذا قال عبد الله بن الزبير

حين أتاه خبر مقتل أخيه المصعب<sup>(١)</sup>

لَمَّا أَنَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ خَبْرَ قَتْلِ الْمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ خَطَبَ النَّاسَ  
 فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ أَتَانَا خَبْرُ قَتْلِ الْمُصْعَبِ فُسِّرْنَا بِهِ وَاكْتَابْنَا  
 لَهُ ، فَأَمَّا السَّرُورُ : فَلَيْسَ قَدَّرَ لَهُ مِنَ الشَّهَادَةِ وَحِيزَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ ، وَأَمَّا الْكِتَابَةُ  
 فَلَوْعَةٌ يَجِدُهَا الْحَمِيمُ عِنْدَ فِرَاقِ حَمِيمِهِ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَاتُوتُ حَبَجًا كَيْتَةَ آلِ  
 أَبِي الْعَاصِي ، إِنَّمَا نَمُوتُ وَاللَّهُ قَتْلًا بِالرَّمَاحِ وَقَعْصًا تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ، فَإِنْ  
 يَهْلِكُ الْمُصْعَبُ فَإِنَّ فِي آلِ الزُّبَيْرِ مِنْهُ خَلْفًا ۞ ۞ ۞ الْحَبِيجُ : أَنْ يَأْكُلَ الْبَعِيرُ  
 لِحَاءَ التَّرْفُوجِ فَيَتَكَبَّبُ فِي بَطْنِهِ وَيَضِيقُ مَبْعَرُهُ عَنْهُ فَلَا يَخْرُجُ مِنْ جَوْفِهِ  
 قِيَهْلِكَ ، يُعْرِضُ بَنِي مِرْوَانَ وَيَنْعَى عَلَيْهِمْ كَثْرَةَ أَكْلِهِمْ وَإِسْرَافَهُمْ فِي مَلَاذِ  
 الشَّهَوَاتِ وَأَنْهُمْ يَمُوتُونَ بِاللُّخْمَةِ . وَاللَّوْعَةُ : الْحَرَقَةُ ، وَالقَعْصُ : الْقَتْلُ الْمَعْجَلُ  
 وَقَدْ قَعْصَهُ : إِذَا ضَرَبَهُ أَوْ رَمَاهُ فَمَاتَ مَكَانَهُ ، وَأَقْعَصَهُ كَذَلِكَ وَالْمَقْعَصُ : الْمَقْتُولُ ،

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام هو خليفة الحجاز ومصعب أخوه

## إذا ضيقت شيئاً ضاق جداً

وبما يؤثر في باب الصبر قول الشاعر :

إذا ضيقت شيئاً ضاق جداً      وإن هونت ما قد عزّ هانا  
فلا تهلك لشيء فات ياساً      فكلم أمرٍ تصعب ثمّ لانا  
سأصيرُ عن رقيق إن جفاني      على كل الأذى إلا الهوانا  
فإن المرء يجزع في خلاءٍ      وإن حضر الجماعة أن يهانا  
« ياساً مردود إلى قوله تهلك يقول : لاتهلك ياساً . وقوله : فإن المرء ...  
البيت يقول : إن المرء يجزع أن يهان كان وحده أو في جماعة »

## لا تلهفن على ما فاتك

ونورد هنا هذا المثل البديع وإن كانت شهرته قد كادت تبثله ... رَوَى  
الشعبي : أن رجلاً من بني إسرائيل صاد قُبْرَةَ ، فقالت : ما تريد أن تصنع  
بي ؟ قال : أذبحك فأكلك ! قالت : والله ما أشفي من قرم ولا أغني من  
من جوع ، أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلني : أما الواحدة فأعلمكها  
وأنا في يدك ، والثانية إذا صرت على هذه الشجرة ، والثالثة إذا صرت على الجبل ،  
فقال : هاتي ! قالت : لا تلهفن على ما فاتك ، نفخى عنها ، فلما صارت فوق الشجرة  
قال : هاتي الثانية ، قالت : لا تصدق بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت فصارت  
على الجبل ، فقالت : يا شقي لو ذبحتني لا خرجت من حوصلي درة فيها زنة  
عشرين مثقالاً ! قال : فتص على شفتيه وتلهف ؛ ثم قال : هاتي الثالثة ،  
قالت له : أنت قد نسيت الآثنتين ، فكيف أعلمك الثالثة ! ألم أقل لك  
لا تلهفن على ما فاتك ؟ فقد تلهفت على إذ فُتِك ، وقلت لك لا تصدق بما

لا يكون أنه يكون ا فصدقت ا أنا وعظي وريشي لأزن عشرين مثقالا ،  
فكيف يكون في حوصاتي ما ينها ا

### ومن قولهم في الحث على التعزى

وما قيل في الحث على الصبر والتعزى قولُ صالح بن عبد القدوس <sup>(١)</sup>  
إن يكن ما أصبتُ به جليلا فذهابُ العزاء فيه أجلُّ  
كلُّ آتٍ لاشكَّ آتٍ وذو الجَهِّ لى معنى والغم والحزنُ فضلُ <sup>(٢)</sup>  
وقال عبدُ الله بن محمد بن أبي عيَّنة بن المهلب بن أبي صفرة لظاهر  
ابن الحسين: <sup>(٣)</sup>

لما رأيتك قاعداً مُستقبلاً      آيقتُ أنكِ للهموم قرينُ  
فأرفضُ بها وتعرَّ من أثوابها      إن كان عندك للقضاء يقينُ <sup>(٤)</sup>  
مالا يكون فلا يكونُ بجيلةٍ      أبداً وما هو كائنٌ سيكونُ  
يسسى الذكى فلا ينالُ بسعيه      حظاً ويحظى عاجزٌ ومهينُ  
وكان ابن شبرمة <sup>(٥)</sup> إذا نزلتْ به نازلة يقول : سحابةٌ ثم تنشق <sup>(٦)</sup> وكان

(١) كان متهماً بالزندقة ومن ثم قتلته المهدي الخليفة العباسي إذ ضربه بالسيف  
فقطه نصفين وعلقه ببغداد

(٢) فضل يريد : زيادة ، أى لا يليق بالعاقل ، إذ لا جدوى من ورائه

(٣) أكبر أعوان المأمون بن الرشيد على أخيه الأمين

(٤) فأرفض بها : من رفض الشيء يرفضه (بالكسر والضم) رفضاً : تركه ،

والباء زائدة

(٥) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن المنذر من بنى سعد بن ضبة بن أد ، ولى

القضاء لطارق بن زياد خليفة خالد بن عبد الله القسرى لما أقام بواسط

(٦) تنشق : تنجلي

يقال : أربعٌ من كنوزِ الجنة : كتمانُ المصيبةِ ، وكتمانُ الصدقةِ ، وكتمانُ  
الفاقةِ ، وكتمانُ الوجدِ ...

## لكل غد طعام

قال أوس بن حجر :

ولستُ بخابئٍ أبداً طعاماً حذارَ غَدٍ لكلِّ غَدٍ طعامٌ  
وقبل هذا البيت :

وليس بطارقِ الجيرانِ مني ذبابٌ لا يُنيم ولا ينامُ <sup>(١)</sup>  
ولستُ بأطلَسِ الثوبينِ يُصبي حليلته إذا هدأ النيامُ <sup>(٢)</sup>

ومن كلام سيدنا علي : يا ابن آدم ، لا تحملْ همَّ يومك الذي لم يأتِ على  
يومك الذي أنت فيه ، فإنه إن يُعلم أنه من أجلك يأت فيه رزقك ، واعلم  
أنك لا تكسبُ من المالِ شيئاً فوق قوتك إلا كنتَ خازناً لغيرك فيه ...  
والأصل المقدم في هذا المعنى قول سيدنا رسول الله : من كان آمناً في  
سيرته <sup>(٣)</sup> ، معافى في بدنه ، عنده قوتُ يومه ، كان كمن حيزت له الدنيا  
بحدافيرها ... وقد تقدم

(١) كنى بالذباب عن الشر والأذى

(٢) حليلته : لا يريد امرأته ولكن أراد جارتها التي تحال له في جلته ، وكنى بأطلس  
الثوبين عن رميه بالقيح من قولهم : رجل أطلس الثوب : وسخه ، والطلسة : الغبرة  
تميل إلى السواد

(٣) المراد بالسرب دهنا : ما للرجل من أهل وولد ومال



## اللثام مَوْلَعُونَ

## بأيذاء الكرام

من أحسن ما قيل في شقاء الكرام باللثام والاختيار بالأشعار قول  
الشاعر الطِّرِمَاح بن حَكِيم - شاعر إسلامي ، قال بعض العلماء :  
لو تقدمت أيامه قليلاً لَفُضِّلَ على الفرزدق وجريير - انظر ترجمته في  
الأغاني - قال :

لقد زادني حُباً لنفسيَ أني      بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائلِ  
وأنى شَقِيٌّ باللثامِ ولا تَرَى      شقياً بهم إلا كريمَ السَّمائِلِ  
إذا ما رَأَى نَقَطَ الطَّرْفِ بيْنَهُ      وبينى فِعْلَ العارِفِ المتجاهِلِ  
مَلَأَتْ عليه الأَرْضُ حتى كأنَّها      من الضيقِ في عَيْنِهِ كِفَّةُ حابِلِ  
أَكُلُّ امرئٍ ألقى أباه مُقَصِّراً      مُعَادٍ لاهلِ المسكُراتِ الأوائلِ  
إذا ذُكِرَتْ مَسْعاةُ والده اضْطَئى      ولا يضْطَئى من شَمِّ أهلِ الفضائلِ

« قوله : لقد زادني ... أبيت يقول : لقد زادني أني بغيض إلى كل  
رجلٍ لا فضلَ فيه ولا خيرَ عنده حُباً لنفسي ، لأن التمايزَ بيني وبينه هو  
الذي أداهُ إلى بُغْضِي ، ولو كان بيننا تشاكلٌ لما كان كذلك ، فازددتُ  
بذلك حُباً لنفسي ، لأنني لو كنت مثله لأحْبَبْتَنِي ؛ وغير طائل قال الخليل بن  
أحمد : يقال للشئء الدون : هذا غيرُ طائل ... وقوله : وأنى شقى باللثام ...  
أبيت يقول : وزادني حُباً لنفسي أيضاً شقوتي باللثام حتى تنقصوني وأصغوا  
إنائي واغتابوني ؛ ثم قال : ولا ترى أحداً يشقى بهم إلا وهو كريمُ الأخلاق  
وقوله : إذا ما رَأَى ... أبيت يقول : إذا أبصرني آرتد طرفه عنى وقطع

نظره ، فَمَلَّ من يعرف الشيء ويتكأف جهله ؛ ويقال : ملأتُ عليه الأرض إذا ضيقَتْها عليه ، أما إذا قلتَ : ملأتُ منه الأرض فمعناه : أنك قتتَ وقعدتَ بِذِكْرِهِ ؛ والحابل : ناصبُ الحِبَالَةِ وهي التي يُصادُ بها ، وكفَّةُ الحابل : حِبَالَتُهُ التي بها يصيد ، وكل ما استدار فهو كِفَّةٌ : يقول في هذا البيت : قد ضاقت به الأرض من عداوتي فكأنني ملأتُها عليه ، ويجوز أن يكون المرادُ : أنه يخافني في كل مسلك يسلكه ... وفي معنى هذا البيت قول القائل :

كَأَنَّ حِجَابَ الْأَرْضِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ

على الخائفِ المطلوبِ كِكْفَةُ حَابِلٍ

وقوله : إذا ذُكِرْتَ ... ألبيت فالمسعاةُ : السَّعْيُ ، وهو العملُ ، واضطني : افتعل من الضنى ، يقال : ضنى يَضْنِي : إذا دَقَّ وصغُرَ جسمه ، ومن ثم سُمِّيَ المرضُ ضَنْيً ، لما يُورِثُ من الهزال ، يقول : إنه يَضْنِي إذا ذُكِرَ صنيعُ والده ، لُقْبِهِ : ومع هذا يَشْتُمُ أهلَ الفضائل ولا يَضْنِي من ذلك ، بصفه بالِقِحَّةِ .

## أبيات في الصبر والشجاعة والكرم

قال عبدالعزيز بن زرارَةَ الكلبي - وقد كان في الجيش الذي بعثه معاوية بن أبي سفيان لغزو بلاد الروم سنة ٤٩ هـ فارغوا فيها حتى بلغوا القسطنطينية ، فافتتل المسلمون والروم قتالا شديدا ، ولم يزل عبدالعزيز هذا يتعرض للشهادة وهو يقول هذه الأبيات ، ثم حَمَلَ على من بليه نقتل خائفاً كثيراً وانفوس بينهم فشجره الروم بره احهم فقتلوه ؛ والأبيات :

قَدِ عَشْتُ فِي الدَّهْرِ أَلْوَانًا عَلَى طُرُقِ سَتَى وَقَاسَيْتُ فِيهَا اللَّيْنَ وَالْفَطْمَا

كَلَّا بَلَوْتُ فَلَا الذَّمَّاءُ تُبْطِرُنِي وَلَا تَحْشَعْتُ مِنْ لَأَوَائِهَا جَزَعًا  
 لَا يَمَلُّ الْهَوْلُ صَدْرِي قَبْلَ مَوْعِهِ وَلَا أُضِيقُ بِهِ ذَرْعًا إِذَا وَقَعَا  
 «على طرق يروي : على خاق ، والفظع : مصدر نَطَعَ الأمر فظاعة : اشتد  
 وَشُنِعَ وجاوز المقدار ، وقبطني : تَحَمَّلْنِي على البطر ، وهو : الطغيان في  
 النعمة ، والأواء : الشدة والمشقة وضيق العيش ، وقوله : لَا يَمَلُّ الْهَوْلُ ...  
 البيت : من أحسن ما قيل في الشجاعة ، وقال الخطيب من أبيات يمدح بها بعض  
 الأجواد :

فَتَى غَيْرُ مِفْرَاحٍ إِذَا الْخَيْرُ مَسَّهُ وَمِنْ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ غَيْرُ جُزُوعٍ  
 وَذَاكَ فَتَى إِنْ نَأَتْ فِي صَنِيعَةٍ إِلَى مَالِهِ لَا تَأْتِيهِ بِشَفِيعٍ  
 «الصنعة : اسم لكل ما تُسديه من إحسان يد وصلة معروف ،  
 وأنشدوا :<sup>(١)</sup>

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ وَضَاقَ بِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ  
 وَأَرْطَنَتِ الْمَسْكَارَةُ وَاطْمَأَنَّتْ وَأَرَسَتْ فِي مَكَامِنِهَا الْخَطُوبُ  
 وَلَمْ تَرَ لَانْكَشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغْنَى بِحِيلِهِ الْأَرِيبُ  
 أَنْكَ عَلَى مُنَوِّطٍ مِنْكَ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ  
 وَكُلَّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ فَفَقُرُونٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ

### أبيات حكيمة

رإلك أبياتاً حكيمةً لشاعر جاهلي قديم يسمي : الأضبط بن قريع بن  
 عوف بن كعب بن سعد ، رهط الزبيرقان بن بدر ، وهو الذي أساء قومه

(١) رواها أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم راوية الأصم

بِجَاوَرَتِهِ ، فَانْتَقَلَ عَنْهُمْ إِلَى آخِرِينَ فَفَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ : « أَيْنَمَا أَوَّجَهُ أَلْتَقَى سَعْدًا » <sup>(١)</sup> وَقَالَ : « بِكُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ ، وَإِلَيْكَ هَذِهِ الْآيَاتُ :

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْهَمِّ سَعَةٌ      وَالْمُسَى وَالصَّبِيحُ لِأَفْلَاحٍ مَعَهُ  
مَا بَالَ مَنْ غَيْبُهُ مُصِيبُكَ لَوْ      يَمْلِكُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ وَزَعَهُ  
أَذُودٌ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي      يَا قَوْمٍ مَنْ عَاذِرِي مِنَ الْخُدَعَةِ  
حَتَّى إِذَا مَا نَجَلْتَ عَمَائِتَهُ      أَقْبَلَ يَلْحَى وَغَيْهَ فَجَعَهُ  
قَدْ يَرْفَعُ الثَّوْبَ غَيْرُ لَابِسِهِ      وَيَلْبَسُ الثَّوْبَ غَيْرُ مَنْ رَفَعَهُ  
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ      مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهُ  
وَصَلَ جِبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ      بَلْ وَأَقْصِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ  
وَلَا تَهِنِ الْفَقِيرَ عِلَّكَ أَنْ      تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

« المسى : اسم من الإسماء ، والصبيح : اسم من الإصباح ، والفلاح هنا : البقاء والعيش قال عبيد بن الأبرص :

أَفْلَحَ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُدْ      رَكَ بِالضَّعْفِ وَقَدْ يُخَدِّعُ الْأَرِيْبُ

يقول : لابقاء مع كره الليل والنهار . والفلاح أيضا : الفوز ومنه قولهم في

الأذان : حتى على الفلاح ، والغنى : الخيبة والحرمان قال المرقس الأكبر :

فَنَ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسَ أَمْرَهُ      وَمَنْ يَغْوَلَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَى لَأَنَّمَا

وجملة : لو يملك ؛ حالية ، ووزعه : منعه وكفه ، يقول : ما بال من تتألم

لخبثته وسوء حاله فإذا وجد شيئا من الخير كفه عنك ، ويروى هذا البيت

على وجه آخر ، وقوله أذود عن حوضه : هو مثل للحماية ودفع المكروه عنه ،

والخدعة : قوم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ... ..

(١) يريد : أقر من الأذى إلى مثله

والعماية : الشدة التي تلتبس منها الأمور ، يقال : عَمِيَ عليه الأمر : إذا التبس ، وأقبل : شرع ، ويلجى : يلوم ، وغيه : ضلاله ، وخبه : أصابه بمكروه وصل جبال البعيد ... البيت يعني : تقرب إلى البعيد النسب إذا طلب قربك واهجر القريب النسب إذا هجرك ، أخذه الأعشى فقال :

وَلَا تُدْنِ وَصَلًا مِنْ أَخٍ مُتَبَاعِدٍ      وَلَا تَنْتَأَنَّ عَن ذِي بَغْضَةٍ أَنْ تَقْرَبَا  
فَإِنَّ الْقَرِيبَ مِنْ يُقْرَبُ نَفْسَهُ      كَلَعْمُرٍ أَبِيكَ الْخَيْرَ لَا مَنْ تَنْسَبَا

وقوله ولا تهين الفقير الخ فالإهانة : الإيقاع في الهون ( بضم الهاء ) والهوان وهما بمعنى الذل والحقارة ، وعل : لغة في لعل وهي هنا بمعنى عسى ، والركوع : أراد به الانحطاط في المرتبة والسقوط في المنزلة ، ومثل هذا البيت في المعنى قول القائل :

عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إن منعتَه      في اليوم سُؤلاً أن يكون له غدٌ  
وهذا البيت يستشهد به النحاة على أن نون التوكيد الخفيفة تحذف لالتقاء الساكنين والأصل تُهَيِّنَنَّ بالنون الخفيفة ، وروى : ولا تعاد ، وروى لا تحقرن الفقير فلا شاهد فيه ؛ وفي معنى هذا البيت أيضا يقول عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب :

إِذَا خَلَّةٌ نَابَتْ صَدِيقَكَ فَاعْتَنِنِمْ      مَرَمَّتْهَا فَالْدَهْرُ بِالنَّاسِ قُلُوبُ  
وَبَادِرٌ بِمَعْرُوفٍ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا      زَوَالَ اقْتِدَارٍ أَوْ غِنَى عَنكَ يُعَقِبُ  
« الخلة : الحاجة والفقروفي المثل » الخلة تدعو إلى السلة ، والسلة : السرقة ومرمتها : إصلاح ما فسد منها ، وناب : كشير التقلب من حال إلى حال ، وزوال : مفعول ببادر ، وعنك : متعلق بزوال ، ويعقب : صفة له ، يقول : يأتي الزوال عقب الاقتدار والغنى ، ويقول تميم بن مقبل :

فَأَخْلَفَ وَأَتْلَفَ إِنَّمَا الْمَالُ عَارَةٌ فَكَلَّهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ آكِلُهُ  
فَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ وَأَيْسَرُ هَالِكٍ عَلَى الْحَيِّ مَنْ لَمْ يَبْلُغِ الْحَيَّ نَائِلُهُ  
«فأخلف: يريد استغنى خلف ما أتلفت، وقد أخلف فلان لنفسه: إذا ذهب  
له شيء فجعل مكانه آخر، وعارة: معار، والعارة والعارية: ما يتداول بين  
الناس، ويقول جرير:

وَإِنِّي لَأَسْتَحِي أَخِي أَنْ أَرَى لَهُ عَلَى مِنَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَرَى لِيَا  
«يقول جرير: إني لأستحي أخي أن يكون له على فضل ولا يكون لي عليه فضل  
ومنى إليه مكافأة، فأستحي أن أرى له على حقا لما فعل إلى ولا أفعل إليه ما يكون  
لي به عليه حق، قال المبرد: وهذا من مذاهب الكرام ومما تأخذ به أنفسها»

### أبيات من لم يروها فلا مروءة له

وهذه أبيات كانوا يقولون: إنه من لم يروها فلا مروءة له. وهي لشاعر  
يسمى أَيْمَنَ بْنَ حُرَيْمِ بْنِ فَاتِكِ الْأَسَدِيِّ، شاعر شريف فارس، وكان  
يتشيع، وأبوه خريم له حجة، وهو ممن اعتزل الجمل وصفين وما بعدهما من  
الأحداث، وقيل: إن هذه الأبيات للأقيشر، وهو شاعر إسلامي، قال:

وَصَهْبَاءُ جُرْجَانِيَّةٍ لَمْ يَطْفُ بِهَا	حَنِيفٌ لَمْ تَنْقُرْ بِهَا سَاعَةً قَدْرُ
وَلَمْ يَحْضُرِ الْقَسَّ الْمُهَيَّبِ نَارَهَا	طُرُوقًا وَلَمْ يَشْهَدْ عَلَى طَبِخِهَا حَبْرُ
أَتَانِي بِهَا يَحْيَى وَقَدْ زِمْتُ نَوْمَةً	وَقَدْ غَابَتِ الشُّعْرَى وَقَدْ طَلَعَ النَّسْرُ
فَقَلْتُ: أَعْتَبْتُهَا أَوْ لَغَيْرِي فَاسْقَهَا	فَمَا أَنَا بَعْدَ الشَّيْبِ وَبَيْكِ وَالخُرُ
تَعَقَّقْتُ عَنْهَا فِي الدُّصُورِ الَّتِي خَلَّتْ	فَكَيْفَ النَّصَابِي بَعْدَ مَا كَلَّ النَّعْرُ
إِذَا الْمَرْءُ وَفَى الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ	لَهُ دُونَ مَا يَأْتِي حَيَاءٌ وَلَا سِتْرُ

فدَعَهُ وَلَا تَنْفَسُ عَلَيْهِ الَّذِي ارْتَأَى وَإِنْ جَرَّ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ لَهُ الدَّهْرُ  
 «الصهباء: الخمر، سميت بذلك لونها - والذهبية من الألوان: الشقرة - قيل:  
 الصهباء هي الخمر التي عُصِرَتْ مِنْ عِنَبٍ أَيْضَ، وقيل: هي التي تكون من  
 العنب ومن غيره إذا ضَرَبَتْ إِلَى الْبَيَاضِ، وقال أبو حنيفة الدِّينَوْرِيُّ: الصهباء  
 اسم للخمر كالعَلَمِ. وجرجانية: نسبة إلى جرجان، وكانت مشهورة بنوع من الخمر  
 والحنيف: المسلم، ونفرت القدر: غَلَت، والمهيم: الذي يقرأ بصوت خفي غير  
 بَيِّن لا يفهم، والطروق: الحضور ليلاً، والخبر واحد الأحبار: رئيس من  
 رؤساء الدين المسيحي، ورئيس الكهنة عند اليهود، وقوله: وقد غابت الشعرى ...  
 قال البكري شارح الأمالى: هذه الرواية الصحيحة، أما رواية: وقد غابت الشعرى  
 وقد جَنَحَ النسر، فهي خطأ، قال: لأن الشعرى العبور إذا كانت في أفق  
 المغرب كان النسر الواقع طالماً من أفق المشرق على نحو سبع درجات، وكان النسر  
 الطائر لم يَطْلُعْ، وإذا كانت الشعرى الغميصاء في أفق المغرب كان النسر الواقع  
 حينئذ غير مُكَبَّدٍ - كَبَّدَ النجم السماء: توسطها - فكيف أن يكون جانحاً؟  
 وكان النسر الطائر حينئذ في أفق المشرق طالماً على نحو سبع درجات أيضاً  
 قال الشاعر:

وإني وعبد الله بعد اجتماعنا  
 لكالنسر والشعرى بشرق ومغرب  
 يلوح - إذا غابت من الشرق - شخصه  
 وإن تُلح الشعرى له يتغيب  
 وقال أبو نواس:

وتخارية نبتها بعد هجعة  
 وقد لاحت الجوزاء وانغمس للنسر  
 فقالت: من الطراق؟ قلت: عصابة  
 خفاف الأداوى يبتغى لهم الخمر  
 والشعرى سابقة في الطلوع للجوزاء ولذلك سميت كلب الجبار، والجبار

اسم للجوزاء... والاعتباق : شُرْب العشي ، وويك : ويك ، وكلا : انتهى  
إلى آخره وأقصاه ، ويقال : بلغ الله بك أكلأ العمر : أى آخره ، ولا تنفس :  
لا تحسد ، وارتأى : افتعل من الرأى . وفى هذا المعنى يقول الأعراب الشئى :  
إذا ما المرء - قَصَرَ ثم مَرَّتْ عليه الأربعةون - من الرجال  
ولم يلحق بصالحهم فدَّعه فليس بلاحي أُخرى الليالى

### حكيم ومواعظ

قال عبد الله بن عباس : كَتَبَ إِلَى علي بن أبي طالب رضى الله عنه  
بموعظة مأسررتُ بموعظة سُرورى بها ! أما بعد ، فإن المرءَ يُسرُه دَرُكُ  
مالم يكن ليقوته ، ويسوءه قوتُ مالم يكن ليدركه ، فسا نالك من دنياك  
فلا تُكثيره فرحا ، وما فاتك منها فلا تُتبعه أسفا ، فليكن سرورك  
بما قدّمت ، وأسفك على ما خلفت ، وهمك فيما بعد الموت ... « يقول  
على : إن كلَّ شيء يُصيب الإنسان فى الدنيا من نفعٍ وصَرٍ فيقضاه من الله  
تعالى وقدره ، غير أن الناس لا ينظرون حقَّ النظر فى ذلك ، فيُسِرُّ الواحد  
منهم بما يُصيبه من النفع ، ويُساء بقوت ما يفوته منه ، غير عالم بأن ذلك  
النفع الذى أصابه كان لا بُدَّ أن يُصيبه ، وأن ما فاتته منه كان لا بُدَّ أن  
يفوته ، ولو عَرَفَ ذلك حق المعرفة لم يفرح ولم يحزن ، وإنما الأخلق  
بالعاقل أن يأسف على ما فاتته ويُسرَّ بما قدّمه ، من الخير والعمل الصالح  
الذى يُجدى عليه فى العالم الباقى - الآخرة »

ومن كلمة للحسن البصرى : تَلَقَى أَحدهم أبيضاً بضاً يملأخ فى الباطل  
ملأخا ، ينفُض مِذْرَوِيه ، وَيُضِرِبُ أَصْدَرِيه ، يقول : هاأناذا فاعرِفونى ا  
قد عَرَفْتَاك فَمَتَّك اللهُ وَمَتَّك الصالحون ... « قوله : أبيض بضاً



فالبض : الرقيق اللون الصافي الذي يُؤثر فيه كل شيء ، ويروون : أن معاوية بن سفيان قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الشام وهو أبض الناس - أرثهم لونا وأحسنهم بشرة - فضرب عمر يده على عضده ، وقال : هذا ، والله ، لتشاغلك بالحمامات وذوو الحاجات تقطع أنفسهم حشرات على بابك... وقوله : يملخ في الباطل ملخا : أى يكثر تردده في الباطل ، أو يمر فيه مرآ سهلا ، وقوله : ينفض مذبويه ويضرب أصدرية فينفض ويضرب : يحرك ، ومذبواه : جانباه ، وقيل : فرعا الآلتين ، وقيل : طرفا كل شيء ، وأراد الحسن : فرعى المنسكبين ، ولا واحد لهما ، وهو الصحيح ، والأصدران : عرقان يضربان تحت الصدغين ، لا يفرد لهما واحد كذلك ، ويريد الحسن : منسكبيه أيضا ، والعرب تقول : جاء فلان يضرب أصدرية وينفض مذبويه يريدون : جاء مختالا ، وقد يريدون : جاء باغيا يهدد كما قال عنزة :

أحولى تنقض استك مذبويها لتقتلى فها أنا ذا عمارا

« عمارا يريد : يا عمارة ،

وقال بعضهم : شهدت الحسن البصرى في جنازة أوزجاء العطاردي وهو على بغلة والفرزدق يسايره على نجيب ، وكنت على حمار لي ، فدنوت منهما ، فسمعت الفرزدق يقول للحسن : يا أبا سعيد ، أتدرى ما يقول أهل الجنازة؟ قال : وما يقولون؟ قال : يقولون : هذا خير شيخ بالبصرة ، وهذا شر شيخ بالبصرة ، قال : إذن يكذبوا يا أبا فراس أرب شيخ بالبصرة مشرك بالله ، فذلك شر من أبي فراس ، ورب شيخ بالبصرة ذى طمرين لا يؤبه

له لو أقسم على الله لأبره<sup>(١)</sup> ، فذلك خير من الحسن يا أبا فراس ...  
ولهذا الحديث تمة ولكننا نتجزأ بهذا الشطر منه لتكون المعانى متصلة  
بعضها ببعض .

ونختتم هذا المعنى بأبيات مشهورة ولكنها لا تزال جديدة لأنها بعيدة  
القور موفية على الغاية فى الصدق والسداد، وهى أبيات اختارها أبو تمام  
فى حماسته ونسبها لعباس بن مرداس الصحابى الشاعر، وقال أبو رياش: إنها  
لمعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب معود الحكماء<sup>(٢)</sup> وهذه هى الأبيات كما  
رواها أبو على القالى فى الأمالى :

ترى الرجلَ النحيفَ فتزدرية      وفى أتوايه أسدٌ هصور<sup>(٣)</sup>  
ويُعجبك الطيرُ فتبتليه      فيُخلفُ ظنك الرجلُ الطير<sup>(٤)</sup>  
بغاثُ الطيرِ أطولها رقاباً      ولم تطلُ البزاةُ ولا الصقور<sup>(٥)</sup>

(١) الطمر: الثوب الخلق البالى . وهذه كلمة الحسن من الحديث: رب ذى طمرين  
لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، يقول : رب ذى خلقين أطاع الله حتى لو سأل  
الله تعالى أجابه

(٢) سمى معود الحكماء بقوله :

سأعقلها وتحملها غني      وأورثُ مجدها أبداً كلاباً  
أعودُ مثلاً الحكماء بعدى      إذا ما عضلُ الحدانِ ناباً

(٣) هصور يروى : مزير ، والهصور : الأسد الشديد الذى يفترس ويكسر

والمزير : الشديد القلب القوى النافذ ومن معانيه : العاقل الحازم

(٤) الطير : ذو الرواء والمنظر والجمال والهيئة الحسنة

(٥) البغات بفتح الباء رضمها : كل طير ليس من جوارح الطير ، أى لا يصيد ، ويضرب

بها المثل فى اللزم والشر ، وفى الضعف ، قالوا : إن البغات بأرضنا يستنسر ، يضرب  
مثلاً للثيم يرتفع أمره

حَشَّاشُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مَقْلَاتُ نَزُورٍ (١)  
 ضِعَافُ الْأَسَدِ أَكْثَرُهَا زَمِيرًا وَأَصْرَمُهَا اللَّوَاتِي لَا تَزِيرُ  
 وَقَدْ عَظَّمَ البَعِيرَ بِغَيْرِ لُبٍ فَلَمْ يَسْتَعْنِ بِالعِظَمِ البَعِيرُ  
 يُنَوِّحُ ثُمَّ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوِي فَلَا عُرْفٌ لَدَيْهِ وَلَا تَكْبِيرُ (٢)  
 يُقَوِّدُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ أَرْضٍ وَيَنْحَرُهُ عَلَى الثَّرْبِ الصَّغِيرِ  
 فَمَا عَظَّمَ الرِّجَالِ لَهُمُ بَزِينٍ وَلَكِنْ زَيْنُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ (٣)

### في الموت

قال المتنبي في الموت :

وما الموتُ إلا سارقٌ دَقَّ شِئْصُهُ يَصُولُ بِلا كَفِّ وَيَسْعَى بِلا رِجْلِ  
 ومن غريب ما قيل في مدح الموت قولُ ابن الرومي :

قد قلتُ إذ مَدَحُوا الحَيَاةَ فَأَكْثَرُوا لِلدَّوْتِ أَلْفَ فَضِيلَةٍ لَا عَرْفُ  
 فِيهَا أَمَانٌ لِقَائِهِ بِلِقَائِهِ وَفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يَنْصُبُ

أقول : لعل ابن الرومي يريد أن يقول : إن للدوت مزايا لا تنحصى ،  
 وقل من يعرفها ، ولو لم يكن فيها إلا أننا بقاء الموت نظن بقاء  
 المرثي - وناهيك بفضائله - وبفراق غيره من المعاشرين القليل الإنصاف لكان  
 في ذلك الفضل كله للدوت ، وقال المتنبي :

(١) خشاش الطير : شرارها وما لا يصيد منها ، كالبغاث ، والمقليات : التي تلد  
 واحداً ثم لاتلد بعد ذلك وقيل : التي لا يعيش لها ولد ، والقلت : الهلاك تقول :  
 أقلت المرأة : إذا هلك ولدها ، والنزور : القليلة الأولاد

(٢) ينوخ : يبرك ، نوخ الجمل وأناخه : فاستناخ : أبركه فبرك

(٣) الخير : الكرم ، وهو أيضاً : الشرف

وقد فارقَ النَّاسَ الأَحِبَّةَ قَبْلَنَا      وَأَعْيَا دِرَاءُ المَوْتِ كُلَّ طَيبِ  
 سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا      مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْتِهِ وَذُؤُوبِ  
 تَمَلَّكَهَا الآتِي تَمَلَّكَ سَالِبِ      وَفَارَقَهَا المَاضِي فِرَاقِ سَلِيبِ  
 وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشُّجَاعَةِ وَالتَّدَى      وَصَبْرِ الفَتَى لَوْلَا إِفَاءُ شَعُوبِ

• يقول في البيت الرابع : لولا الموت لما كان لهذه المعاني فضل ، وذلك أن الناس لو أمثوا الموت لما كان للشجاع فضل على الجبان ، لأنه قد يقن بالخلود ، وكذلك لو أمثوا الموت لاستوى الكريم والبخيل والصابر والجازع ، وكذلك كل الأشياء ، وقال أيضاً :

إلْفُ هذا الهَوَاءِ أَوْقَعَ فِي الأَنفِ      سِ انَّ الحِمَامَ مَرَّ المَذَاقِ  
 وَالأَتَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزُ      وَالأَسَى لا يَكُونُ بَعْدَ الفِرَاقِ

قال أبو العلاء المعرّي : إن هذين البيتين يفضلان كذب الفلاسفة لأنهما متاهيان في الصدق وحسن النظام ، ولولم يقل شاعرهما سواهما لكان له شرفٌ منهما وجمال ...

يقول المتنبي : إن خوف الموت من أكاذيب النفس ، ومن إلفنا هذا الهواء ، وإلا فقد علم أن الحزن على فراق الروح قبل فراقه عجز ، وعلم أيضاً أن الحزن على المفارقة لا يكون بعد الموت ، فلماذا يحزن الإنسان ؟

## طائفة من عبقرياتهم في التعازي

ولذمطف الآن على الباب الثالث « عبقرياتهم في الصبر والدنيا والموت  
والمرض » فلنسر فيه ولنورد عليك سائر عبقرياتهم في التعازي ثم نختم  
الباب بعبقرياتهم في المرض وما يتصل به .

## التسلية بعد وقوع المحذور

قالوا: كل شيء يبدو صغيراً ثم يعظم، إلا المصيبة، فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر  
واشتمكى ابن لِعَمْرَ بن عبد العزيز رضى الله عنه فجزع عليه ، ثم مات ،  
فروى مُتَسَلِّياً ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : إنما كان جَزَعِي رِقَّةً له ورحمةً ،  
فلما وقع المصابُ زال المحذور ... ومَرِضَ ابن لبعض السلف فجزع ، ثم  
مات فلم يجزع ، فقيل له ا فقال : أما بعد وقوع الامر فلم يبق إلا الرضا  
والتسليم ... وقال البحترى :

صُوبَةَ الرِّزْمِ تُلْقَى فِي تَوَقُّعِهِ      مُسْتَقْبَلًا وَاِنْ قَضَاءَ الرِّزْمِ أَنْ يَقَعَا  
وَقَبْلَهُ قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ :

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا      إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

ومما يتصل بهذا المعنى قول أبي نواس يرثي المأمون :

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْزَرُ الْمَوْتِ وَحَدَه      فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْزَرُ  
وقال بعضهم : نزلتُ بامرأة ذاتِ أولادٍ وثروة ، فلما أردتُ الارتحال  
قالت : لا تُخَلِّني إذا وَرَدَتْ هَذَا الصُّفْعُ ، ثم آيَبْتُها بعد أعوام ، فوجدتها  
قد آفَقَرَتْ ونسكت أولادها ، وهي ضاحكةٌ مسرورة ، فسألْتُها ؟ فقالت :  
لأنى كنتُ ذاتِ شدةٍ وجه ، وكانت لي أحزانٌ ، فعلمتُ أن ذلك لِقَلَّةِ الشكر ،

وأنا اليوم بهذه الحالة أضحك شكرا لله تعالى على ما أعطاني من الصبر ...  
وقيل: إذا استأثر الله بشيء فآله عنه « آله عنه: أتركه وتأسل »

### من دواعي التسلي قرب اللحوق بالميت

كتب بعضهم: فيم الجزع ونحن على مدرجة المتوفى! « المدرجة: الطريق  
والمسلك، ... . دخل أحدهم على آخر وقد توفى له أخ فاشتد جزعه عليه،  
فقال: اذكر مصيبتك في نفسك تُنسك فقد غيرك، واذكر قول الله تعالى:  
إنك ميت وإناهم ميتون، وخذ بقول الشاعر:

وهون ما ألقى من الموت أن ما أصابك منه يا بني مصيبي  
وقال إبراهيم بن المهدي:

وإني وإن قد همت قبلي لعالمُ باني وإن أبطأتُ عنك قريبُ  
وقال آخر:

وهون وجدى أنى سوف أعتدى على إثره يوماً وإن نفس العمر

### من تعازي الملوك

وتسليمهم بأن الناس جميعا مُصابون

لما حضرت الإسكندر المقدوني الوفاة كتب إلى أمه: أن اصنعى  
طعاما يحضره الناس، ثم تقدمي إليهم: أن لا يأكل منه محزون، ففعلت،  
فلم يبسط أحدٌ إليه يده، فقالت: ما لكم لا تأكلون؟ فقالوا: إنك تقدمت  
إلينا أن لا يأكل منه محزون، وليس منا إلا من قد أصيب بجميم أو قريب  
فقالت: مات - والله - أبني! وما أوصى إلي بهذا إلا ليغزيني به ...

## التسلي بأنه معزى

لامعزى به

قال أبو فراس الحمداني في أبيات يعزى بها سيف الدولة بأخته :  
 هيهات ما في الناس من خالد لا بد من فقتد ومن فائد  
 كني المعزى لا المعزى به إذ كان لا بد من الواحد  
 وقال المتنبي من أبيات يمدح سيف الدولة ويرثي ابن عمه أبا وائل :  
 مهما يعزى الفقى الأمير به فلا يافداه ولا الجود<sup>(١)</sup>  
 ومن منانا بقاؤه أبدا حتى يعزى بكل مولود<sup>(٢)</sup>

## التسلي عن مضى بمن بقى

قيل لرجل مات امرأته نُفساء<sup>(٣)</sup> : عَظَمَ اللهُ أَجْرَكَ فيما أباد وبارك  
 فيما أفاد... وقال المتنبي في مرثية يعزى سيف الدولة بأخته الصغرى  
 ويسليه بالكبرى :

قاسمتك المنون شخصين جوراً جعل القسم نفسه فيك عدلاً<sup>(٤)</sup>

(١) يقول : إذا عزاه معز بهذا الميت فلا عزاه بجوده ولا شجاعته ، أى لا عدهما

(٢) يقول : أميتنا التي تمنناها هي بقاؤه أبداً حتى يعزى بكل من ولد ، يتقدمونه

ويبقى هو فيعزى بهم

(٣) النفاس : ولادة المرأة إذا وضعت ، والوالدة نفساء

(٤) يقول : قاسمك الموت شخصين فذهب بإحداهما وترك الأخرى ، فكانت  
 هذه المقاسمة جوراً لأنه كان من حَقك أن يتركهما وليكن هذا الجور عدل فيك

حيث تركك حياً وكانت المقاسمة في الأختين ، يعنى : إذا كنت أنت الباقي فالجور

عدل ؛ وهذا إذا نصبت القسم وجعلت الفعل للجور ، أما من رفع القسم فيكون

المعنى : أن القسم جعل نفسه عدلاً في الجور لأنه وإن أخذ الصغرى فقد أبى الكبرى

فَإِذَا قَسَمْتَ مَا أَخَذْتَ بِمَا أَتَى دَرْنَ سَرَى عَنِ الْفَوَادِ وَسَلَى (١)  
ولما ماتت الأخت الكبرى بعد ذلك رثاها فقال :

قَدْ كَانَ قَاسِمَكَ الشَّخْصِينَ دَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَقْدِيَّ بِالذَّهَبِ (٢)  
وعادَ فِي طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ إِنَّا لَنَنْغْفِلُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ  
مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقَتَا كَانِ بَيْنَهُمَا كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ (٣)

وفي هذه المرثية الثانية هذان البيتان البديعان :

طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَيْرٌ فَرِغْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ  
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْنُ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا شَرِقتُ بِالدمعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي

### من تسلى بماله من الثواب

وبعض تعازيهم

دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك - وكان قد أصابه الطاعون -  
فقال : دَعْنِي أَمْسَ قَرَحَتِكَ ، - وكان يقال : إِذَا كَانَ الْقَرُوحُ لَيْنًا يُرَجَى ،  
وإن كان خَشِنًا لَا يُرَجَى - فامتنع عبد الملك من أن يمَسَّها ، فعلم عمر لِمَ  
مَنَعَهُ ! فقال : دَعْنِي أَمْسُهَا ، فوالله لَأَنْ أُقَدِّمَكَ فَتَكُونَ فِي مِيزَانِي أَحَبُّ إِلَيَّ  
مِنْ أَنْ أَكُونَ فِي مِيزَانِكَ ! فقال : والله ، لَأَنْ يَكُونَ مَا تُرِيدُ أَحَبُّ إِلَيَّ

(١) أغدرن : مثل غادرن أي تركن وأبقين ، وسرى : أذهب ، وسلى : عزى وهذا  
البيت يؤيد رواية رفع القسم

(٢) يريد بالشخصين : أختيه الكبرى والصغرى وجعل الكبرى كالدرا لفاسته  
وجعل الصغرى ذهباً ، وجعل الكبرى كدر فدى بالذهب

(٣) من عاده القوم أنهم يرعون الإبل وهم في ذلك يسيرون نحو الماء فإذا بقي بينهم وبين  
الماء عشية فتلك الليلة ليلة القرب يقول : ما كان أقصر ما كان بينها من الزمان فكأنه  
ما بين القرب إلى الورد ، وهو ليلة



من أن يكون مأريدا فلمسها ، فقال : يا عبد الملك ، الحق من ربك فلا تكونن من الممتارين ... فقال : ستجدني إن شاء الله من الصابرين ...  
ولما مات عبد الملك عزى أباه الحسن البصرى بهذا البيت :  
وعوضت أجرا من فقيد فلا يكن      فتميدك لا يأتي وأجرك يذهب  
وروى : أن رجلا جزع على ابن له ، فشكى ذلك إلى الحسن ، فقال له :  
هل كان أبوك يغيب عنك ؟ فقال : نعم ، كان مغيبه عنى أكثر من حضوره  
قال : فاتركه غائبا ، فإنه لم يغيب عنك غيبة الأجر لك فيها أعظم مثل هذه  
الغيبة ... وقال أعرابي : وقد مات له ثلاثة بنين في يوم واحد ، فدفعهم  
وعاد إلى مجلسه ، فجعل يتحدث كأن لم يفقد واحدا ، فليم على ذلك ، فقال :  
ليسوا في الموت بيدع ، ولا أنا في المصيبة بأوحد ، ولا جدوى للجزع ،  
فعلام تلومونى !

### من مات له كثير من أهله

#### قصير

نظر رجل بالبصرة إلى امرأة فقال : ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك  
إلا من قلة الحزن ! فقالت : ما حزن كحزنى ! ذبح زوجى شاة ، ولى صبيان  
يلعبان ، فقال أحدهما للآخر : تعال أريك كيف ذبح أبو الشاة ، فذبحه ،  
ثم خاف فهرب إلى الجبل ، فرهقه ذئب ، فافترسه ، وخرج زوجى فى  
طأيه ، فاشتد عايه الحز فمات عطشا فقيل لها : كيف صبرت ؟ فقالت :  
لوجدت فى الحزن دركا ما اخترت عليه ... « رهقه : غشيه ، ودركا :  
تريد مداركة لما فات »

## ومن أدعيتهم لذوى المصيبة

ومن قولهم في الدعاء لذوى المصيبة : وَهَبَ اللَّهُ لَكَ عُمْرًا طَوِيلًا وَأَجْرًا جَزِيلًا وَصَبْرًا جَمِيلًا ؛ لَقَّكَ اللَّهُ الصَّبْرَ وَوَقَّكَ مَا يُحْبِطُ الْأَجْرَ . وقال رجل لابن عمر : عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكَ ، فقال : بل جعل الله لي العافية ... « وذلك أن تعظيم الأجر في تعظيم ما يؤجرُ عليه من المصيبة ، وقالوا : التعزية بعد ثلاثٍ تحديدٌ للمصيبة ، والتهنئة بعد ثلاثٍ استخفافٌ بالمؤدَّة ... »



« وبعد ، فأما عقرياتهم في المراني فإن لها موضعا آخر في هذا الكتاب كما أن عقرياتهم في المدح والثناء تراها في باب قد أفردناه لها . »

## عقرياتهم في الطب والمرض وعيادة المرضى

### معنى الطب

كلُّ حَازِقٍ بِعَمَلِهِ : طَيِّبٌ عِنْدَ الْعَرَبِ ، وَرَجُلٌ طَبُّ بِكَذَا : أَيْ عَالِمٌ بِهِ ثُمَّ صَارَ الطَّيِّبُ اسْمًا لِلْعَالِمِ بِمَدَاوَةِ أَبْدَانِ النَّاسِ ، وَقَالُوا : حَدُّ الطَّبِّ : مَعْرِفَةُ الدَّاءِ وَتَقْيِهِ بِالدَّوَاءِ ، أَوْ هُوَ : اسْتِدَامَةُ الصَّحَّةِ وَمَرَمَةُ السَّقَمِ .

### وصف طيب حاذق

قال السري الرفاء في طيب حاذق :

أَوْضَحَ نَهْجِ الطَّبِّ فِي مَعْتَبِرٍ      مَازَالَ فِيهِمْ دَارِسَ الرَّسْمِ (١)  
كَأَنَّهُ مِنْ لُطْفِ أَفْكَارِهِ      يَجُولُ بَيْنَ الدَّمِّ وَاللَّحْمِ

(١) ارسم : الاثر ، ودرس الرسم : عفا

لَوْ غَضِبْتَ رُوحٌ عَلَى جِسْمِهَا أَصْلَحَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجِسْمِ  
وقال أيضاً :

يَبْدُو لَهُ الدَّاءُ الْخَفِيُّ كَمَا بَدَأَ لِلدَّيْنِ رَضْرَاضُ الْغَدِيرِ الصَّافِي (١)

### الطبيب الجاهل

رأى فيلسوف طبيبا جاهلا فقال : هذا مُسْتَحْتٌ الموت ... وقال الشاعر  
المعروف بالخبز أُرْزِي (٢) في طبيب اسمه نُعْمَانُ :

أَقُولُ لِنُعْمَانَ وَقَدْ سَاقَ طِبَّهُ نَفُوسًا نَفِيسَاتٍ عَلَى سَاكِنِي الْأَرْضِ  
« أبا مُنْذِرٍ أَفْتَيْتَ فَاسْتَبْتِي بَعْضَنَا حَنَايَتِكَ بَعْضَ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ »  
« أَقُولُ : إِنْ الْبَيْتَ الثَّانِي لَطَرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ » ضَمَّنَهُ الْخَبَزُ أُرْزِي شِعْرَهُ «  
وقال آخر في طبيب :

لَمْ يَأْتِ فِي الْأَرْبَعَا عَلِيلًا إِلَّا دَفَنَاهُ فِي الْخَمِيسِ

وكان رجل يجتري التصوير ثم تركه وتطبب ، فقبل له في ذلك ؟ فقال :  
الخطأ في التصوير تُدْرِكُهُ الْعَيُونَ ، وَخَطَأُ الطَّيْبِ تُورِيهِ الْقُبُورُ ...

### مدح الحمية وذمها

قال قائل للحارث بن كَلْدَةَ - وكان طبيب العرب - : مَا الطَّبُّ فَقَالَ :  
هُوَ الْأَزْمُ ... وَمَرَادُهُ بِالْأَزْمِ : الْحَمِيَّةُ وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الْإِسْتِكثَارِ مِنَ  
الطَّعَامِ ... وَقِيلَ لِجَالِيئُوسٍ أَوْ لِأَبُقِرَاطَ : إِنَّكَ تُقَلُّ مِنَ الطَّعَامِ ! قَالَ :  
غَرَضِي مِنَ الطَّعَامِ أَنْ أَكُلَ لِأَحْيَا ، وَغَرَضُ غَيْرِي مِنَ الطَّعَامِ أَنْ يَحْيَا

(١) الرضراض : مَادِقٌ مِنَ الْحَصَى

(٢) اسمه نصر وكان شاعرا أميا وكان يخبز خبز الارز ، ترجم له ابن خلكان وياقوت

ليأكل ... وقالوا: لا تأكل ما تشتهي فيصيرك إلى ما لا تشتهي ... وفي الحديث:  
لا تُتكرِهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن الله يُطعمهم ويسقيهم ...  
وقالوا: الحمية للصحيح ضارة، كما أنها للعليل نافعة ... وقال الرشيد للنضل:  
ما أطيب ما في هذه الدنيا؟ فقال: رَفُضَ الحِشْمَةِ وتركِ عِلْمِ الطَّبِّ، فلا  
عَيْشَ لِمُحْتَشِمٍ ولا لَذَّةَ لِمُحْتَمِّمٍ ... وقالوا: مَنْ عَرَفَ ما يَضُرُّه مما يَنْفَعُهُ  
فهو مريض ... وقال أفلاطون: الموت موتان: طبيعي وإرادي؛ فالطبيعي  
مفارقة الروح للبدن، والإرادي تمنع الأبدان من الشهوات ... وقالوا:  
الأبدان التي اعتادت الحمية آفتها التخليط، والأبدان التي اعتادت التخليط  
آفتها الحمية ...

### شرب الدواء

قال سيدنا رسول الله: مَنْ اسْتَقَلَّ بَدَانَهُ فلا يَتَدَاوَنَ، فإنه رُبَّ دَوَاءٍ  
يُورِثُ الدَّاءَ ... وكانت الحِكْماءُ تقول: إِيَّاكَ وَشُرْبَ الدَّوَاءِ ما حَمَلَتْ صِحَّتَكَ  
دَاءَكَ ... وقالوا: مَثَلُ شُرْبِ الدَّوَاءِ مَثَلُ الصَّابُونِ لِلثَّوْبِ، يُنْقِيهِ وَلَكِنْ  
يُخَالِفُهُ وَيُبْلِيهِ ... وقال أبقراط: الدَّوَاءُ مِنْ فَوْقُ، والدَّوَاءُ مِنْ تَحْتِ،  
والدَّوَاءُ لِفَوْقِ ولا تَحْتِ، وَفَسَّرَ ذَلِكَ مُفَسِّرُوهُ فَقَالُوا: مَنْ كان دَاوَاهُ فِي  
بَطْنِهِ فَوْقَ سُرْتِهِ سَقَى الدَّوَاءَ، وَمَنْ كان دَاوَاهُ تَحْتِ سُرْتِهِ حَقَنَ، وَمَنْ لم  
يَكُنْ بِهِ دَاءٌ لَمْ يَكُنْ فَوْقَ ولا مِنْ تَحْتِ لَمْ يُسَقِ الدَّوَاءَ، فَإِنَّ الدَّوَاءَ إِذَا لم يَجِدْ  
دَاءً يَعْمَلُ فِيهِ وَجَدَ الصَّحَّةَ فَيَعْمَلُ فِيهَا ...

## سياسة الأبدان

بما يصلحها من الطعام وغيره

قال الحجاج بن يوسف الثقفي لثيادوق مُتَطَبِّيه<sup>(١)</sup> : صِفْ لِي صِفَةً آخُذْهَا  
 وَلَا أَعُدُّوْهَا ، قَالَ ثِيَادُوقُ : لَا تَتَزَوَّجُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا شَابَةً ، وَلَا تَأْكُلُ مِنَ  
 اللَّحْمِ إِلَّا فَتِيًّا ، وَلَا تَأْكُلُهُ حَتَّى يُنْعَمَ طَبْخُهُ ، وَلَا تُشْرَبَنَّ دِرَاءً إِلَّا مِنْ  
 عِلَّةٍ ، وَلَا تَأْكُلُ مِنَ الْفَاكِهِةِ إِلَّا نَضِيجَهَا ، وَلَا تَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا أُجِدَّتْ  
 مَضَعُهُ ، وَكُلُّ مَا أَحْبَبْتَ مِنَ الطَّعَامِ وَاشْتَرَبْتِ عَلَيْهِ ، وَإِذَا شَرِبْتَ فَلَا تَأْكُلِ  
 عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَلَا تَحْبِسِ الْغَائِظَ وَالْبَوْلَ ، وَإِذَا أَكَلْتَ بِالنَّهَارِ فَتَمِّمْ ، وَإِذَا أَكَلْتَ  
 بِاللَّيْلِ فَتَمِّشْ وَلَوْ خَمْسِينَ خُطْوَةً ... فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : إِذَا كَانَ الْأَمْرُ  
 كَمَا تَقُولُ فَلِمَ هَلَكَ أَبُقْرَاطُ وَلِمَ هَلَكَ جَالِينُوسُ وَغَيْرُهُمَا وَلِمَ يَبْقَى أَحَدٌ  
 مِنْهُمُ ؟ قَالَ : يَا بُنَيَّ ، قَدْ احْتَجَجْتَ فَاسْمَعْ : إِنْ الْقَوْمُ دَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا  
 يَمْلِكُونَ ، وَغَلَبَهُمْ مَا لَا يَمْلِكُونَ - يَعْنِي الْمَوْتَ وَمَا يَرُدُّ مِنْ خَارِجٍ ، كَالْحَرِّ  
 وَالْبَرْدِ وَالْوَقُوعِ وَالغَرَقِ وَالغَمِّ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ - ... وَقَالَ ثِيَادُوقُ أَيْضًا  
 لِلْحَجَّاجِ : أَرْبَعَةٌ تَهْدِمُ الْعَمَرَ وَرُبَّمَا قَتَلْنَ : دُخُولُ الْحَمَامِ عَلَى بَطْنَةٍ ، وَالْمَجَامَعَةُ  
 عَلَى الْإِمْتِلَاءِ ؛ وَأَكْلُ الْقَدِيدِ الْجَافِ<sup>(٢)</sup> ، وَشُرْبُ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الرَّبِيقِ ؛  
 وَمَا مَجَامَعَةُ الْعَجُوزِ بِبَعِيدَةٍ مِنْهُنَّ ... وَوَجَدَ الْحَجَّاجُ فِي رَأْسِهِ صُدَاعًا فَبَعَثَ  
 إِلَى ثِيَادُوقٍ وَأَحْضَرَهُ ، فَقَالَ : اغْسِلْ رِجْلَيْكَ بِمَاءٍ حَارٍّ وَأِذْهُنْهُمَا ، وَخَصِي  
 لِلْحَجَّاجِ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ الْخَصِيُّ : وَاللَّهِ ، مَا رَأَيْتُ طَبِيبًا أَقَلَّ مَعْرِفَةً

(١) ترجم له ابن أبي أصيبعة في طبقات الاطباء.

(٢) القديد : اللحم المجفف

بالبط منك ! شكى الأمير الصداع في رأسه فنصف له دواءً في رجله !  
فقال له : أما إن علامة ماقلتُ فيك بيّنةٌ ! قال الحصى : وما هي ؟ قال :  
نزعَتُ خُصيتاك فذهب شعْرُ خِيتِكَ ! فضحك الحجاجُ ومن حضر ...

\*\*\*

وقال عبد الملك بن مروان لأعرابي : إنك حسن الكبدنة ! قال : إني  
أدفي رجلي في الشتاء ، وأغفل غاشية الغم ، وآكلُ عند الشهوة ...  
ويقال : ثلاثة أشياء تُورث الهزال : شرب الماء على الريق ، والنوم على  
غير وطاء ، وكثرة الكلام برفع الصوت ... وقالوا : الدواء الذي لاداء معه :  
أن تجلس على الطعام وأنت تشهيه وتقوم عنه وأنت تشهيه .

وقال أرسطوطاليس : المَطْعَمُ والمشرب إذا كثرا على المعدة أظفأ  
نارها نَجرت الأغذية في البدن غير نضيجة ، فصارَ ذلك نقصانا للبدن يورث  
الفترة<sup>(١)</sup> ، كالشجرة ، إذا كثرت ماؤها عَفِنَتْ وإن قلَّ جَفَّت ، وكالسراج ، إذا  
قلَّ دهنه أو كثرت انظفا ... وقال بعضهم : مَنْ تَغَدَّى وتَعَشَّى ولم يأكل  
فيما بينهما ، سَلِمَ من الأوجاع ، لقول الله عز وجل : ولهم رزقهم فيها بُكرة  
وعشيّاً ... وقال بعض الأطباء : أحبُّ الناس إلينا : الرغيب البطن ، لكثرة  
حاجاتهم إلينا ... وأخبر بعض الأمراء بشيخ قد أتت عليه مائة وخمسون  
سنة في اعتدال جسمه ونضارة لونه ، فاستدعاه وسأله فقال : إن كان لي ما ترى  
من هذه الموهبة الجميلة سبَّب بعد تقدير الله تعالى فما أصفُّه : ما احتملتُ مهمًّا  
تبعُدُ عليَّ مدافعتُه ، ولا رأيتُ من زوجةٍ مكروها ، ولا اجتمعَ في بطني  
طعامان ، وإذا شربتُ شرابا تناولته رقيقا طيبا لا أتمل منه<sup>(٢)</sup> ، ولا أستدعي

(١) الفترة : الضعف والانكسار (٢) تمل يشمل : أخذ منه الشراب والسكر

الطبيعة من غير عارض ، وما استدعتُ للباه<sup>(١)</sup> حركة إلا أن يهيج بالطبيعة على القلب ، وإذا فعلتُ ذلك أقللتُ الحركة بقية يومى ... وقالوا : أضرتُ الأشياء للبدن : الفسكُ والسهر ، وأنك الأشياء للبدن : الخوف . وقال المأمون : قد أصبتُ دواء يبرئ ولا يؤكل ولا يشرب ا فليل : ما هو ؟ قال : النوم إثر الغداء ... وقالوا : إذا أكلت فاضطجع على جنبك الأيسر ، فإن الكبد يقع على المعدة فينضج الطعام فيهضمه ... وقالوا : غشيانُ المرأة المولدة يضعف القوة ويستقيم البدن ، لأنها كالشن البالى<sup>(٢)</sup> ، ماؤها سم قاتل ، تأخذ منك ولا تعطيك ...

### من تناول طعاما

وتحقق تولد علة منه

اجتاز رجلٌ بصديق له محموم فسأله عن سبب عليلته ؟ فقال : أكلتُ فى هذا الصيف فراخا وعسلا وشربتُ خمرأ صلبا - شديدة - ونمتُ فى الشمس ! فقال له : على كلِّ يمين ، لو كانت الحمى من حملة الشمس ورأتك بهذه الحالة اتركتُ عملها ورافتُك ... ونظر طبيبٌ إلى دهقان<sup>(٣)</sup> يفرسُ شجرة مشمش فقال له : ما تصنع ؟ قال : أعملُ لى ولك ا ا يعنى أن الطبيب ينتفع بالمشمش ، لسوء أثره على آكله ، وحاجتهم إلى الطبيب ، لما يتولد فيهم من الادواء لا كل الطرى منه ، وفى هذا المعنى يقول ابن الرومى :

إدما رأيت الدهر بُستانِ مشمش فأيقن بحق أنه لطبيب  
يغلُّ له ما لا يغلُّ لربه يغلُّ مريضا حمل كل قضيب

(٢) الشن : القرية الخلق

(١) الباه والباهة والباء والباة : الجماع

(٣) رئيس القرية

« يُغَلُّ لَهُ : أَى يَعطى الطيبَ من العَلَّة - وهى الدَّخَل - مالا يُعطيه لصاحبه ،  
وذلك أن حَمَلَ الغصنِ الواحد من كل شجرة مشمش من أشجار ذلك البُستان  
إذا أكله إنسان فإنه ينقلب مريضاً فيلجأ إلى الطيب ،

## الحمى

قال المتنبى :

وزائرتى كأن بها حياءً      فليس تزورُ إلا فى الظلامِ  
بَدَلْتُ لها المطارفَ والحشايا      فعاقبها وباتت فى عظامى  
يَضيقُ الجِلْدُ عن نفسى وعنها      فتوسَّعهُ بأنواعِ السَّقامِ  
إذا ما فارقتنى غَسَلتْنى      كأننا عاكفانِ على حرامِ  
كأنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُها فتَجْرِى      مدايمُها بأربعةِ سِجَامِ  
أراقبُ وقتها من غيرِ شوق      مُراقبَةً المشوقِ المُستَهَامِ  
ويصدُقُ وعُدها والصدُقُ شرٌّ      إذا ألقاك فى الكُربِ العِظامِ

« وقوله : وزائرتى ... البيت يقول : إن الحمى التى كانت تأتية ليلا ،  
كأنها حَيَّةٌ فليست تزور إلا فى الليل ... والمطارف فى البيت الثانى : جمع  
مُطَرَف وهى : أَرْدِيَّةٌ مُرَبَّعَةٌ من خَزِيٍّ فى جنبها عِلْمَانِ ، والحشايا  
جمع حَشِيَّةٍ : ما حِشَى من الفرش مما يُجْلِسُ عليه ، يقول . إن هذه الزائرة  
- الحمى - لا تبيت فى الفراش وإما تبيت فى عظامى . وقوله : يضيق الجلد .  
البيت يقول : يضيق جلده فلا يَسْمَعُها ولا يَسْمَعُ أنفاسى التى أتنفَسُها ، وهى  
مع ذلك تذهب بلحمى فتوسَّع جلدى بما تورِدُ عليه من ضروبِ السقم ،  
وقوله : إذا ما فارقتنى غَسَلتْنى ... يقول : إنه يَعرَقُ عند فراقها ، فكأنه



تغسله لِعُكُوفِهَا عَلَى مَا يُوجِبُ الْغُسْلَ ، وَإِنَّمَا حَصَّ الْحَرَامَ لِأَنَّهُ جَعَلَهَا زَائِرَةً غَرِيبَةً وَلَمْ يَجْعَلْهَا زَوْجَةً وَلَا مَمْلُوكَةً ... وَقَوْلُهُ : كَأَنَّ الصَّبْحَ ... أَلَيْتَ يَقُولُ : إِنَّهَا تَفَارِقُهُ عِنْدَ الصَّبْحِ فَكَأَنَّ الصَّبْحَ يَطْرُدُهَا ، وَأَنَّهَا إِذَا فَارَقَتْهُ تَجْرَى مَدَامِعُهَا مِنْ أَرْبَعَةِ سِجَامٍ ، يَرِيدُ : كَثْرَةَ الْعَرَقِ - عَرَقَ الْحُمَى - فَكَأَنَّهَا تَبْكِي عِنْدَ فِرَاقِهِ لِحُبِّهَا إِيَّاهُ ، وَأَرَادَ بِالْأَرْبَعَةِ : اللَّحَاطِينَ وَالْمُؤَوِّقِينَ لِلْعَيْنَيْنِ . وَقَوْلُهُ : أَرَأَيْتَ وَقْتُهَا الخ يَقُولُ : أُنْتَظِرُ وَقْتُ تَجْيِيشِهَا كَمَا يَنْتَظِرُ الْمَشُوقُ حَبِيبَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَرِيضَ يَجْزَعُ لَوُرُودِ الْحَمَى ، فَهُوَ يَرِاقِبُ وَقْتُهَا خَوْفًا لَا شَوْقًا . ثُمَّ قَالَ : وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا ، يَقُولُ : إِنَّهَا صَادِقَةٌ الْوَعْدِ فِي الْوُرُودِ . وَذَلِكَ الصَّدَقُ شَرٌّ مِنَ الْكُذْبِ ، لِأَنَّهُ صَدَقَ بِضُرِّهِ وَلَا يَنْفَعُ كَمَنْ أَوْعَدَ ثُمَّ صَدَقَ فِي وَعْدِهِ ... »

وقال المتنبي أيضاً :

وَمَنَازِلُ الْحَمَى الْجِسْمُ فَقُلْنَا مَا عُدْرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا  
أَعْجَبَتْهَا شَرَفًا فَطَالَ وَقُوفُهَا لِتَأْمَلِ الْأَعْضَاءِ لَا لِأَذَاتِهَا  
« يَقُولُ الْمُنْبِيُّ لِهَذَا الْمَعْدُوحِ - وَكَانَ مُصَابًا بِالْحَمَى - إِنَّ جِسْمَكَ خَيْرٌ  
الْأَجْسَامِ فَلَا عُدْرَ لِلْحَمَى فِي تَرْكِهِ ، لِأَنَّ مَحَلَّهَا الْأَجْسَامُ ثُمَّ قَالَ : إِنْ الْحَمَى  
لَمَّا رَأَتْكَ فِي الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ مِنَ الشَّرَفِ وَالْكَرَمِ وَالنَّبِيلِ أَعْجَبَتْهَا فَأَقَانَتْ  
فِي بَدَنِكَ لِتَأْمَلِ أَعْضَانِكَ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى تِلْكَ الْحَامِدِ ، لِأَنَّهَا تَرِيدُ أَنْ  
تُوذِيكَ ، ... وَقَالَ الشَّاعِرُ أَبُو الْفَتْحِ كُشَاجِمٌ <sup>(١)</sup> فِي عَلِيِّ بْنِ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشِ :  
وَلَقَدْ أَخْطَأَ قَوْمٌ زَعَمُوا أَنَّهَا مِنْ فَضْلِ بَرْدٍ فِي الْعَصَبِ

(١) هو محمود بن الحسين بن السندی بن شامك ، وشاعك أمه

هو ذاك الذهنُ أذكى نارهُ والمِزاجُ المُفْرِطُ الحَرَ التَّهَبُ  
 ودخل بَحْتَيْشُوعُ<sup>(١)</sup> على يَحْيَى بنِ خَالِدِ بنِ بَرْمَكٍ بِعَقِبِ حُمَى فقال  
 له : تَوَقَّ فَإِنِ حُمَى لَيْلَةٌ يَبْقَى فِي الْبَدَنِ تَأْتِرُهَا سَنَةٌ ١ — وَعِنْدَهُ وَكَيْعٌ فَقَالَ :  
 صَدَقَ ، فَقَالَ يَحْيَى : مَا أَقْرَبَ تَصَدِيقَكَ إِيَّاهُ ١ قَالَ : لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَال . حُمَى لَيْلَةٌ كَفَّارَةٌ سَنَةٌ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا مِنْ ذَاكَ ...

## الرمد

مَا يُسْتَحْسَنُ فِي عَيْنِ مَحْبُوبٍ رَمْدَاءُ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :  
 قَالُوا : اشْتَكَيْتُ عَيْنَهُ نَقَاتَ لَمْ : مِنْ شِدَّةِ الْفَنَكِ نَالَهَا الْوَصْبُ<sup>(٢)</sup>  
 حُمْرُهَا مِنْ دِمَاءٍ مَن تَمَلَّتْ وَالِدَمُّ فِي النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبُ<sup>(٣)</sup>  
 وَفِي مَعْنَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :  
 قَالُوا : الْحَبِيبُ شَكَا جُعِلَتْ فِدَاؤُهُ رَهْدًا أَضْرَّ بَعِيْنَهُ كَالْعِنْدَمِ<sup>(٤)</sup>  
 فَأَجَبْتُهُمْ : مَا زَالَ يَفْتِكُ لَحْظُهُ فِي مُهَجَّتِي حَتَّى تَلْطَئِحَ بِالْدَمِ

(١) بَحْتَيْشُوعُ بنُ جُورْجِسَ هُوَ طَيْبٌ يُونَانِي الْأَصْلُ ، اتَّصَلَ بِهَرُونَ الرَّشِيدِ  
 وَخَدَمَهُ وَكَانَتْ لَهُ مَنزَلَةٌ عِنْدَهُ ، وَكَانَ أَبُوهُ جُورْجِسَ طَيْبٌ أَبِي جَعْفَرِ الْمَصُورِ ،  
 وَابْنُهُ يَدْعَى جَبْرَائِيلَ بنَ بَحْتَيْشُوعِ ؛ كَانَ مِنْ أَمْهَرِ الْأَطْبَاءِ اتَّخَذَهُ جَعْفَرُ بنُ يَحْيَى الْبُرْمَكِيُّ  
 طَيْبِيهِ الْخَاصَّ وَحَظِي عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَنَالَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا لَمْ يَنَالِهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ مِنْهُمْ  
 (٢) الْفَنَكُ يَرُودُ : الْقَتْلُ ، وَالْفَنَكُ أَحْسَنُ ، وَالْوَصْبُ : الْمَرَضُ وَالْوَجَعُ الدَّائِمُ  
 وَقَدْ يَطْلُقُ عَلَى التَّعَبِ

(٣) النَّصْلُ : نَصْلُ السِّمِّ وَالسِّيفِ وَالرَّحْمِ وَقَدْ يُسَمَّى السِّيفُ نَصْلًا

(٤) الْعِنْدَمُ : صَبِغٌ أَحْمَرٌ يَحْتَضِبُ بِهِ

النقرس<sup>(٥)</sup>

كان أبو الفضل بن العميد يكسثر برجله النقرس ، فقتل له : لا تغمم فإن ذلك يؤذن بطول العمر ! فقال : طول العمر هو أن من به النقرس يسهر ، فيصير ليله نهاراً ، فكأما يتضاعف عمره ... وقال المبرد : ذكر أعرابي رجلاً قد أترى فقال : تنقرس ! كأنه سمع أن النقرس يكون مع النعمة ... ومنه قول الأعرابي :

ألا فاعجبوا من مُفلسٍ حلفِ نقرسٍ أما نقرسٍ في مُفلسٍ بعجيبٍ  
« فلان حلف كذا أي : حليفه وملازمه »

## عودٌ إلى عبقرياتهم في التداوي والأدوية

قيل لأبقراط : ما بال إنسان يكون أفورَ ما يكون بدناً إذا شرب الدواء ؟ فقال : مثل البيت تراه أكثر ما يكون غباراً إذا كُدس ... ومن قولهم : مثل الدواء مثلُ عدوٍ إلى جانبه صديق ، ترمي العدو فلا تأمن أن تُصيب الصديق ... وقالوا : لا تُستعمل الأدوية فيما تنفع فيه الأغذية .

وفي الحديث الشريف : تداووا بان الله ما أنزل داءاً إلا أنزل له دواء ، إلا الهرم ...

وقالوا : حق الطيب أن يتأني في المداواة فعثرته لا تقال ... وقالوا المتأني في علاج الداء بعد معرفة الدواء كالمتأني في إطفاء النار وقد أخذت بحواشي ثيابه

(٥) النقرس : داء معروف يأخذ في الرجل وهو ورم يحدث في مفاصل القدم وفي

إيهاها أكثر

## شهوة المريض إلى الطعام

قال أبو بقرأط : المريض الذي يَشْتَهِي أَرْجِي عِنْدِي مِنَ الصَّحِيحِ الَّذِي

لَا يَشْتَهِي ... وَقَالَ الْمُتَنَبِّي :

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمِ مَرِيضٍ يَجِدُ مَرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا  
وَقِيلَ لِلخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ فِي عِلَّتِهِ . أَشْتَهَى شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا أُوْرِدِّي  
أَنْ أَشْتَهَى . وَقِيلَ ذَلِكَ لِآخِرِ قَتَالٍ : أَشْتَهَى أَنْ لَا أَمُوتَ .

## شكوى العلة

وكان منهم من لا يرى بأساً في شكوى علة ، ومنهم من يُنكر ذلك

فَمِنْ شَكَا عِلَّتَهُ أَبُو نُوَاسٍ إِذْ يَقُولُ :

دَبَّ فِي السَّقَامِ سُفْلًا وَعُلُوًّا وَأَرَانِي أَمْرًا عِضُوعًا فَعِضُوا

لَيْسَ يَمِضِي مِنْ سَاعَةٍ بِي إِلَّا نَقَصْتَنِي بِمَرِّهَا بِي جُزُوعًا

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيْالٍ وَأَيَّامٍ تَمْتَعْتُهُنَّ لِعِبَاءٍ وَلَهْوًا

وَقَالُوا : \* وَلَا بَدَّ مِنْ شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرًا \*

ولما مرض بعض الصالحين وعاده الناس قالوا له : كيف تجدك ؟

قال : بِشَرِّ ، قالوا : هذا كلامٌ مُذَلِّكُ ، قال : أَجَلٌ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ :

« وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً » فَالْخَيْرِ الصَّحَّةُ ، وَالشَّرُّ الْمَرَضُ

وَقَالُوا : الشَّكْوَى تُخَفِّفُ الْهَمَّ وَتُزِيلُ الْإِلْمَ ...

ولما وجه المتوكل في السنة التي قُتِلَ فِيهَا أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ الْجَاحِظُ مِنَ

الْبَصْرَةِ قَالَ لِمَنْ أَرَادَ حَمْلَهُ : وَمَا يَصْنَعُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمْرِي لَيْسَ بِطَائِلٍ ،

ذِي شِقِّ مَائِلٍ ، وَلَعَابِ سَائِلٍ ، وَفَرْجِ بَائِلٍ ، وَعَقْلِ حَائِلٍ « حَائِلٌ : مُتَغَيِّرٌ ،

وحدّث المُبرّد قال : دخلت على الجاحظ في آخر أيامه فقلت له : كيف أنت ؟ فقال : كيف يكون من نصفه مفلوج لو حَزَّ بالمناشير ما شعر به ، ونصفه الآخر مُنقرَس<sup>(١)</sup> اوطار الذباب بقُرْبِهِ لآلَمُهُ ، وأشدُّ من ذلك ستُّ وتسعون سنة أنا فيها ، ثم أنشدنا :

أترجو أن تكون وأنت شيخٌ كما قد كنتَ أيامَ الشبابِ  
لقد كذبتك نفسك ، ايسَ ثوبٌ دَرِيسٌ كالجدِيدِ من الثيابِ  
« دَرِيسٌ : بال »

وقيل لآخر : ما تشكو ؟ فقال : تمامُ العِدَّةِ وانقضاءُ المُدَّةِ ... وقال بعضهم لمن يشكو : أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ! وقيل لسعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص وهو مريض : إن المريض يتفرجُ إلى الأيمن وإلى أن يصف ما به إلى الطبيب ، فقال : أما الأيمن فوالله إنه لجزع ولا يسمعُ الله مني أينما فأكونَ عنده جزوعا ، وأما الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي ، فإن شاء قبضها إليه وإن شاء منَّ بها عليّ ...

### فضل الصحة والعافية

قالوا : شيان لا يعرفُ فضلُهُمَا إلَّا من فقدَهُمَا : السَّبابُ والعافية .  
وقالوا : لا يعرفُ طعمَ العافيةِ إلَّا من نالته يدُ العلةِ ، ولا طعمَ الرِّخاءِ إلَّا من مسَّته يدُ البلاءِ .

(١) منقرس : مصاب بالقرس وهو ورم أو وجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين وفي إبهامهما أكثر

## نفع المرض

اعتل الفضل بن سهل بخراسان ، ثم برأ ، فجلس للناس فهنأوه بالعافية  
وتصرفوا في فنون الكلام ، فلما فرغوا أقبل على الناس فقال : إن في العلل  
رِضا يدبغى للماقل أن يعرفها : تمحيص الذنب ، والتعرض للشواب ، والإيقاظُ  
من الغفلة ، والإذكارُ بالنعمة في حال الصحة ، والاستدعاء للثوبة ، والحض  
على الصدقة ، وفي قضاء الله وقدره الخيار ...

واعتل بعضهم فقال : اللهم أجعله أدباً لا غضباً ... وفي الحديث الشريف :  
إن المريض تتحاتُّ عنه خطاياها كما يتحاتُّ ورقُ الشجر (١) ... ودُكرت  
الأدواءُ عند أبي الدرداء فقال رجلٌ : ما اشتكيتُ قطُّ ، فقال لا جرم أن  
ذنوبك لم تحطَّ عنك ...

## وصف العلة بأنها تنال الأماثل

قال أبو تمام من آيات في مرض الياس بن أسد :

فإن يكنَّ وصب عاينت سورته فالورد حلف للبيث الغاية الأضم  
إن الرباح إذا ما أعصفت فصمت عيبدان نجد ولا يعبان بالرتم  
بنات نعش ونعش لا كسوف لها والشمس والبدر منها الدهر في الرقم  
حد يُنعم الله بالبؤرى وإن عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعمة  
« الوصب هنا : المرض ، وسورته : شدته ، والورد : الحمى ، والأضم :

الغضبان : وعيبدان ( بالفتح ) جمع عيदानة وهي : النخلة الطويلة والشجرة

(١) تحات الشيء : تناثر ، وتحات الورق : سقط عن الغصن

السُّلْبَةُ القديمة . والرَّم : نبات من أدق الشجر، وبنات نَعَش كبرى وهي سبعة كواكب أربعة منها نَعَشٌ وثلاث بنات؛ وُصْفَرَى : وهي مثلها، ومنها نَأَى من دونها، والرِّقْم : السواد، ويؤنى به الخفاء للكسوف والخسوف «  
وقال البحرى :

وما الكلبُ محمومًا وإن طالَ عُمرُهُ    ألا إنما الحمى على الأسدِ الورْدِ  
« قيل للأسد وَرْدٌ لأن لونه أحمر يضرب إلى صُفْرَةٍ ، وفي الحديث  
الشريف : مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ الحَامَةِ من الزرع ، نُفَيْئُهَا الرِّيحُ مرة وتعدُّها  
مرة ، ومَثَلُ الكافرِ مَثَلُ الأرزَةِ لاتزال حتى يكون انجِعافُها مرةً واحدة .  
« الحامَة : الزرع أول ما ينبت على ساقٍ واحدة ، وقيل : السُّبْلَةُ ، وقيل :  
الطاقة النَّصَّة من الزرع ، وقيل : الشجرة النَّصَّة الطرية . ونُفَيْئُهَا : تحركها  
وتميلها يميناً وشمالاً ، والأرزَة : واحدة الأرز : شجر معتدل صلب لا يحرکه  
هبوب الريح يقال له الأرزَة معروف بلُبنان ، وقيل : شجر الصَّنوبر والجمع  
أرز ، وانجِعافُها : انقلاعها . ومعنى الحديث : أن المؤمن يلغى له أن  
يتلقى المكارهَ صابراً راجياً الخير من ورائها ، وأن يُعدَّ نفسه كأوائل الزرع  
تحمِّله الرياح يمتةً وبسرةً ، فهو في الدنيا هَدْفٌ تفتَضِلُ فيه الرزايا ، فليس له  
إلا أن يعتصمَ بالصبر والرضا ، وأن يعلمَ علماً ليس بالظن أن كل ما يُرزؤه  
من فُقدان مال وولد وما إليهما ، وما يصيبه من مَرَضٍ ووَصَبٍ ، إنما هو مكفَّرٌ  
لنسيئاته رافع لدرجاته ؛ أما الكافر ، أما العِقرية النَّفْرية ، فإن كلَّ قَمَّةٍ أن  
يستمتعَ بشهوات الدنيا ولذاتها ، فإذا رُزِيَ في ماله وولده ونفسه تسخَّط  
ولم يذخر لنفسه ما ينفعه في آجله ومن ثم يموت إذ يموت كما تنعجفُ  
شجرة الأرزَة وتُجَّتت من أصلها فيلقى الله بذنوبه حاتة . هذا ، ولك أن

تقول: إن المعنى بسبيل من قولهم: المؤمن مُصابٌ، ومعنى هذا أن المؤمن. لأنه يتقى الله في سائر أسبابه ولا يُقَدِّم على ما حَرَّمَ الله، لا تواتيه الدنيا كما تواتى من لا يتقى الله فيعيش من كان هذا شأنه مُرَزَّأً وإن كان في آخرته من الفائزين. وهذا في الغالب، وإلا فهناك من المؤمنين الصادقين من كان إيمانهم مَدْرَجَةً إلى أن يعيشوا عيشة راضية يُحسدون عليها. وعلى أية حال فإن المراد بمثل هذا الحديث هو تعزية المصابين في الدنيا من المؤمنين بأن الآخرة خيرٌ وأبقى....

## عبادة المريض

### وجوب عبادة المريض

ورد في الحديث الشريف: حَقُّ المسلم على المسلم ثلاثٌ: عِبَادَةُ المريضِ وتَسْمِيتُ العَاطِسِ، وَتَشْيِيعُ الجَنَازَةِ؛ وفي الحديث أيضاً: من عاد مريضاً لم يَزَلْ في خُرْقَةِ الجنةِ حتى يَرِجِعَ... «الخُرْقَةُ» (بضم الخاء وفتحها): ما يُخْتَرَفُ أى يُجْتَنَى من الثمر، أى لم يزل في بستانٍ يَجْتَنَى منه الثمر، شبه صلوات الله عليه ما يجوزُه من يعودُ المريضَ من الثوابِ بما يجوزُه المُخْتَرَفُ من الثمر»

### أدب عبادة المريض

قالوا: سُوءُ العِبَادَةِ تَلْقِيحٌ لِلْعِلَّةِ... وقال النُّضَلُ بنُ الرِّبِيعِ: لا تَقُولُوا: كيف حال أمير المؤمنين، ولا تَسْأَلُوهُ عن حاله فَتُكَلِّفُوهُ الجَوَابَ، ولعله يثقلُ عليه الكلام، ولكن اجعلوا مَسْأَلَتِكُمْ الدُّعَاءَ لَهُ وَقُولُوا بِدَلِّ كيف يَحْسُدُ أميرُ المؤمنين نَفْسَهُ: أنزل الله عليه الشِّفَاءَ والرَّحْمَةَ... ودخل قومٌ على



السَّيرَى السَّقَطَى رَحِمَهُ اللهُ وَدُو عَليْلِ فَأَطالُوا الجُلُوسَ وَقالُوا : اذْعُ لَنَا ،  
فَقال : ارفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقولُوا : اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِّنْ عَالمَتِهِمْ عِيادةَ المَرَضَى ...  
وَدخَلَ قَوْمٌ عَلى مَرِيضٍ فَأَطالُوا الجُلُوسَ ثُمَّ قالُوا : أوصِنا ، فَقال : أوصِيكُمْ  
أَلّا تَطيلُوا الجُلُوسَ عِندَ المَرِيضِ إِذا عُدْتُهُ وَه ... وَدخَلَ ثَقيلٌ عَلى مَرِيضٍ  
فَأَطالَ الجُلُوسَ ثُمَّ قال : ما تشكى ؟ قال : تُعودك عِندى ...

### شكايه من لا يعوده إخوانه

قال : جحظة البرمكي (٥) :

مَرَضْتُ فَلَمْ يَكُنْ فِي الأَرْضِ حُرٌّ يُشْرِقُنِي بِسَبْرٍ أَوْ سَلَامٍ  
وَضَعُوا بِالْعِيادةِ وَهِيَ أَجْرٌ كَأَنَّ عِبادَتِي بِذَلِكَ الطَّعامِ

### الاعتذار عن ترك العيادة

قال شاعر :

إِنَّ كُنْتُ فِي تَرْكِ العِيادةِ تارِكاً حَظِي فَإِنَّ فِي الدَّعاءِ لِجَهادِ  
وَلَرَبِّما تَرَكَ العِيادةَ مُشْفِقٌ وَأنى عَلى غِلِّ الضَّميرِ الحاسِدِ

### من عاده ممرضه

قال العوام بن كعب بن زهير في ليلي العطفانية :

وَخَبَرْتُ لَيْلىَ بِالعِراقِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ أَهْلِ بَمَصَرَ أُعُودُها

(٥) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ، فهو من ذرية البرامكة كما ترى وكان من ظرفاء عصره وكان أديباً شاعراً صاحب فنون وأخبار ونوادير ومنادمة ، وجحظة لقب لقيه به عبد الله بن المعتز توفي سنة ٣٢٦ ، انظر ترجمته في معجم البلدان لياقوت ووفيات الأعيان لابن خلكان ،

فوالله ما أدري إذا أنا عدتها أأبرئها من داتها أم أزيدها

### مريض عاد صحيحا

قال العباس بن الأحنف :

قالت : مَرِضْتُ فَعُدَّتْهَا فَتَبَرَّمْتُ وَهِيَ الصَّحِيحَةُ وَالْمَرِيضُ الْعَائِدُ

والله : لو أَنَّ الْقُلُوبَ كَقَلْبِهَا مَارَقَ لِلوَالِدِ الضَّعِيفِ الوَالِدُ

وقال آخر :

إذا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتُدْرِبُونَ فَنَاتِيكُمْ وَتَمْتَدِّرُ

### حشهم العائد على تنشيط المريض

قال بعضُ الاطباء القدامى : بَشُرُوا المَرِيضَ بالبُرءِ ، وَنَشْطِرُوهُ لَشُرْبِ الدَوَاءِ ، وَلَا تُصَعِّبُوا عَلَيْهِ العِلَّةَ ، فَتَخَافَ نَفْسُهُ ، وَيَمُوتَ حِسَّهُ ، وَقَالَ : أَبْقِرْ أُرْطُ : حَدِّثُوا المَرِيضَ بِجَالِ مَنْ كَانَ فِي أَصْعَابِ مَنْ عِلَّتِهِ قَبْرًا ، وَلَا تَحَدِّثُوهُ عَمَّنْ كَانَ فِي مِثْلِ عِلَّتِهِ فَمَاتَ ...

### حشهم على تخويفه ليتجنب المضار

قالوا : خَوَّفُوا المَرِيضَ لِيَتَجَنَّبَ المَضَارَّ ، فَمَنْ خَوَّفَكَ لَتَأْتِيَ الأَمَنَ خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ أَمَّنَكَ لَتَأْتِيَ الخَوْفَ ... وَقَالُوا : مَنْ أَوْجَرَكَ المَرءُ لَتَبْرَأَ خَيْرٌ مِمَّنْ أَوْجَرَكَ الحُلُوَ لَتَسْقَمَ

### تغير اللون

قال الصولي : لم يُسْمَعْ أَحْسَنُ مِنْ قولِ البُحْتَرِيِّ فِي صُفْرَةِ اللَوْنِ : بَدَّتْ صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ ، إِنَّ حَمْدَهُمْ مِنْ الدَّرِّ مَا أَصْفَرَّتْ نَوَاحِيهِ فِي العِقْدِ

وقال أبو تمام :

لم تَشْنُ وَجْهَهُ البَيْجَ وَاكُنْ جَعَلْتُ وَرَدَّ وَجْنَتِيهِ بِهَارَا  
 و البهار : نبت برى طيب الرائحة له فُقَاحَةٌ - زهرة - صَفْرَاءُ يَنْبُتُ  
 أَيَّامَ الرَّبِيعِ ، يُقَالُ لَهُ : العَرَارُ وَعَيْنُ البَقْرِ .. ،

تهنئة من برأ من المرض

قال أبو تمام :

سَقَمْتُ أَيْبَحَ لَهُ بُرٌّ فَرَعَزَعَهُ وَالرُّمْحُ يَنْبَادُ طَوْرًا ثُمَّ يَعْتَدِلُ  
 قَدْ حَالَ لَوْ أَنَّ فَرَدَّ اللهُ نَضْرَتَهُ وَالنَّجْمُ يَحْمُدُ حِينًا ثُمَّ يَشْتَعِلُ  
 يُقَالُ : زَعَزَعَ الشَّيْءَ : حَرَّكَهُ لِيَقْلَعَهُ ، وَالمَرَادُ هُنَا : دَفَنَهُ وَأَزَاخَهُ ، وَيَنْبَادُ :  
 يَجِيلُ ، وَحَالَ لَوْ أَنَّ : تَغَيَّرَ ، وَالنَّضْرَةُ : الحَسَنُ وَالجَمَالُ ،

وقال أشجع بن عمرو السُّلَمِيُّ : (١)

لَنْ جَرَحْتَ شِكَاؤُكَ كُلَّ قَلْبٍ لَقَدْ قَرَّتْ بِصِحَّتِكَ العَيُونَ  
 وَقِيلَ لِأَعْرَابِي بَرَأَ مِنْ عِلَّتِهِ : الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَّمَكَ ، فَقَالَ : أَوْ يَسْلَمُ مَنْ  
 أَلْمَوْتُ فِي عُنُقِهِ ؟ وَقد تَقَدَّمَ

وقال المتنبي :

نَاالجِدُّ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتِ وَالكَرْمُ وَزَالَ عَنكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الأَلَمُ  
 صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ بِهَا المِكَارِمُ وَأَنْهَلَتْ بِهَا الدِّيمُ

(١) كَانَ شَاعِرًا حَفْلًا وَوَلَدَ فِي اليَمَامَةِ وَنَشَأَ فِي البَصْرَةِ وَمَدَحَ البِرَامِكَةَ وَانْقَطَعَ إِلَى  
 جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى قَرْبَهُ مِنَ الرَّشِيدِ وَمِنْ أَيْيَاتِهِ السَّائِرَةُ قَوْلُهُ فِيهِ :

وَعَلَى عَدْوِكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانُ ضَوْءِ الصَّبْحِ وَالإِظْلَامُ  
 فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا غَفَا سَلَتْ عَلَيْهِ سُبُوقُكَ الإِحْلَامُ

وراجع الشمس نور كان فارقتها كأنما فقدت في جسدها سقم  
 قوله : وزال عنك إلى أعدائك الألم : إنما هو خبرٌ وليس دعاءً ، يريد :  
 أن أعداءه تؤلمهم عافيته لعوده بعد ذلك إلى غزوه ، كما أشار إلى ذلك  
 في البيت التالي . وانهايت : سالت ، والديم جمع ديمة وهي : المطر الدائم في  
 سكون . يقول : كانت الغارات على بلاد الروم قد انقطعت فلما شفي وصح  
 اتصلت الغارات عليها ، فكان الغارات كانت عيلة بعاته ثم صحت بصحته ،  
 وسرت المكارم بصحته لأنه صاحبها ، وكانت الأمطار منقطعة فلما شفي  
 صادف اتصالها شفاءه ، ويقول في البيت الثالث : إن الشمس فقدت بهجتها  
 في عيون أوليائه لاغتهم بعته فلما شفي عاد إليها حسنها»

### تفدية المريض

قال البحتري :

بأنفسنا لا بالطوارف والتلذ

نقيق الذي تخفى من الشكر أو تبدي

بنا معشر العافين مابك من أذى

فإن أشفقوا بما أقول في وحدي

« الطوارف : جمع طارفة مؤنث طارف وهو المال المستحدث وعكسه التلذ

وهو المال القديم ، والشكو مصدر شكا كالشكوى والشكاة ، والعاق طالب

المعروف ، وأشفقوا : خافوا ،

وقال آخر :

يألت عله بن غير أن له أجر العليل وأن غير ماجور

## عقريات شتى

## في الطب والمرض والعبادة

قال جالينوس : المرض هَرَمَ عارض ، والمهرم مرضٌ طبيعي ؛ وله : مجالسُهُ  
الثقيلُ حَمَى الروح .

وقال ثابت بن قُرَّة : ليس شيءٌ أضر بالشيخ من أن تكون له جاريةٌ  
حسنة ، وطباخٌ حاذق ؛ لأنه يُكثر من الطعام فيسقم ، ومن الجماع فيهرم :  
وقال آخر : ليس لثلاث حيلة : فقرٌ يخالطه كسل ، وخصومةٌ يخامرُها  
حسد ، ومرضٌ يمازجه هَرَمٌ ...

وقالوا : ثلاثة يُعذرون على سوء الخلق : المريض ، والمسافر ، والصائم ...  
وقالوا : فرطُ الغمِّ والسرور يُقتلان ، أما الغم فإنه يُجمد الدم . والسرور  
يُلهبه حتى تعلو حرارته على الحرارة الغريزية ... وقال كسرى لوزيره يوماً :  
أي الفراش ألد ؟ فقال أحدهما : ألدُّ الفراش الخزُّ محشواً ، وقال الآخر :  
ألدُّ الفراش الحرير محشواً — وكان بين يديه غلام من الحجاب فقال : أيها  
الملك ، أتأذن لي في الكلام ؟ فقال : نعم ، قال : ألدُّ الفراش الأمان ، قال :  
صدقت ، قال : فما ألدُّ الطعام ؟ قال : ما لا يهيج على طبيعة علة ، ولا يُقَدُّ  
في عُقَى آكله منة ، فقال : أحسنت ، فما ألدُّ الشراب ؟ فقال : ما لا يُزِيلُ  
عَقْلًا عن محله ولا يهيجُ على طبيعة شيئاً من عِلل ؛ قال : أحسنت ، فما ألدُّ  
الرَّيحان ؛ قال : الولد السارُّ ريحانُ أبيه في حياته وخلف له بعد وفاته ؛ فرفع  
محله وألحقه بأكابر حشمه ...

ونالت أبا الطيب المتنبّي وهو بمصر علة ، فكان بعض إخوانه المصريين

يكثر الإمام به ، فلما أبلَّ قطعه ، فكتب إليه : وصلتني — أعزك الله —  
مُعْتَلًا ، وقطعتني مُبِلًا ، فإن رأيت أن تُكدر الصحة عليَّ ، وتُحَيِّبَ العلة  
إليَّ ، فمكت... .

وقال شاعر :

إن الجهولَ تضرني أخلاقه      ضررَ السعالِ لمن به استسقاء<sup>(١)</sup>

وقال البستي<sup>(٢)</sup>

أنا كالوردِ فيه راحةٌ قومٍ      ثم فيه لآخرينَ زُكَّامُ<sup>(٣)</sup>

(١) الاستسقاء لدى الأطباء : تجمع سوائل مصلية في تجويف أو أكثر من  
تجاويف الجسد أو في خلاياه .

(٢) هو أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب الشاعر المتوفى سنة ٤٠٠ هـ  
من شعره :

وقد يلبسُ المرءُ خزَّ الثياب      ومن دونها حالةٌ مُضْنِيَةٌ  
كمن يكتسى خُدَّهُ حُمْرَةً      وعِلَّتْهَا ورمٌ في الرِيَّةِ

وله :

تحمّلُ أخاك على ما به      فما في استقامته مطمعُ  
وأني له مُحَاقٌ واحدٌ      وفيه طبائعه الأربعُ

ومن ألفاظه : مَنْ أَصَاحَ فَاسِدَهُ أَرغَمَ حَاسِدَهُ . من أطاع غَضِبَهُ  
أضاعَ أدبه . الفهمُ سُعَاعُ العقل . المنيةُ تضحك من الأمانة . حدُّ العفافِ  
الرضا بالكفافِ

(٣) قبله :

لا يغرُّنك أني لئن لمس      فعزّمي إذا اتضيت حُسامُ

وقال المتنبى :

لعلَّ عَتَبِكَ محمودٌ عواقبُهُ ورُبُّما صَحَّتِ الأجسامُ بِالْعِلَالِ

وقال :

أعيذها نظراتٍ منك صادقةً أن تحسبَ للشحمِ فيمن شحمه ورَمُ  
وقيل لبعض الأطباء وقد نهكته العلة : ألا تتعالج ؟ فقال : إذا كان  
الداء من السماء ، بطل الدواء ، وإذا قدر الربُّ بطل حذرُ المرءِ ، ونعم الدواء  
الآمل ، وبئس الداءُ الآجل .

ومن أدعيتهم : أغناك الله عن الطَّبِّ والأطباء ، بالسلامة والشفاء ، وجعل  
علاك تميصاً لا تنغيصاً ، وتذكيراً لا تنكيراً ، وأدباً لا غضباً .



# الباب الرابع

في

## كتمان السر وإفشائه

وعبقرياتهم في ذلك وفيما يجرى هذا المجرى  
من الشورى والاستبداد بالرأى والنصح والأناة والعجلة

وهذا كتمان السر هو الآخر لَوْنٌ من ألوان الصبر الذي أسلفنا القول عليه في الباب الثالث ، وهو معنى من المعاني الخُلُقِيَّة التي عُنِيَ بالقول عليها . والحك على الاستمساك بعروتها سائر عقلاء الناس في كل جيل بمن حنكتهم التجاريب ، ذاهبين إلى أن إفشاء السر - كان ما كان لونه - آيةٌ من آيات الضعف ودليل على أن في عقل صاحبه عُهُدَةٌ تُعْتَمَرُ فيه ، وأنه ناشئ من قلة الصبر وضيق الصدر ، وأنه من خلائق ضَعْفَةِ الرجال والنساء والصبيان .

ومن السر ما يعد كتماناً من الحزم والاحتياط . وهذا أخص ما يكون بالملوك والساسة ومن إليهم ، وهذا اللون من السر قد يؤدي إفشاؤه إلى سفك الدماء وضياع الممالك والدول والدمار وخراب الديار . . . ومن السر ما يحدث من الإنسان مما تستقبح إشاعته ويشنعُ سماعه . وإلى هذا اللون يشير سيدنا رسول الله بقوله صلوات الله عليه : من أتى منكم من دنه القاذورات بشيء فليستر بستر الله . . .

وبعد فإياك إياك يا أخى أن يتخذَكَ عن سرِكَ مثل قول القائل :

✽ وأكتمُ السر فيه ضَرْبَةً العُنُق ✽



وقول الآخر :

وَيُكَاثِمُ الْأَسْرَارَ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيُصَوِّنُهَا عَنْ أَنْ تَمُرَّ بِبَالِهِ  
فَذَلِكَ قَوْلٌ مَنْ يَسْتَنْزِلُكَ عَمَّا فِي نَفْسِكَ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَقْصَىٰ مَا عِنْدَكَ لَمْ  
يَبْرَعْ فِيهِ حَقَّكَ ، وَقَدْ قَالُوا : إِنْ الصَّبْرَ عَلَى الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ أَيْسَرُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى  
كَيْفَانِ السَّرِّ ...

### حفظ اللسان

من قديم ما قيل في حفظ اللسان قولُ امرئ القيس :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَانٍ  
« لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ : لَمْ يُحْرِزْ لِسَانَهُ فَيَجْمَعُهُ فِي خِزَانَةِ قَلْبِهِ ، قَالَ صَاحِبُ  
اللسان : وَخِزَانَةُ الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ ، وَخَازِنُهُ : لِسَانُهُ ، وَقَالَ لَقْمَانَ الْحَكِيمُ لِابْنِهِ :  
إِذَا كَانَ خَازِنُكَ حَفِيظًا وَخِزَانَتُكَ أَمِينَةً رَشِدَتْ فِي أَمْرِيكَ : دُنْيَاكَ  
وَأَخْرَجْتَكَ ، يَعْنِي : اللسان والقاب ،

وقالوا : من ضاق قلبه اتسع لسانه ...

وقال أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصرى : لسان العاقل من وراء  
قلبه ، فإن عرّض له القول نظر فإن كان له أن يقول قال ، وإن كان عليه  
القول أتمسك ، ولسان الاحمق أمام قلبه ، فإذا عرّض له القول قال ، كان عليه  
أوله ... وقالوا : مقتل الرجل بين فمّيه .

ومن كلامهم : قِ فَكٌ مَا يَقْرَعُ قَفَاكَ « قِ : فَعَلَ أَمْرًا مِنَ الْوَقَايَةِ ، وَمِنْهُ :

إِنْ لَمْ تَمْلِكْ فَضْلَ لِسَانِكَ ، مَلَكْتَ الشَّيْطَانَ فَضْلَ عَنَانِكَ .

وفي اللسان ومكاته يقول زهير :

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ فلم يبق إلا صورةُ اللحمِ والدمِ

### منع إظهار السر قبل تمامه

قال سيدنا رسول الله : استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كلَّ ذى نعمةٍ محسودٌ ... « يقول صلوات الله عليه : إنكم إن أظهرتم الناس على حوائجكم حسدوكم فعارضوكم فيما تترامون إلى تضائه ووقفوا في سبيل تحقيقه »

وقالوا : من وهى الأمر لإعلانه قبل إحكامه ؛ وقالوا : من حصن سيرة فله من تحصينه إياه خلتان : إما الظفر بما يريد ، وإما السلامة من العيب والضرر إن أخطأه الظفر ...

### حشم على حفظ السر

قال الشاعر الجاهلي قيس بن الخطيم :

إذا ما جاوزَ الإثنينِ سرٌّ فإنه يبتك وإفشاء الحديثِ قمينٌ (١)  
وإن ضيَّعَ الإخوانُ سرًّا فإنتى كؤومٌ لأمرارِ العشيرِ أمينُ  
يكونُ له عندى إذا ما ضممتُهُ بقرتُ بسوداءِ الفؤادِ كنينُ

رووا : أن ابن المقفع لما سمع هذا البيت قال : أراد بالإثنين الشفتين كأنه يقول : لا تُفشي سرًّا إلى أحد ... وهذا لعمرى بديع من ابن المقفع

(١) هو معلوم أن الألف في اثنين ألف وصل فإذا جاءت متطوعة في الشعر كما في هذا البيت فإنما ذلك ضرورة شعرية ، والث : نشر الحديث الذي كتبه أحق من نشره ، وقمين : خليق وجدير ، وبتك متعلق بقمين

وكان عليّ ابن أبي طالب رضى الله عنه كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين :

فَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ      فَإِنْ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا  
وَلِيْنِي رَأَيْتُ عُقَاةَ الرَّجَالِ      لَ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا

وقال الصلتان العبدى من أبيات أوردها أبو تمام فى حماسه :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَقْبَى السَّكْبِيرَ      كَرَّ الْغَدَاةَ وَمَرَّ الْعِشِيَّ  
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا      أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتَى  
نُزُوحٌ وَنَفْدٌ لِحَاجَاتِنَا      وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي  
تَمُوتُ مَعَ الْمَرِّ حَاجَاتُهُ      وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ  
بُنَى بَدَا حَبِّ نَجْوَى الرَّجَالِ      فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ حَبِّ النَّجْوَى<sup>(١)</sup>  
وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ  
كَالصَّمْتِ أَدْنَى لِبَعْضِ الرَّشَادِ      فَتَبْعُضُ التَّكْلِمْ أَدْنَى لِنِى

وهن قولهم : سِرُّكَ مِنْ دِمِكَ « يعنون : أنه ربما كان فى إفشاء السِّرِّ

سَفْكُ الدَّمِ ، وقال آخر لآخر لآخر له وَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِ : أَجْعَلْ هَذَا فى وَعَاءٍ غَيْرِ

سَرِيْبٍ « السرب : السائل »

من يُكره أطلاعه على السر

قيل : لَا تُظَلِّعُوا النِّسَاءَ عَلَى سِرِّكُمْ تَصْلُحُ أُمُورُكُمْ ، وقالوا : مَا كَتَمْتَهُ

عَدُوَّكَ وَلَا تُظَلِّعْ عَلَيْهِ صَدِيقَكَ

(١) الحب بكر الحياء : المكر وبفتحها : المكار ، والنجوى مصدر ، وهو مستعمل

فما يتحدث فيه اثنان على طريق السر والسكتمان ، يقول : إذا ناجيت صاحبك فكن

خبا فيما تودعه من سرّك فإن نجوى الرجال إذا بدا خبا عادت وبالاً

## المفتخر بحفظ السر

قال المتنبي :

وَلِلْمَرِّ مِثِّيْ وَوَضِعٌ لَا      يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يُفِضِيْ إِلَيْهِ شَرَابُ  
وَقَالَ مِسْكِينِ الدَّارِمِيِّ :

وَفَتِيَانٍ صِدْقٍ لَسْتُ مُطَّلِعٌ بَعْضُهُمْ      عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهَا (١)  
لِكُلِّ أَمْرِي شِعْبٌ مِنَ الْقَلْبِ فَارْعُ      وَمَوْضِعٌ نَجْوَى لَا يُرَامُ أَطْلَاعُهَا (٢)  
يَظْلُونَ شَيْءٌ فِي الْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ      إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرِّجَالَ انْصِدَاعُهَا

## الممدوح بحفظ السر

قال الأخوص - شاعر إسلامي ترجم له صاحب الأغاني في

الجزء الرابع - :

كَرِيمٌ يُمِيتُ السِّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ      عَمَّ بِنَوَاحِي أَمْرِهِ وَهُوَ خَائِرُ  
وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ :

(١) أضاف الفتيان إلى الصدق كما يقال : فتیان خير ، والمعنى : أنهم يصدقون في الورد ولا يخونون ؛ والجماع : اسم لما يجمع به الشيء . كما أن النظام اسم لما ينظم به الشيء ، والضمير في جماعها : لك أن ترجمه إلى الفتیان أو إلى ما دل عليه الكلام من ذكر الأسرار يقول : رب فتیان هكذا استناموا إلى واستودعوني أسرارهم فكنت أنا نظامها لا يفوتني من خبيات صدورهم شيء ثم أفردت كلامهم بالوفاء وكتبان ما أودعني من سره

(٢) يقول : لكل رجل منهم جانب من القلب فرغ له وخص بموضع سره ، والشعب في الأصل : الطريق في الجبل وجمعه شعاب أراد به مكانه من قلبه ، والنجوى اسم للسر ، واطلاعها : علمها يقال : اطلع الشيء واطلع عليه : علمه ، وأنت الضمير العائد على الموضع لتأنيث المضاف إليه

كَتَمْتُ لِأَسْرَارِ الْخَلِيلِ أَمِينُهَا      يَرَى أَنْ بَثَّ السَّرَّ قَاصِمَةُ الظَّهِيرِ  
وقال كُشَايِمُ :

وَيُكَاثِمُ الْأَسْرَارَ حَتَّى إِنَّهُ      لَيَصُونُهَا عَنْ أَنْ تَمُرَّ بِبَالِهِ  
« وقد تقدم آنفاً »

ودخل ابنُ أبي مِحْجَنٍ الثَّقَفِيُّ <sup>(١)</sup> على مُعَاوِيَةَ ، فقال له مُعَاوِيَةُ : أبوك  
الذي يقول :

إِذَا مِثُّ فَادِرْفَنِي إِلَى أَصْلِ كَرْمَةٍ      تُرَوِّى عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقَهَا  
وَلَا تَدْرِفْنِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي      أَخَافُ وَرَاءَ الْمَوْتِ أَنْ لَا أذْرِقُهَا

فقال ابنُ أبي مِحْجَنٍ : لو شئتَ ذكرتَ أحسنَ من هذا من شعره !  
فقال مُعَاوِيَةُ : وما ذاك ؟ قال : قوله :

(١) أبو محجن الثقفى هو الصحابى الشاعر المشهور بقصته مع سعد بن أبى وقاص  
فى يوم القادسية وذلك أنه أتى به إليه وهو سكران - وكان صاحب شراب - فأمر به  
فقيد ، وكان بسعد جراحة فاستعمل غيره ، وصعد سعد فوق البيت لينظر ما يصنعه  
الناس فجعل أبو محجن يتمثل :

كفى حزناً أن ترتدى الخيلُ بالقنا      وأترك مشدوداً على وناقيا  
ثم قال لامرأة سعد : ويك خيلنى ولك على إن سلمت أن أرجع فأضع رجلى  
فى القيد وإن قتلت استرحتم منى ؛ نخلته ووثب على فرس لسعد يقال لها البلقاء ، ثم  
أخذ الرمح وانطلق حتى أتى الناس فجعل لا يحمل فى ناحية إلا هزم الناس ، فجعل الناس  
يقولون : هذا ملك ، وسعد ينظر فجعل يقول : الضبر ضبر البلقاء <sup>(١)</sup> والظفر ظفر أبى  
محجن وأبو محجن فى القيد ، فلما هزم العذر رجع أبو محجن فوضع رجله فى القيد ،  
فأخبرت امرأة سعد سعداً بالذى كان فقال : لا والله لأأخذ اليوم رجلاً أبلى الله المسلمين  
على يديه ما أبلاهم ، نخلى سبيله فقال أبو محجن : لقد كنت أشربها إذ كان يقام على  
الحد أظهر منها فأما إذ بهرجتنى فوالله لأأشربها أبداً

(١) الضبر : عدو الفرس

لا تسألِي القومَ ما مالى وما حَسْبِي      وسائِلِي القومَ ما حَزْمِي وما خُلِقِي  
 أَلْقَوْمُ أَعْلَمُ أَنِي مِنْ سَرَائِمِهِمْ      إِذَا تَطَيْشُ يَدُ الرَّعْدِ بَدَةَ الْفَرِيقِ  
 أُعْطِيَ السَّنَانَ عَدَاةَ الرَّوْعِ حِصَّتَهُ      وَعَامِلَ الرُّنْحِ أَرْوِيهِ مِنَ الْعَلَقِ<sup>(١)</sup>  
 قَدْ أَطْعَنُ الطَّعْنََةَ النَّجْلَاءَ عَنْ عُرْضِ      وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ  
 فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: لَنْ كُنَّا أَسَانَا الذُّوْلَ لِنُحْسِنَنَّ الْفِعْلَ، وَأَجْزَلَ صِلَتَهُ..

### صعوبة حفظ السر

قالوا: أَصْبِرُ النَّاسَ مِنْ صَبْرٍ عَلَى كِتْمَانِ سِرِّهِ فَلَمْ يُبْدِهِ لِصَدِيقٍ فَيُوشِكُ  
 أَنْ يَصِيرَ عَدُوًّا فَيُذِيعَهُ

وقالوا: الصبرُ على لَهَبِ النَّارِ أَهْوَنُ مِنَ الصبرِ على كِتْمَانِ السَّرِّ ...

من لا يحفظ سره ويستحفظه غيره

قال الشاعر:

فَلَا تُؤَدِّعَنَّ الدَّهْرَ بِسِرِّكَ أَحْمَقًا      فَإِنَّكَ إِنِ أَرَدَعْتَهُ مِنْهُ أَحْمَقُ  
 إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ كِتْمَانِ سِرِّهِ      فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوَدَعُ السَّرَّ أَضْيَقُ

وقال بشار:

تَبُوحُ بِسِرِّكَ ضَيْقًا بِهِ      وَتَحْسَبُ كُلَّ أَخٍ يَكْتُمُ  
 وَكِتْمَانُكَ السَّرَّ مِنْ تَخَافٍ      وَمَنْ لَا تَخَافَنَّهُ أَحْزَمُ  
 إِذَا ذَاعَ سِرُّكَ مِنْ مُخْبِرٍ      فَأَنْتَ مَتَى لُمْتَهُ الْوَمُ

ذم من يفشى السر

يقولون: فلانٌ أَضْيَعُ للأسرار من الغربالِ للباء، وقال الحطيئة:

(١) العلق: الدم

أَغْرَبَ الْآلَ إِذَا اسْتُودِعْتَ سِرًّا وَكَانُوا نَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ  
 « الكانون : الثقيل من الناس ، وقيل : الكانون : الذي يجلس حتى  
 يَنْحَصِيَ الْأَخْبَارَ وَالْأَحَادِيثَ لِيَنْقُلَهَا ، قَالَ أَبُو دَهْبَلٍ :  
 وَقَدْ قَطَعَ الْوَأَشُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَنَحْنُ إِلَى أَنْ يُوَصَلَ الْحَبْلُ أَحْوَجُ  
 فَلَيْتَ كَوَانِينَا مِنْ أَهْلِ وَأَهْلِهَا بِأَجْمَعِهِمْ فِي جَلَّةِ الْبَحْرِ لَجَّوْا ،  
 وَقَالُوا : فَلَنْ نَأْتِمُّ مِنَ النَّسِيمِ عَلَى الرِّيَاضِ . وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :  
 كَانَ سِرِّي فِي أَحْسَانِهِ لَهَبٌ فَمَا تُطِيقُ لَهُ طَيِّبًا حَوَاشِيهَا

### الأحوال التي يفتشونها فيها السر

قالوا : إذا أردت أن تُنْزِلَ الرَّجُلَ عَنْ سِرِّهِ فَتَوَصَّلْ إِلَيْهِ فِي حَالِ  
 سُكْرِهِ \* فَالْسُّكْرُ يُظْهِرُ سِرَّهُ الْمَكْنُونَا \*

### المسازرة في المحافل

قال سيدنا رسول الله : إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث .  
 وكان مالك بن مسمع إذا سارده إنسان يقول : أظهره فلو كان خيراً لم  
 يكن مكتوماً ، وهذا من قول زهير بن أبي سلمى :

وَالسُّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ

« يقول : إن بين الممدوح وبين الفاحشات سِتْرًا من الحياء والثقي ، ولا

سِتْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَيْرِ يَحْجِبُهُ عَنْهُ »

وقال الخُبَيْرُ أَرْزِي :

إِذَا أَنْتِ سَارَرْتِ فِي مَجْلِسٍ فَإِنَّكَ فِي أَهْلِهِ مُتَّهَمٌ

فهذا يقول : قد آغتابني وذا يَسْتَرِبُ وَذَا يَتَّهَمُ

## المتبجح بإظهار أسرار أصدقائه

قال أعرابي :

ولا أكنتمُ الأسرارَ لكن أنمها      ولا أدعُ الأسرارَ تغلبي على قلبي  
 وإنَّ قليلَ العقلِ من بات ليلته      نُقلبه الأسرارُ جنباً إلى جنبٍ

وقال آخر :

ولا تُودعُ الأسرارَ قلبي فإنما      تصبِّبُ ماءً في إناءٍ مُسلمٍ  
 وقال رجل لصديق له : أريدُ أن أفشيَ إليك سرّاً تحفظه ، فقال : كلا  
 لستُ أشغلُ قلبي بنجواك ، ولا أجملُ صدري خزانة شكواك ، فيُقَلِّقني  
 ما ألقاك ، ويُورِّقني ما أرقك ، فتديتَ بإفشاءه مُستريحاً ، وبيتَ قلبي بحزّه  
 جريحاً ... ولتعمري ما أصدق هذا وأكثره انطباقاً على الواقع ا وفي الحق  
 أن هذا وأمثاله يجب أن يكون عظة لمن لا يطبقون كتبان أسرارهم

## الرخصة في إفشاء السر إلى الصديق

قال بعض الشعراء :

وأبتدأتُ عمراً بعض ما في جرائحي      وجرَّعته من مرٍّ ما أتجرعُ  
 فلا بدَّ من شكوى إلى ذى حفيظة<sup>(١)</sup>      إذا جعلت أسرارُ نفسي تطالعُ

(١) الحفيظة : إما يراد بها : حفظ الأسرار ، وإما أن يراد بها : الغضب لحرمة  
 تنتهك من حرمانك أو جار ذى قرابة يظلم من ذوبك أو عهد ينسك قال الحطيئة :  
 يسوسون أحلاماً بعيداً أناؤها      وإن غَضِبُوا جاء الحفيظةُ والجُدُ  
 والمحفظات : الأمور التي تحفظ الرجل أي تغضبه إذا وتر في حيمه أو جيرانه  
 قال الغطامي :

أخوك الذي لا تملكُ الحسَّ نفسه      وترفضُ عند المحفظاتِ الكتائبُ =



وقال أبو تمام :

شَكَوتُ وما الشَّكوى لِئَلَى عَادةٍ      ولكن تَفِيضُ السَّكاسِ عَندَ امْتِلائِها  
وقالوا: لا يَزالُ المرءُ في كُربةٍ ووَحشةٍ ما لم يَجِدْ من يَشكو إليه . . . وما  
يَتصل بِهذا أن يُخبِرَ المَريضَ طَبيبَهُ بِكُنتِهِ دائِهِ .

وقال محمود الوراق :

إِذا كَتَمَ الصَّديقُ أخاهُ سَراً      فما نُضِلُّ الصَّديقَ عَلى العَدُوِّ

### عقريات شتى في كتمان السر

قال المهلب بن أبي صفرة : أذنى أخلاق الشريف كتمان السر ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أَسِرَّ إليه .

ويروى أن معاوية بن أبي سفيان أسرَّ إلى ابن أخيه عثمان بن عتبة بن أبي سفيان حديثاً ، قال عثمان : جئتُ إلى أبي قتات : إن أمير المؤمنين أسرَّ إلىَّ حديثاً أفأحدثُك به ؟ قال : لا ، إنه من كتم حديثه كان الخيار إليه ومن أظهره كان الخيار عليه ، فلا تجملُ نفسك مملوكاً بعد أن كنت مالِكاً ، فقلت له : أويَدْخُلُ هذا بين الرجل وأبيه ؟ فقال : لا ، ولكنني أكرهُ أنْ تَدلَّ لسانُك يا فئيماء السر . قال : فرجعتُ إلى معاوية فذكرتُ ذلك له ، فقال معاوية : أعنتُك أخي من رِقِّ الخطأ . . .

وكان معاوية يقول : أعنتُ على عليِّ رحمه الله بأربع : كنتُ رجلاً

---

= والكثائف : جمع كنيفة وهي السخيمة والحقد والعداوة يقول الفطامي : إذا استوحش الرجل من ذي قرابته فاضطغن عليه سخيمة لإساءة كانت منه إليه فأوحشته ثم رآه يضام زال عن قلبه ما احتقدته عليه وغضب له فنصره وانتصر له من ظلمه ،

أَكْتَمُ سِرِّي ، وكان رجلاً ظَهْرَهُ (١) وكنت في أَطْوَعِ جُنْدٍ وَأَصْلِحِهِ ، وكان في أَحَبِّ جُنْدٍ وَأَعْمَاهُ ، وتركتُهُ وأصحابَ الجَلِّ وقلت : إن ظَفِرُوا به كانوا أهونَ عليَّ منه ، وإن ظَفِرَ بهم اعتَدَدْتُ بها عليه في دينه ، وكنتُ أَحَبُّ إلى قريشٍ منه ...

وجاء رجلٌ إلى القاضي مُرَّحٍ فكلَّمه بشيءٍ وأخفاه ، فلما خرج قال له رجلٌ : يا أبا أمية ، ما قال لك ؟ قال : يا ابنَ أخي ، أو ما رأيته سَتَرَهُ عنك !

وأَسْرَ رجلٌ إلى صديق له حديثاً فلما استقصاهُ قال : أَفهِمْتَ ؟ قال : لا ، بل نَسِيتُ ..

وقال عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ عُتْبَةَ بنِ مسعودٍ الفقيه :  
إذا كان لي سِرٌّ فَخَدَّئْتُهُ العِداً وضاق به صدري فللناسِ أَعذَرُ  
هو السِّرُّ ما اسْتَوْدَعْتَهُ وَكَتَمْتَهُ وَايسُ سِرِّ حِينَ يَفْشُو وَيَظْهَرُ  
ويقال : إذا انتهى السِّرُّ من الجَنانِ إلى عَذْبَةِ اللسانِ فالإِذاعةُ مُستَوابَةٌ عليه ..

وقال عمر بن عبد العزيز : القلوبُ أوعيةُ الأسرارِ ، والشفاهُ أبقاها والآلسُنُ مفاتيحُها ، فَلْيَحْفَظْ كُلُّ امرئٍ مِفْتَاحَ سِرِّهِ ..  
وقال شاعر :

صَنِ السِّرِّ عن كلِّ مُسْتَخِيرٍ . وحاذِرٌ فما الحَزْمُ إلا الحَذَرُ  
أَسِيرُكَ سِرِّكَ إنْ صُنَّتْهُ . وأنتَ أسيرٌ له إنْ ظَهَرَ  
وقال جميل بن مَعْمَرٍ :

(١) ظهرة بضم ففتح : يظهر أمره للناس



## عقوباتهم في المشورة

## والاستناد بالرأى

المشورة مُشْتَقَّةٌ مِنْ: شُرْتُ الدَابَّةَ: إِذَا أُجْرِيَتْهَا لِتَعْرِفَ قُوَّتَهَا، وَهِيَ: اسْتِنْبَاطُ الْمَرْءِ رَأْيَ غَيْرِهِ فِيمَا يَمْرُضُ لَهُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُعْضِلَةِ . حَتَّى يَنْبِيْثَ لَهُ حَاقُّ الْأَمْرِ . . وَنِعْمَتُ الْعُدَّةِ هِيَ إِذَا كَانَ الْمُسْتَشَارُ صَدِيقًا مَجْرَبًا حَازِمًا نَاصِحًا رَاطِبَ الْجَاشِئِ غَيْرَ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ وَلَا مُتَوَكِّلٍ فِي رَأْيِهِ وَلَا كَاذِبٍ فِي مَقَالِهِ . فَإِنَّ مِنْ كَذَبَ لِسَانِهِ كَذَبَ رَأْيِهِ . فَارْغِ الْبَالِ حِينَ اسْتَشَارْتَهُ :

فَأَنْفَعُ مَنْ شَاوَرْتَهُ مَنْ كَانَ نَاصِحًا شَفِيقًا فَأَبْصَرَ بَعْدَهَا مِنْ تُشَاوِرِ  
وَلَيْسَ بِشَافِيكَ الشَّفِيقُ وَرَأْيُهُ عَزِيبٌ وَلَا ذُو الرَأْيِ وَالصَّدْرُ وَاعْرِزْ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نَصِيحَهُ وَمَا كُلُّ مُؤْتِي نَصِيحَةٍ بَلِيْبٍ  
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجَمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقَّ لَهُ مِنْ طَاعَةِ بِنَصِيْبٍ<sup>(٢)</sup>

## مدح المشورة

أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهٗ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِمَشَاوَرَةِ مَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ذَهَبَ الْمَفْسَّرُونَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمُرْ نَبِيَّهٗ بِمَشَاوَرَةِ أَصْحَابِهِ لِحَاجَةِ مَنْهُ إِلَى رَأْيِهِمْ وَلَكِنْ لِيُعْلَمَ مَا فِي الْمَشَاوَرَةِ مِنَ الْبَرَكَةِ وَالنِّعْمَةِ، وَقِيلَ: أَمْرُهُ

(١) عزيب: بعيد غائب

(٢) لابي الأسود الدؤلي وقوله: فحق له من طاعة بنصيب، يريد: فهو اذن وفي

هذه الحالة جددير بأن يطاع وينتصح بنصحه

بذلك تألفاً لهم وتطيباً لنفوسهم ، وقيل : لبستتَ بذلك المسلمون ... وقال  
سبحانه : وأمرهم شورى بينهم  
وفي الأثر : والمشاورة حصنٌ من الندامة وأمنٌ من الملامة وقالوا : ما هلك  
أمرؤ عن مشورة

وقال عمر بن الخطاب : الرأي القردُ كالخيط السجيل ، والرأيان  
كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مِرارٌ لا يكادُ يُنتقض ...  
« السجيل : الخيط غير المفتول ، والمِرار : الحبلُ الذي أُجيدَ قَتله ،  
وقالوا : نصفتُ رأيتُ مع أخيك فاستشِرهُ ...

### حشهم على مشاورة الحازم اللبيب

قال بشار بن بُرْد :

إذا بلغَ الرأيَ المشورةَ فاستعينَ      بعزمِ نصيحٍ أو بتأييدِ حازمٍ  
ولا تجملِ الشورىَ عليكِ عَضاضةً      مكانَ الخوافي نافعٍ للقوادِمِ<sup>(١)</sup>  
وخلِّ الهوىَ نى للضعيفِ ولا تكنِ      تؤوماً فإن الحزمَ ليس بناشمِ<sup>(٢)</sup>  
وما خيرُ كَفِّ أمسِكَ الغلُّ أختها      وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيدَ بقائمِ<sup>(٣)</sup>  
وأذنِ مِنَ القُرْبى المُقربِ نفسه      ولا تُشهدِ الشورىَ أمراً غيرَ كاتمِ  
فإنك لا تستطردُ الهَمَّ بالمنى      ولا تبُلغُ العُلما بغيرِ المسكارِمِ<sup>(٤)</sup>

(١) الخوافي : ريشات صغار من الجناح إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، والقوادِم :  
الريشات الكبار التي في مقدم الجناح يقول : إن الضعيف قد عمد القوى بالمعونة  
(٢) الهوى : تصغير الهوى والهوى تأنيث الأهون يقال : إنك لتعمد للموبنا  
من أمرك : أى لاهونه

(٣) الغل : واحد الاغلال طوق من حديد أو جلد يجعل في اليد أو في العنق  
(٤) الهَم : ما يهَمُّ به الرجل أو أجال فسكره فيه ليفعله

إذا كنتَ فَرْدًا هَرَكَ النَّاسُ مُقْبِلًا وَإِنْ كُنْتَ أَدْنَى لَمْ تَفُزْ بِالْعَزَائِمِ (١)

وَمَا قَرَعَ الْأَقْوَامَ مِثْلُ نُشَيْعٍ أَرِيْبٍ وَلَا جَلَى الْعَمَى مِثْلُ عَالِمٍ (٢)

قال الأصمعي : قلت لبشار : إني رأيت رجال الرأي يتعجبون من آياتك في المشورة ؛ فقال : أما علمت أن المشاور بين إحدى الحسنين : بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يُشارك في مكروهه ؛ فقلت أنت والله أشعر في هذا الكلام منك في الشعر .

### استشارة الكبار والصغار

ومن يُعتمد على مشورته ورويته

كانت العربُ تَحْمَدُ آراءَ الشيوخ ؛ لتقدمها في السن ، ولما مرَّ عليها من التجارب التي عرفت بها عواقب الأمور حتى كأنها تنظرها عياناً ، وطراً عليها من الحوادث التي أوضحت لها طريق الصواب وبيته نيبانا ، ولما منحتُه من أصالة رأيا ، واستفادتهُ بجميل سعيها ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : رأى الشيخ خيرٌ من مشهد الغلام . ومن أمثالهم « زاجمٌ يعود أو دَع » (٣)

وقال بعض الحكماء : عليك بمشورة من حلب أشطر دهره ، ومررت عليه

(١) يقال : فلان هزه الناس إذا كرهوا ناحيته ، والعزائم : الحاجات التي يعتزم المرء فعلها يقول : إذا انفردت برأى نفسك ولم تستعن بآراء ذرى التجارب باعدك الناس وأصفروا من شأنك وإن كنت أدنى القوم شأناً لم تفز بحاجاتك التي اعتزمت عليها .

(٢) المشيع : الشجاع كأنه قد شيع قلبه بما يركب من الأحوال أو بقوة قلبه

(٣) العود : المسن من الإبل أي لا تستعن إلا بأهل السن والتجربة في الأمور

ضروبٌ خيره وشره ، وبلغ من العمرِ أشدهُ ، وأورثَ التجربة زندهُ ،  
واستشارَ زيادُ بنَ أبيه رجلاً ، فقال الرجلُ : حقُّ المستشار أن يكون  
ذا عقلٍ وافرٍ ، واختبارٍ مُتَظَاهِرٍ ، ولا أُراني كذلك .

وقال ابن الرومي يمدح يحيى بن علي المنجم :

أَلَمِيعِي يَرَى بِأَوَّلِ ظَنِّهِ      آخِرَ الْأَمْرِ مِنْ وِرَاءِ الْمَغِيبِ  
لَا يُرَوِّى وَلَا يُقَلِّبُ كَفَّأً      وَأَكْفُ الرِّجَالِ فِي تَقْلِيْبِ

وقال :

تَرَاهُ عَنِ الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِمَعزِلِ      وَأَرَاؤُهُ فِيهَا وَإِنْ غَابَ شُهْدُ  
كَمَا احْتَجَبَ الْمَقْدَارُ وَالْحَكْمُ حُكْمَهُ      عَلَى الْخَلْقِ طُرًّا لَيْسَ عَنْهُ مُعَرَّدُ (١)

وقال ابراهيم بن العباس الصولي في الفضل بن سهل :

يُمَضِي الْأُمُورَ عَلَى بَدِيهِتِهِ      وَتَرِيهِ فَكْرَتُهُ عَوَاقِبَهَا  
فَيَظَلُّ يُصَدِّرُهَا وَيُورِدُهَا      فَيَعْمُ حَاضِرَهَا وَغَائِبَهَا  
وَإِذَا الْحُرُوبُ غَلَّتْ بَعَثَتْ لَهَا      رَأْيَا تَقُلُّ بِهِ كِتَابَهَا  
رَأْيَا إِذَا تَبَّتِ السِّيُوفُ مَضَى      عَزَمُ بِهَا فَشَقَى مَضَارِبَهَا  
وَإِذَا الْخُطُوبُ تَأَثَّلَتْ وَرَسَتْ      هَدَّتْ فَوَاصِلَهُ نَوَائِبَهَا  
وَإِذَا جَرَّتْ بِضَمِيرِهِ يَدُهُ      أَبَدَتْ بِهِ الدُّنْيَا مَنَائِبَهَا

وقبلهما قول أوس بن حجر :

الْأَلَمِيعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ      نَ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وقال علي بن أبي طالب في عبد الله بن عباس : إنه لينظر إلى الغيب من

سِترِ رَقِيقِ

(١) ليس عنه معرّد : ليس عنه مهزّب

وقال الشاعر :

بِصِيرٍ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يَرَى بِصَوَابِ الرَّأْيِ مَا هُوَ وَاقِعٌ

وقال الآخر في مثله :

عَلِيمٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ بِرَأْيِهِ كَأَنَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى الْغَدِ

وقال :

بِصِيرٍ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يَخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ

وَأَيْنَ مَقَرُّ الْحَزْمِ مِنْهُ وَإِنَّمَا مَرَاتِي الْأُمُورِ الْمُشْكِلَاتِ تَجَارِبُهُ

ولقد بالغوا في الحث على مُشاورة ذوى الرأى والتجربة حتى ولو كانوا

أعداء، قال ابن المقفع في كلیلة ودینة : لا ينبغي للعاقل أن یرك استشارة

عدوه ذى الرأى فيما یشترکه ذلك العدو فی نفعه وضره ...

وقالوا : استشر عدوك تعرف مقدار عداوته ...

وقد رأى قوم خلاف ذلك وذهبوا إلى أن رأى الشباب هو الرأى

الصائب، وفهمهم هو الفهم الثاقب، إذ أن عقولهم سليمة من العوارض،

وآراءهم خضرة نضرة لم یتحصّر غصنها هرم<sup>(١)</sup>، ولا أذوى زهرتها قدم

ولا خبأ من ذكائها يطول المدة ضرّم. قالوا : إن رأى الشيخ كالزبد قد انثلم،

أما رأى الشاب فكالزبد الصحيح الذى يورى بأيسر اقتداح

وقال الشاعر :

رَأَيْتُ الْعَقْلَ لَمْ يَكُنْ أَتِيهَا بَأً وَلَمْ يُقَسِّمْ عَلَى عَدَدِ السِّنِينَا

وَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَسَّمَتْهُ حَرَى الْآبَاءُ أَنْصَبَةَ الْبَنِينَا

(١) یتحصّر الغصن : يقطعه ويكسره من غير انفصال



## من يجب أن تجتنب استشارته

قال قُتُس بن ساعدة الإيادي لابنه: لا تُشاور مشغولاً وإن كان حازماً ولا جائماً وإن كان فهماً، ولا مذعوراً وإن كان ناصحاً، ولا مهموماً وإن كان عاقلاً، فالهَمُّ يَعْقِلُ العقل فلا يتولَّد منه رأْيٌ ولا تصدُقُ به رويَةٌ... وقالوا: لا تُدخِل في مَشُورَتِكَ بخيلاً فيَقصِّرَ بفعليكَ، ولا جباناً فيُخوِّفَكَ، ولا حريصاً فيَعِدَكَ ما لا يُرجى، وإن البُخلَ والجُبْنَ والحِرصَ طبيعةٌ واحدةٌ يجمعُها سُوءُ الظنِّ بالله... .

وقالوا: لا تُشاور مَنْ ليس في بيته دقيق... .

وكان كسرى إذا أراد أن يستشير إنساناً بعث إليه بنفقة سنة ثم

يستشيرهُ .

وقال عليُّ رضي اللهُ عنه: إياكَ ومُشاوَرَةَ النساءِ قرأينَّ إلى أنن

وعزْمُهُنَّ إلى وَهنٍ <sup>(١)</sup>... وورد في الأثر: شاوروهنَّ وخالفوهنَّ ...

## وجوب نصيحة مستشيرك

قال سيدنا رسول الله: المُستشارُ مؤتمنٌ ...

وقال صلوات الله عليه: الدِّينُ النصيحةُ ، قالوا: لِمَن يارسولَ الله؟

قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمةِ المسلمين وعامتهم ...

« قال ابن الأثير في النهاية: النصيحة كلمة تُعبَّرُ عن جملة هي: إزادة الخير

للنصوح له ، وليست كلمة تُعبَّرُ عن هذا المعنى سواها ، وأصل النَّصْح في

اللغة . الخُلوص ، يقال: نَصَحْتَهُ ونَصَحْتُ لَهُ .. هذا : والنصيحة لله : الإيمانُ به

(١) الألف: النقص ، ورجل مأفون : ناص العقل ، والوهن : الضعف

وطاعة أمره واجتناب نهيه ، وهو الالة من أطاعه ، ومُعَاداة من عصاه وما إلى ذلك مما ترجع عائدته في الحقيقة إلى العبد ، فهي نصيحة إلى نفسه وكسب خير لها ؛ والنصيحة لكتابه : الإيمان بأنه من عند الله ، وتحليل ما حله وتحريم ما حرّمه ، والاهتداء بما فيه ، إلى أمثال ذلك ؛ والنصيحة للرسول : تصديقه والاستئنان بسنته ، إلى آخره ؛ والنصيحة لأئمة المسلمين - والمراد بهم أولوا الأمر - إعانتهم على الحق ونصحهم في رفق وعدل ، إلى آخره ، والنصيحة لعامة المسلمين : إرشادهم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة .  
وقال حكيم : لا تُشِيرَنَّ على عدوّك وصدّيقك إلا بالنصيحة ، فالصديقُ تقضى بذلك حقه والعدوُّ يهابك إذا رأى صوابَ رأيك ...

وقال آخر : إذا استشارك عدوك فجرّد له النصيحة ، لانه بالاستشارة

قد خرج من عداوتك إلى موالائك ..

ويروى : أن زياد بن أبيه كتب إلى معاوية : يا أمير المؤمنين ، قد ضبطت لك العراق بشمالى وفرغت يمينى لطاعتك ، فولانى الحجاز ، فبأغ ذلك الرجل الصالح عبد الله بن عمر رضى الله عنه ، - وكان مقياً بمكة - فقال : اللهم اشغلّ عنا يمين زياد ، فأصابه الطاعون فى يمينه ، فجمع الأطباء واستشارهم ، فأشاروا عليه بقطعها ، فاستدعى القاضى شريحاً وعرض عليه ما أشار به الأطباء ، فقال : لك رزق معلوم ، وأجلٌ محتوم ، وإنى أكره إن كانت لك مدة أن تعيش فى الدنيا بلا يمين ، وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد ، فإذا سألك لم قطعها قلت : بُغضاً فى لقائك ، وفراراً من قضائك ؛ فمات زياد من يومه ، فلام الناس شريحاً على منعه من القطع ، لبغضهم زياداً ، فقال : إنه استشارنى والمستشار مؤمن ... ولولا

الآمانة في المشورة لَوَدِدْتُ أَنْ تُقَطَعَ يَدُهُ يَوْمًا وَرِجْلُهُ يَوْمًا وَسَائِرُ  
جَسَدِهِ يَوْمًا يَوْمًا ...

### الحث على قبول النصيحة وإن كان مُرًّا

قالوا: مَنْ أَحَبَّكَ نَهَاكَ، وَمَنْ أَبْغَضَكَ أَغْرَاكَ  
وقال بعض الحكماء: مَنْ أَوْجَرَكَ الْمُرَّ لِيَتَبَرَّأَ أَشْفَقُ عَلَيْكَ مِنْ أَوْجَرَكَ  
الْحُلْوَ لَتَسْقَمَ . . . يقال: أَوْجَرَهُ الدَّوَاءُ: سَقَاهُ إِيَّاهُ. وَالْوَجُورُ: الدَّوَاءُ الَّذِي  
يَصُبُّ فِي الْفَمِ،

### عتاب من لم يقبل النصيحة

قالوا: مَنْ لَمْ يَقْبَلْ رَأْيَ أَصْحَابِهِ وَإِنْ أَحْزَنُوهُ عَادَ ضَرُّهُ عَلَيْهِ، كَالْمَرِيضِ  
الَّذِي يَتْرُكُ مَا يَصِفُّ لَهُ الطَّبِيبُ وَيَعْمِدُ إِلَى مَا يَشْتَهِيهِ فَيَهْلِكُ . وقال الله  
تعالى حِكَايَةً عَنْ صَالِحٍ: «لَقَدْ أَرْسَلْنَاكُمْ رَسُولًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِآيَاتِنَا  
وَأَنْصَحْتُمْ لَكُمْ وَلَكِنْ  
لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ،  
وقال العرجي<sup>(١)</sup>:

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِنْ لَيْحِي      فقال: عَشَّشْتَنِي وَالنُّصْحُ مُرٌّ

### ضياح النصيحة لمن لا يقبله

قال الشاعر:      \* وما خيرُ نُصْحٍ قِيلَ لَا يُتَقَبَّلُ \*  
\* \* \*

(١) هو عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، سمي العرجي  
لأنه ولد بالعرج في الطائف وقيل : بل كان له فيه مال فكان يكثر الاختلاف إليه  
فشهر به ، شاعر مطبوع في الغزل والنسيب ، ترجم له صاحب الأغاني ( ج ٤ )

وقال غيره :

إن كان حمدي ضاع في نُصْحِكُمْ فَإِنَّ أجزى ليس بالضائع  
وقيل : أخذ رجلٌ ذنباً فجعل يعُظُه ويقول له : إياك وأخذ أغنام  
الناس فبُعِثَ بِكَ اللهُ ، والذئب يقول : خَفَّفْ واختَصِرْ فقد أوى قطعُ  
من الغنم لثلا يفوتني ...

معاتبه من يستنصح الناس

ويستغش الناصح

قال عبد الله بن همام السلولي<sup>(١)</sup> :

وقد يستغش المرء من لا يغشهُ ويأمنُ بالغيبِ أمرءَ غيرِ ناصح

وقال أيضا :

ألا رُبَّ مَنْ تَغْتَشُهُ لك ناصحٌ وهُوَ تَمَنِّ بِالغيبِ غيرُ أمين

« تَغْتَشُهُ : تُعْذُهُ غاشياً لك »

وقال غيره :

نَصَحْتُ فَلَمْ أَفْلِحْ وَغَشُوا فَأَفْلَحُوا فَأَنْزَلَنِي نُصْحِي بَشراً مَكَاناً

(١) هو القائل :

وَأَنْتَ أَمْرُوهُمَا إِتَمَمْتِكَ خَالِيَا فَخُنْتَنَا وَإِذَا قُلْتَ قَوْلًا بَلَا عِلْمٍ

فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْحَيَاتَةِ وَالْإِنَّمِ

وكان قد وشى به واش إلى زياد بن أبيه وقال له : انه هجاك ، فقال : أجمع

بينك وبينه ؟ قال : نعم ، فبعث زياد إلى ابن همام فأتى به وأدخل الرجل بيتاً فقال

زياد : يا ابن همام ، بلغني أنك هجرتني ، فقال : كلا . أصلحك الله ما فعلت ولا أنت

لذلك أهل ، فقال : إن هذا الرجل أخبرني ! وأخرج الرجل ، فأطرق ابن همام هنيهة

ثم أقبل على الرجل وقال هذين البيتين :

وقال يزيد بن الحكم الثقفى <sup>(١)</sup> من تصيدة جيدة في بابها <sup>(٢)</sup> يُعَابِبُ ابنَ  
عمه عبد الرحمن بن عثمان بن العاص وأولها :  
تُكَاثِرُنِي كُرْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ

وَعَيْنُكَ تُبَدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوِي <sup>(٣)</sup>  
لِسَانُكَ لِي أَرَى وَغَيْبُكَ عَلَقْمٌ <sup>(٤)</sup> وَشُرْكَ مَبْسُوطٌ وَخَيْرُكَ مُنْطَوِي <sup>(٥)</sup>  
تُصَافِحُ مَنْ لَاقَيْتَ لِي ذَا عِدَاوَةٍ صِفَاحًا وَغَيْبِي بَيْنَ عَيْنَيْكَ مُزَوِي <sup>(٥)</sup>  
تُفَارِضُ مَنْ أَطْوَى طَوَى الْكَشْحِ دُونَهُ <sup>(٦)</sup> وَمِنْ دُونِ مَنْ صَافَيْتَهُ أَنْتَ مُنْطَوِي <sup>(٦)</sup>

### الناصح منهم

من أمثالهم : المبالغة في النصيحة تهجمُ بك على عظيم الظنة . « الظنة :  
الثَّهْمَةُ » وقال أكنمُ بنُ صَيْفِي : إياكم وكثرة التَّنصِيحِ فإنه يورثُ الثَّهْمَةَ .  
« التَّنصِيحُ : كثرة النصيح ، وقال قائلهم :  
« وقد يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةُ الْمُتَنصِحُ »

(١) شاعر إسلامي فحل ، ترجم له صاحب الأغانى ج ١١ ساسى

(٢) انظرها في الأمالى والخزانة

(٣) يقال : كثر الرجلُ الرجلُ إذا كثر كل واحد منهم لصاحبه ، وهو أن يبدى  
له أسنانه عند التبسم ، وكرهاً : بضم الكاف وفتحها مصدر وضع موضع الحال ،  
والدوى وصف من الدوى بالفتح : المرض ودوى صدره : ضغن

(٤) الأرى : العسل ، والعلقم : الحنظل

(٥) وغيبى بروى وحتمدى ، وزوى ما بين عينيه : قبضها

(٦) فإوضه : أظهر له أمره . وأطوى ضد أنشر ، والطوى : الجوع بقول : تظهر  
أمرك لمن أخفى عنه جوعى أى تنبسط فى الكلام عند عدوى لا أظهره على شئ . من  
أمورى ، وتقبض عن أصدقائى ولا تظهرهم على شئ . من أمرك نكابة فى .

وشاور المأمونُ يحيى بن أكرمٍ، فكان الرأيُ مخالفاً لهوى المأمون،  
فقال يحيى: ما أحدهُ بالغُ في نصيحة الملكِ إلا استغشوه، قال: ولمَ يا يحيى؟  
قال: لِصُرْفِهِ لِمَ عَمَّا يُحِبُّونَ إِلَى مَا لَعَلَّهُمْ يَكْرَهُونَ فِي الْوَقْتِ وَالْهَوَى  
إِلَهُ مَعْبُودِ ۱

### وصف غاش في نصحه

من أمثالهم في الذي يَنْصَحُ القومَ وهو غاش: «أنت شولةُ النَّاصِحَةِ»  
قال ابن السكيت: كانت شولة أمة رَعْنَاءَ تَنْصَحُ لِمَا لِيهَا فَتَعُودُ نَصِيحَتُهَا  
وَبِالْأَعْلِيَاءِ، لِحُمُقِهَا.

وقال معاوية يوماً لعمرو بن العاص: هل غَشَّيْتَنِي مُذِ اسْتَنْصَحْتُنِي؟  
قال: لا، فقال: ولا يومَ أُشْرْتَ عَلَيَّ بِمَبَارِزَةِ عَلِيٍّ وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَنْ هُوَ؟  
فقال: كيف وقد دعاكَ رَجُلٌ عَظِيمُ الْخَطَرِ كُنْتَ مِنْ مَبَارِزَتِهِ إِلَى إِحْدَى  
الْحُسَيْنَيْنِ إِنْ قَتَلْتَهُ فُزْتَ بِالْمَلِكِ وَازْدَدْتَ شَرَفًا إِلَى شَرَفٍ، وَإِنْ  
قَتَلْتَكَ تَعَجَّلْتَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَلَاقَاةَ الشَّهَدَاءِ وَالصَّادِقِينَ ۱ فَقَالَ: وَهَذِهِ  
أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى ۱ فَقَالَ: أَوْ كُنْتَ مِنْ جِهَادِكَ فِي شَيْءٍ؟ فَقَالَ: دَعْنِي  
مِنْ هَذَا . . . .

وقال شاعر:

أَعَاذِلَ إِنْ نُصَحِّكَ لِي عُنَاءُ خُسْبِيكَ قَدْ سَمِعْتُ وَقَدْ عَصَيْتُ

### الاستبداد وكرهه المشورة

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ آثَرَ الْإِسْتِبْدَادَ بِرَأْيِهِ وَكَرِهَهُ أَنْ يَسْتَشِيرَ، قَالَ الْمُهَلَّبُ  
ابْنَ أَبِي صُفْرَةَ: لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْإِسْتِبْدَادِ بِالرَّأْيِ إِلَّا صَوْنُ السَّرِّ وَتَوْفِيرُ

العقل لوجب التَّمَسُّكُ به ... وقال عبد الملك بن صالح : ما اُسْتَشْرَتْ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا تَكَبَّرَ عَلَيَّ وَتَصَاغَرْتُ لَهُ ، وَدَخَلَتْهُ الْعِزَّةُ وَدَخَلْتَنِي الذَّلَّةُ ؛ فَعَلَيْكَ بِالِاسْتِبْدَادِ ، فَإِنْ صَاحَبَهُ جَلِيلٌ فِي الْعِيُونِ ، مَهَيْبٌ فِي الصُّدُورِ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَتَى اسْتَشْرْتَ تَضَعُضَعُ شَأْنُكَ ، وَرَجَعْتَ بِكَ أَرْكَانَكَ ؛ وَمَا عَزَّ سُلْطَانٌ لَمْ يُغْنِهِ عَقْلُهُ عَنِ عَقُولِ وُزَرَائِهِ ، وَآرَاءِ نَصَحَائِهِ ؛ فَإِيَّاكَ وَالْمَشُورَةَ وَإِنْ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَذَاهِبُ ، وَاشْتَبَهَتْ لَدَيْكَ الْمَسَالِكُ .

وَرَوَوْا : أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ كَانَ يَسْتَشِيرُ أَهْلَ بَيْتِهِ حَتَّى مَدَحَ ابْنَ هَرَمَةَ <sup>(١)</sup> بِقَوْلِهِ :

يُزْنَ امْرَأً لَا يُصْلِحُ الْقَوْمَ أَمْرَهُ

وَلَا يَنْتَجِي الْأَذْنَيْنِ فِيمَا يُحَاوِلُ <sup>(٢)</sup>

فَاسْتَوَى جَالِسًا وَقَالَ : أَصَبْتَ وَاللَّهِ ! وَاسْتَعَادَهُ ، وَمَا اسْتَشَارَ بَعْدَهَا . وَقَالَ بَعْضُ جُلَسَاءِ هَارُونَ الرَّشِيدِ . أَنَا قَتَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى الْبُرْمَكِي وَذَلِكَ أَنِي رَأَيْتُ الرَّشِيدَ يَوْمًا وَقَدْ تَنَفَّسَ تَنَفُّسًا مُنْكَرًا فَأَنْشَدَتْ فِي إِثْرِ تَنَفُّسِهِ :

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مِنْ لَا يَسْتَبِدُّ <sup>(٣)</sup>

فَأَصْنَعِي إِلَيْهِ وَاسْتَعَادَهُ ، ثُمَّ قَتَلَ جَعْفَرَ ...

(١) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة ، من متقدمي الشعراء . ومن أدرك الدولتين الأموية والهاشمية ترجم له صاحب الأغاني ( ج ٤ ،  
(٢) اتجاه : إذا أفضى إليه بسرّه وخصه به  
(٣) لعمر بن أبي ربيعة وقوله :

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِيدُ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَجِدُ

وكانت الفرس والرؤم مختلفين في الاستشارة، فقالت الروم: نحن لا نملك من يحتاج إلى أن يستشير، وقالت الفرس: ونحن لا نملك من يستغنى عن المشاورة؛ وقد فضّل الفرس لقوله تعالى « وشاورهم في الأمر » .

### المتفادى من أن يستشار

ومن الناس من يكره أن يشير:

استشار عبد الله بن عليّ عبد الله بن المقفع فيما كان بينه وبين أبي جعفر المنصور، فقال ابن المقفع: لست أقود جيشاً، ولا أتقلد حرباً، ولا أشير بسفك دم، وعثرة الحرب لا تستمال، وغيرى أولى بالمشورة في هذا المكان ...

واجتمع رؤساء بني سعد إلى أكنم بن صيفي يستشيرونه فيما دهمهم يوم الكلاب، فقال: إنّ وهنّ الكبر قد فشا في بدني، وليس معي من حدة الذهن ما أبتدئ به الرأي، ولكن اجتمعوا وقولوا، فإنّي إذا مرّ بي الصواب عرفته.

### الأنانة والروية والعجلة

مدح الأنانة والروية وذم العجلة

وكانوا يمدحون الأنانة في الرأي وإجالة الفكرة فيه وعدم التسرع. كان عبد الله بن وهب الراسبي يقول: إياي والرأي الفطير ا وكان يستعبد بالله من الرأي الدبري.

« الفطير: كل ما أعجل عن إدراكه، تقول: نظرت العجين، وهو



أَنْ تَدِيحَتْهُ ثُمَّ تَخْتَبِرُهُ مِنْ سَاعَتِهِ . وَالذَّبْرِيُّ : الَّذِي يَسْنَحُ بَعْدَ الْفَوْتِ  
يُقَالُ : شَرُّ الرَّأْيِ الذَّبْرِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي يَسْنَحُ آخِرًا عِنْدَ فَوْتِ الْحَاجَةِ ،  
أَيُّ أَنْ شَرَّهُ إِذَا أَدْبَرَ الْأَمْرُ وَفَاتَ ، وَبِنِ ذَا قَوْلِهِمْ : عَرَفَ الْأَمْرَ تَدْبِيرًا ،  
أَيُّ بِأَخْرَجَةٍ قَالَ جَرِيرٌ :

وَلَا تَنْقُرُونَ الشَّرَّ حَتَّى يَصِيبَكُمْ      وَلَا تَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدْبِيرًا  
وَيُقَالُ : إِنْ فُلَانًا لَوْ اسْتَقْبَلَ مِنْ أَمْرِهِ مَا اسْتَدْبَرَهُ أَهْدَى لَوِجْهَهُ  
أَمْرِهِ ، أَيُّ لَوْ عَلِمَ فِي بَدْيِ أَمْرِهِ مَا عِيلَبَهُ فِي آخِرِهِ لَأَسْتَرْشَدَ لِأَمْرِهِ  
وَكَانَ عَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ حَكِيمٌ الْعَرَبُ يَقُولُ : دَعُوا الرَّأْيَ يَغِيبُ حَتَّى  
يَخْتَمِرَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالرَّأْيَ الْفَطِيرُ | يَرِيدُ الْإِنَاءَةَ فِي الرَّأْيِ وَالتَّثْبِتَ فِيهِ  
وَقَالَ الشَّعْبِيُّ — عَامِرُ بْنُ شَرَّاحِيلَ — : أَصَابَ مُتَأَمِّلٌ أَوْكَادًا ، وَأَخْطَأَ  
مُسْتَعِجِلٌ أَوْكَادَ « الْمُتَأَمِّلُ : الْمُتَثَبِّتُ يَقُولُ : تَأَمَّلْ فُلَانٌ : إِذَا تَثَبَّتْ وَنَظَرَ  
فِي الْأَمْرِ »

وَقَالَ شَاعِرٌ :

تَأَنَّ وَشَاوِرْ فَإِنَّ الْأَمْرَ      رَمِنَا مُضِيٌّ وَمُسْتَعِجِضٌ  
فَرَأْيَانٍ أَنْضَلُ مِنْ وَاحِدٍ      وَرَأْيُ الثَّلَاثَةِ لَا يُنْقِضُ

وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ :

الرَّأْيُ قَبْلَ شِجَاعَةِ الشُّجْعَانِ      هُوَ أَوْلُّ وَهَى الْمَحَلِّ الثَّانِي  
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مُرَّةً      بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ (١)  
وَلَرُبَّمَا طَعْنُ الْفَتَى أَقْرَانَهُ      بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعِنِ الْإِقْرَانِ

(١) لنفس مرة: من المرارة، وتروى مرة بكسر الميم: القوة والشدة، وأصل المرة  
إحكام الفتل يقال: أمر الخيل إمراراً، وتروى: حرة

لولا العقول لكان أذنى ضيغمٍ أذنى إلى شرف من الإنسان<sup>(١)</sup>  
ولما تفاضلت العقول ودبرت أيدي الكفاة عوالي المران<sup>(٢)</sup>  
وفي الأثر : ما دخل الرفق في شيء إلا زانه ، ولا الخرق إلا شانه .  
وقال القطامي :

قد يُدركُ المتأني بعض حاجته وقد يكونُ مع المُستعجلِ الزللُ  
وقال :

وخيرُ الأمرِ ما استقبلتَ منه وليس بأن تَدبَّعهُ أتباعا<sup>(٣)</sup>  
وقبله :

ومعصية الشفيقِ عليك مما يزيدك مرةً منه استماعا<sup>(٤)</sup>

### مدح العجلة وانتهاز الفرص

وهناك من الخطوب ما تمدح فيه العجلة :

قيل لأبي العيَّاه : لا تَعَجَلْ فَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ اِقْضال : لو كان ذلك  
كذلك لما قال نبيُّ الله موسى « وَتَعَجَّلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ،  
وقال معاوية : ما من شيءٍ يَعْدِلُ التَّثْبُتُ اِقْضال الأحنف بن قيس : إلا  
أن تُبادِرَ بالعملِ الصالحِ أَجلك ...

(٢١١) الضيغم : الأسود والمراد بأذنى ضيغم : أدون وأخس ، وأذنى إلى شرف :  
أقرب ، والعوالي : صدور الرماح ، والمزان : الرماح اللينة ، والكفاة جمع كفي وهو  
البطل المشتمل بالسلاح

(٣) يقول : خير الأمر ما قد تدبرت أوله فعرفت لإلام تول عاقبته ، وشره  
ماترك النظر في أوله ، وتتبع أو اخره بالنظر

(٤) يقول : اذا عصيت الشفيق عليك الحريص على رشدك تبينت في عواقب  
أمرك الزلال فزادك حرصاً على أن تقبل نصحه .

وقالوا: المتأني في علاج الداء، بعد أن عرف الدواء، كالمتأني في إطفاء النار وقد أخذت بحواشي ثيابه ...

وسأل أبو علي البصير بعض الأمراء حاجة: فقال له: رُح إلى وقت العصر، وجاء وقت الظهر، فقال: ألم أعدك وقت العصر؟ فقال: نعم، ولكن رأيت الإفراط في الاستظهار أحمد من الاستظهار في التواني ... والاستظهار هنا معناه: الاحتياط والاستيثاق.

ومن قولهم في انتهاز الفرص: الهيبة خيبة والفرصة تمرُّ مرَّ السحاب ... وقالوا: انتهب الفرصة قبل أن تعود غصة. وقالوا: الافتراض اقتناص ...

### عقريات شتى في المشورة

قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - شاعر ضخم أدرك الدولة العباسية - :

إذا كنت في حاجة مُرسلاً	فأرسل حكيماً ولا تُوصه
وإن باب أمرٍ عليك التوى	فشاوِرْ كيباً ولا تقصه
ولا تنطق الدهر في مجاس	حديثنا إذا أنت لم نُجسه
ونص الحديث إلى أهله	فإن الوثيقة في نصه <sup>(١)</sup>
وإن ناصحٌ منك يوماً دنا	فلا تنأ عنه ولا تقصه
وكم من قبيحٍ شاخص عقله	وقد تعجب العين من شخصه
وآخر تحسبه جاهلاً	ويأتيك بالامر من فسه <sup>(٢)</sup>

(١) نص الحديث: رفعه وأسنده؛ والوثيقة في الأمر: لإحكامه والاختذ بالثقة

(٢) فص الأمر: أصله وحقيقته تقول: أنا أتيك بالأمر من فسه، يعني: من

مخرجه الذي قد خرج منه

وقال ابن المقفع: لا يُقَدَّفَنَّ في رُوعِكَ أنك إذا اسْتَشَرْتَ الرجال  
 ظهر للناس منك الحاجة إلى رأى غيرك فتتقطع بذلك عن المشورة ، فإنك  
 لا تريد الرأى للفخر ولكن للاتفافع به ، ولو أنك أردت الذكر لكان  
 أحسنُ الذكر عند الألباء أن يُقال : لا ينفردُ برأيه دون ذوى الرأى  
 من إخوانه ...

ولما سار سيدنا رسول الله إلى قريش في غزاة بدر نزل صلى الله  
 عليه وسلم أذنى ماء من مياه بدر ، فقال له الحباب بن المنذر : يا رسول  
 الله ، أرايت هذا المنزل أمزِلُ أنزلَكَ اللهُ عز وجل ليس لنا  
 أن نتقدّمه ولا أن نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحربُ والمكيدة ؟ قال :  
 « بل هو الرأى والحربُ والمكيدة » ؛ فقال : يا رسول الله ، فإن هذا  
 ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أذنى ماء من مياه القوم فنزله ،  
 ثم نُعَوِّرَ (١) ما سواه من القلب ، ثم نبى عليه حوضاً فتملأه ماءً ، ثم  
 نُقاتِلَ القومَ فنشرب ولا يشربوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « لقد أشرتَ بالرأى » وفعل ما أشار به الحباب .

وفى حديث أبي هريرة : مارأيتُ أحداً أكثر مشورة لأصحابه من  
 النبي صلى الله عليه وسلم ... « أقول : وإنما كان يشاورهم — كما قال  
 علماؤنا — فيما ليس فيه نص ، وفى أمور الدنيا ، ومن ظنَّ أنه كان  
 يشاورهم فى الأحكام فقد غفل غفلةً عظيمة كما قال الأئمة ، وكذلك إنما  
 كانت المشاورة قبل العزم والتبيين ، فإذا عزم الرسول لم يكن لبشرٍ التقدّم  
 على الله ورسوله ، قال العلماء : فلقد شاورَ النبي أصحابه يوم أُحُدٍ فى المقام

(١) عور الركبة : كبتها بالتراب حتى تفسد عيونها

والخروج ، فأوأله الخروج ، وكان صلوات الله عليه يرى أن يُقيم  
بالمدينة فيقاتلهم فيها ، فما زالوا برسول الله حتى لبس لآئته <sup>(١)</sup> فلما لبسها  
ندموا وقالوا : يا رسول الله أقيم فالرأى رأيك ، فلم يمل إليهم بعد العزم  
وقال : لا ينبغي لنبى يلبس لآئته أن يضعها حتى يحكم الله... وكذلك كان  
الخلفاء الراشدون يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور التي لم يكن  
فيها نصٌ بحكم معين ليأخذوا بأيسرها ، فإذا وضح الكتاب والسنة لم  
يتعدوه إلى غيره ، فقد كان أبو بكر رضى الله عنه إذا ورد عليه أمرٌ نظر  
فإن وجد في كتاب الله أو سنة رسوله ما يقضى به قضى وإلا دعا رؤس  
المسلمين وعلماءهم واستشارهم ، وكذلك كان يفعل الفاروق وسائر الخلفاء  
رضى الله عن الجميع »

قالوا : وكانت الروم والفرس لا يجمعون وزراءهم على الأمر يستشيرون  
فيه ، وإنما كانوا يستشيرون الواحد منهم من غير أن يعلم الآخر به ؛  
وذلك لمعانٍ منها أن لا يقع بين المستشارين منافسةٌ تذهب بأصالة الرأي  
وصحة النظر ، لأن من طباع المشركين في الأمر التنافس والتغالب والطعن  
من بعضهم على بعض ، وربما أشار أحدهم بالرأى الصواب وسبق إليه  
فخسده الآخرون فتعقبوه بالإعراض والتأويل والتّهجين وكدرهه وأفسدوا  
ومنها أن في اجتماعهم على المشورة تعريض السر للإضاعة والإفشاء والإذاعة  
ولذلك قالت الفرس : إنما يراد الاجتماع والكثرة والتأصر في الأمور  
التي يحتاج فيها إلى القوة ، أما الأمور الغائضة فإن الاجتماع يفسدها ويولد  
فيها التضاعن والتنافس ...

وجاء في كتاب للهند : أن ملكا استشار وزراء له ، فقال أحدهم :

(١) أداة الحرب من درع وبيضة وغيرهما من السلاح

الملك الحازمُ يزدادُ برأى الوزراءِ الحزَمَةِ كما يزدادُ البحرُ بمواده من الأنهار  
وينال بالحزم والرأى ما لا يناله بالقوة والجنود؛ وللأسرار منازلُ: منها  
ما يدخلُ الرهطُ فيه، ومنها ما يُستعان فيه بقوم، ومنها ما يُستغنى فيه بواحد  
وفي تحصين السر الظفر بالحاجة والسلامة من الخلل، والمستشير وإن كان  
أفضلَ رأياً من المشير فإنه يزداد برأيه رأياً كما تزداد النارُ بالسليط ضوءاً<sup>(١)</sup>؛  
وإن كان الملكُ مُحصناً لسيره بعيداً من أن يُعرف ما في نفسه متخيراً للوزراءِ  
مهيئاً في أنفُسِ العامةِ كافياً بحسن البلاء لا يخافهُ البريء ولا يأمنهُ المريب  
مُقدراتاً لما يُفقد وينفق، كان خليقاً لبقاء ملكه. ولا يصلح لسرنا هذا إلا  
لسانان وأربعُ آذانٍ. ثم خلا به ...

\*\*\*

(وبعد) فإن دولة الاستبداد قد أُدبِل منها في هذه الأجيال وشال أمرها في  
الميزان، ورجحت كفة الشورى ونفقت سوتها، وخطت في عصرنا هذا  
خُطواتٍ رغبية موفقة، وعمت أكثر الأمم التي أعرفت في الحضارة، وظهر  
أن مجالسَ الشورى على علاتها هي تحيرُ ألوان الحكم، ومن الذى يقول  
إن الاستبداد أو الحكم المطلق الذى لا رِبة عليه هو أفضل من الشورى  
أياً كان لونها اللهم إلا رجُلٌ أحق مافون ليس بثاقب الرأى، وإذا كانت  
الشورى لا تعرى من العيوب فأين لا أين الخير نخصاً والكمال صرفاً ...

(١) السليط: الزيت والمراد زيت المصباح

## عقرياتهم في الوعظ

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومما يتصل بهذا الباب عقرياتهم في الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلنورد لك صدرًا من ذلك إن شاء الله

## نهي من لم يتعظ عن الوعظ

قال رجلٌ لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : عِظِي وَأَوْجِزْ ، فقال : تَوَقَّ مَا تَعِيبُ .

وجاء رجل إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقال : إنني أريد أن أعظ ، فقال : أَوْ بَلَغْتَ ذَلِكَ إِنْ لَمْ تَخْشَ أَنْ تَقْتَضِحَ بِثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَافْعَلْ ، قال : ماهي ؟ قال : قول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » وقوله تعالى : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ » ، وقول العبد الصالح شعيب « ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه » أَلْحَكَمْتَ هَذِهِ الْآيَاتِ ؟ قال : لا ، قال : فابدأ إذن بنفسك .

وقال شاعر :

يا وَايَظَّ النَّاسِ قَدْ أَصْبَحَتْ مُتَّهَمًا      إِذْ عِبَتْ مِنْهُمْ أُمُورًا أَنْتَ تَأْتِيهَا  
كَمَنْ كَسَا النَّاسَ مِنْ عُرْيٍ وَعَوْرَتُهُ      لِلنَّاسِ بِإِدْبَةٍ مَا إِنْ يُؤَارِيهَا

## حشهم على الوعظ بالفعال دون المقال

قال بعضهم : ليس الحكيم الذي يُلَقِّنُكَ الْحِكْمَةَ تَلْقِينَا ، إنما الحكيم

الذى يعملُ العملُ الحكيمُ فتفتدي به .  
 وقال آخر ؛ أخذ المرء نفسه بحسنِ الأدب تأديبٌ لأهله .  
 ومن هذا يقول محمود الوراق :  
 رأيتُ صلاحَ المرءِ يُصلِحُ أهلهُ وَيُعِدُّهُمْ داءَ الفسادِ إذا فسَدُ

### التلطف واللين في الوعظ

تصدى رجل للرشيد فقال : إني أريد أن أعظ عليك في المقال ،  
 فهل أنت محتَمِل ؟ قال : لا ؛ لأن الله تعالى أرسل من هو خيرٌ منك إلى  
 من كان شرًّا مني ، وأمره باللين ، فقال تعالى : « فقولوا له قولا لينا لعله  
 يتذكر أو يخشى ،

وقالوا : واجبٌ من يعظ أن لا يعنف ، ومن يؤعظ أن لا يأنف

### الحث على الاتعاض

قالوا : السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ به غيره . وقالوا :  
 من لم يتعظ بغيره وعظ الله به غيره .

### وعظ من لا يتعظ

قالوا : لا ينتجُ الوعظُ في اللوب القاسية ، كما لا يزكو البذر في  
 الأرض الجاسية .

وقالوا : صفةُك سيفاً ليس له سينخ<sup>(١)</sup> تعب ، وبذرُك أرضاً  
 سينخ<sup>(٢)</sup> نصب .

(١) السينخ : الأصل من كل شيء . تقول : رجع فلان إلى سنخه الكريم وإلى سنخه الخبيث



وقالوا : من استنقل سماع الحق فهو للعمل به أكثر استئقلا ...

حشهم على قبول وعظ من ليس بمتعظ

قالوا : لا يَمْنَعَنَّكُمْ سُوءُ مَا تَعْمَلُونَ عَنَّا أَنْ تَعْمَلُوا بِأَحْسَنِ

مَا تَسْمَعُونَ مِنَّا .

وورد في الأثر : مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهِ ، وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ

وَإِنْ لَمْ تَنْتَهُوا عَنْهُ :

وقال الحسنُ البصريُّ يوماً لبعض الصالحين : عِظْ أَصْحَابَكَ ، فَقَالَ لَهُ :

لَأِنِّي أَخَافُ أَنْ أَقُولَ مَا لَا أَفْعَلُ ، فَقَالَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، وَأَبْنَا يَقُولُ

مَا يَفْعَلُ ! يَوَدُّ الشَّيْطَانُ أَنْهُ ظَفِيرَ بَهْدِهِ مِنْكُمْ فَلَمْ يَأْمُرْ أَحَدٌ بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ يَنْهَ

عَنْ مُنْكَرٍ ...

### النهى عن الاقتداء بذوى الزلات

قال بعض العلماء : إِيَّاكَ وَالْاِقْتِدَاءَ بِزَلَّاتِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَتَقُولُ : فَلَانَ شَرِبَ النَّيِّدَ ، وَفَلَانَ سَمِعَ الْغِنَاءَ ، وَفَلَانَ لَعَبَ بِالشَّطْرَنْجِ

فِيخْرُجَ مِنْكَ فَاسِقٌ تَامٌ ... وَقَالُوا : مَنْ أَخَذَ بِرُخْصَةٍ كُلِّ فَقِيهٍ خَرَجَ مِنْهُ

فَاسِقٌ ...

### الحث على الأمر بالمعروف والحال التي يجوز فيها

قال الله تعالى : « وَاتَّقُوا اللَّهَ مِنْكُمْ أَنْ تَدْعُوا إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ <sup>(١)</sup> »

(١) قال الإمام البيضاوي في تفسيره : مِنْ فِي مِنْكُمْ لِلتَّبَعِضِ لِأَنَّ الْأَمْرَ

وقال سيدنا رسول الله : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكِرًا وَاسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ  
بِيَدِهِ فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ  
أَضْعَفُ الْإِيمَانِ .

وفى الأثر : إِنْ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ عَمَّهِمْ اللَّهُ  
بِعِقَابِهِ .

وأما قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ  
إِذَا اهْتَدَيْتُمْ » فقد قال الإمام البيضاوي : قوله : عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، أَيْ احْفَظُواهَا  
وَالزَّمُوا إِصْلَاحَهَا ، وَلَا يَضُرُّكُمْ ... الْآيَةُ : أَيْ لَا يَضُرُّكُمْ الضَّلَالُ إِذَا كُنْتُمْ  
مُهْتَدِينَ ، قَالَ : وَمِنَ الْإِهْتِدَاءِ أَنْ يَنْكُرَ الْمُنْكَرَ حَسْبَ طَاقَتِهِ ، وَقَالَ : نَزَلَتْ  
هَذِهِ الْآيَةُ لَمَّا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَتَحَسَّرُونَ عَلَى الْكُفْرَةِ وَيَتَمَنُّونَ إِيمَانَهُمْ ، وَقِيلَ  
كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ قَالُوا لَهُ : سَفَّهْتَ آبَاءَكَ ، فَنَزَلَتْ ،

وقال الراغب الأصبهاني : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال  
صلوات الله عليه : اتعمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، وإذا رأيت  
شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل امرئ برأيه فعليك بخورك بصحة نفسك

بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ، ولأنه لا يصلح له كل أحد  
إذ للتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الأمة ، كالعلم بالأحكام ومراتب  
الاحتساب وكيفية إقامتها والتمكن من القيام بها ، خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم  
ليدل على أنه واجب على الكل حتى لو تركوه رأساً أئمتنا جميعاً ، ولكن يسقط بفعل  
بعضهم ، وهكذا كل ما هو فرض كفاية ثم قال : والدعاء إلى الخير يعم الدعاء إلى  
ما فيه صلاح ديني أو دنيوي ، وعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف  
الخاص على العام للإيدان بفضله

وَدَعَّ أَمْرَ الْعَوَامِّ (١) ، ثم قال الراغب : وقال أكثر المتكلمين : لا يجوز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل موضع ، لكن من علم أوطن أن قوله يَنْقُذُ وأن لا يناله مكروه إذا أمر أو نهى فعليه أن يفعل ذلك ، ومتى خاف على نفسه فعليه أن يُنكِرَ المنكر بقلبه دون لسانه ...

(١) خويصة : تصغير خاصة بسكون الياء لأن ياء التصغير لا تكون إلا ساكنة وجوز النقاء الساكنين فيها أن الأول حرف لين والثاني مدغم ، وعليك بخويصة نفسك : جاهد نفسك وانكش في الأعمال الصالحة ، ثم قال : ودع أمر العوام يريد : دع السواد الأعظم فيما هم فيه سادرون

# الباب الخامس

في

الحلم وكظم الغيظ

والعفو والغضب والانتقام

وما إلى هذه المعاني

والحلم كذلك لونٌ من ألوان الصبر، أليس هو تجرُّع الغيظ أو إمساك النفس عن ثورة الغضب وهيجته وانبعائه؛ وهو فضيلة عليا ما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظٍ عظيم<sup>(١)</sup> ومن كلام النبوة: كَادَ الحليم أن يكون نبياً. وهو نتاج العقل والآناة، أو قُل: إنه هُما. قال عَزَّ وَجَلَّ يَذُمُّ الكفَّارَ مُتَّعِجاً مِنْهُمْ: «أم تأمرهم أخلامهم بهذا»، وسأل عليُّ رضي الله عنه كبيرَ فارسٍ عن الغالبِ كان على كِسْرَى أنو شروان؛ قال: الحلم والآناة، قال: هما توأمان يَدْتَجِهُمَا غُلُوُّ الهمة وقال الشاعر:

لَنْ يُدْرِكَ المَجْدَ أقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا

حَتَّى يَذِلُّوا — وَإِنْ عَزُّوا — لِأَقْوَامٍ

وَيُسْتَمُوا فَتَرَى الأَلْوَانَ مُسْفِرَةً لِأَصْفَحَ ذَلِّ وَلَكِنْ صَفَحَ أَخْلَامٍ<sup>(٢)</sup>

(١) آية كريمة هي: «ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظٍ عظيم

(٢) مسفرة: مشرقة مضيئة سرورا

قالوا : ولن يتمَّ حلمُ الإنسانِ إلا بإمساكِ الجوارحِ كلها : اليد عن البطشِ ، واللسان عن الفُحشِ ، والعين عن النظرِ الشَّرِّ ، وأقربُ لفظ يقابل الحِلْمَ هو التذمُّرُ . وقال أبو هلالِ العسكري : ومن أشرفِ نُعوتِ الإنسانِ أن يُدعى حليماً ، لأنه لا يُدعاه حتى يكون عاقلاً وعالمًا ومُضطرباً وعَفْواً وصاحفاً ومحملاً وكاظماً ، وهذه شرائفُ الأخلاقِ وكرائمُ السجايا والخصال .  
والحِلْمُ : منه ماهو غريزيٌّ ، وهو هبةٌ من الله لعبده يُعفو عمن ظلمه ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، وَيُحْسِنُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ ، يَصْدُرُ فِي ذَلِكَ عَنْ نَحِيْزَةِ كَرِيْمَةٍ وَغَرِيْزَةِ سَلِيْمَةٍ وَصَدْرٍ سَالِمٍ مِنَ الْغَوَائِلِ وَالْأَذَى ، صَافٍ مِنْ شَوَائِبِ الْكُدْرِ وَالْقَدَى ، وَهَذَا هُوَ الْحِلْمُ الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ تَعَلُّمًا وَلَا يُكْتَسَبُ تَحَلُّمًا :

وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِي طِبَاعِ لَمْ يُحْتَمِمْ تَقَادُمُ الْمِيْلَادِ [المتنبى]  
رَوَى أَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِأَشْجَعِ عَبْدِ الْقَيْسِ : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ ، إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يَرْضَاهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ : الْحِلْمُ وَالْإِنَانَةُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَمِ شَيْءٌ جَبَلْتَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْ شَيْءٌ اخْتَرَعْتَهُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِي ؟ قَالَ : « بَلْ شَيْءٌ جَبَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلْتَنِي عَلَى خُلُقٍ يَرْضَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .  
وَهُنَاكَ مِنْ يَقُولُ : إِنَّ الْحِلْمَ لَيْسَ غَرِيْزَةً وَلَا طَبِيعَةً بَلْ مُكْتَسَبٌ مُسْتَفَادٌ . وَأَيُّمَا كَانَ الْحَالُ فَلَيْسَ مِنْ يُنْكَرُ أَنْ مِنَ الْحِلْمِ مَا هُوَ غَرِيْزِيٌّ كَمَا قُلْنَا ، كَمَا أَنَّ هُنَاكَ حِلْمًا يُكْتَسَبُ بِالتَّحَلُّمِ كَمَا أَنَّ الْعِلْمَ بِالتَّعَلُّمِ

قال حاتم :

تَحَلَّمْ عَنِ الْأَذْيَانِ وَاسْتَبِقِ وَدَّهْمِ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحْتَلِّمًا  
يُرَوَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ جَعْفَرِ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَبْدٌ سَمِيَ الْخُلُقُ ، فَقِيلَ لَهُ : أَمَا تَأْتَفُ مِثْلَ هَذَا عِنْدَكَ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى الْإِسْتِبْدَالِ بِهِ ؟ فَقَالَ :

إنما أتركه لَأَنْتَعَلَمَ عَلَيْهِ الْحِلْمُ ...

وقال الشاعر:

وليس يَتَمُّ الحِلْمُ للدرءِ راضياً إذا هو عند السُّخِطِ لم يَتَحَلَّمْ

كما لا يَتَمُّ الجُودُ للدرءِ مُوسِراً إذا هو عند القَسْرِ لم يَتَحَشَّمْ

[ يتحشم: يندمم ويستحي ]

وهناك حلم حادث عن الكِبَرِ والمَجْرَقِ، لا يَرى المُسِيءَ أَهْلاً أَنْ يُجَارِيَهُ، كما أَنَّ هُنَاكَ حِلْمٌ هَانَةٌ وَذِلَّةٌ وَعِجْزٌ وَصَعْفٌ نَفْسٍ وَصِغْرٌ هَمَّةٍ

الممدوح بالحلم وتمدحهم به

قال مِهْيَارُ الدَيْلِيِّ:

وإذا الإباءُ المُرُّ قال لك: انْتَقِمْ قلتَ خَلَاتِقُكَ الكِرَامُ: بَلِ أَحْلَمُ

شَرِّحَ مِنَ العَفْوِ انْفَرَدَتْ بِدِينِهِ وَفَضِيلَةُ لِسَوَاكِ لَمْ تَتَقَدِّمْ

حتى لقد وَدَّ البَرِيءُ لو أَنَّهُ أدلَى إِلَيْكَ بِفَضْلِ جِأِ المَجْرِمِ

وقال بعضهم:

فَدَهَرَهُ يُصْفَحُ عَنْ قُدْرَةِ وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ نَلَى عِلْمُهُ

كَأَنَّهُ يَأْتِفُ مِنْ أَنْ يَرَى ذَنْبَ امْرِئٍ أَعْظَمَ مِنْ حِلْمِهِ

وقال المتنبي:

وَأَحْلَمُ عَنْ خِلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ متى أَجْرَهُ حِلْمًا عَلَى الجَهْلِ يَنْدَمُ

وقال سالم بن وائصة<sup>(١)</sup>:

(١) شاعر إسلامي تابعي، وهو صاحب هذه الأبيات: - وهي من أبيات الحماسة

أحبّ الفتى يَنْفِي الفواحشَ سَمْعُهُ كانَ به عن كلِّ فاحشةٍ وَقَرَأَ

وَنَيْرِبٍ مِنْ مَوَالِي السُّوءِ ذِي حَسَدٍ      يَبْتَنَاتُ لِحْمِي وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ <sup>(١)</sup>  
 دَارَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غِمْرُهُ حَقْدًا      مِنْهُ وَقَلَّمْتُ أَظْفَارًا بِلا حِلْمٍ <sup>(٢)</sup>  
 بِالْحَزْمِ وَالْخَيْرِ أَسْدِيهِ وَالْحِمَّةُ      تَقْوَى الْإِلَهِ وَمَا لَمْ يَرْعَ مِنْ رَحِمٍ <sup>(٣)</sup>  
 فَأَصْبَحَتْ قَوْسُهُ دُونِي مُوْتَرَةً      تَرْمِي عَدُوِّي جِهَارًا غَيْرَ مُكْتَنِمٍ <sup>(٤)</sup>  
 وَإِنَّ فِي الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ      وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ  
 وَقَالَ بَعْنُ بِنِ أَوْسِ الْمُرَزِيِّ: <sup>(٥)</sup>  
 وَذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضَعْفِنِهِ      بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ

سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَّدْرِ لَا بَاسِطًا أَذْيَ      وَلَا مَانِعًا خَيْرًا وَلَا قَائِلًا هُجْرًا  
 إِذَا شَدْتُ أَنْ تُدْعَى كَرِيمًا مُكْرَمًا      أَدِيًّا ظَرِيفًا عَاقِلًا مَاجِدًا حُرًا  
 إِذَا مَا أَنْتَ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ      فَكُنْ أَنْتَ مُخْتَالًا لِرِزْلَتِهِ عُدْرًا  
 غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَنَةٍ      فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الْغَنَى فَقْرًا

(١) النيرب: الشر والقيمة، أراد: وذى نيرب، والقرم: شدة الشهوة إلى اللحم  
 يقول: رب ذى نيرب حسود من موالى السوء يقتابني وبأكل لحمي ولا يشفيه ذلك  
 من قرم، ويقتات: يفتعل من القوت.

(٢) الغمر: الحقد والغل، والجلم: أحد شقي المقرض وإنما هما جلمان يقول:  
 صابرته على مداجاته وانطوائه على حقدى فدفعت شره عن نفسى بطول مداراتى.  
 وحقدا: أى حاقدا ودأويت صدره: أى مكنون صدره

(٣) بالحزم متعلق بدأويت أو قلعت وقوله: تقوى الإله يرجع إلى أسديه، وما  
 لم يرع من رحم: يرجع إلى ألهم

(٤) يقول: ما زلت أتلف وأصلح الأمر الفاسد بالرفق قليلا قليلا حتى صار  
 يقاتل عدوى مجاهرة بعد أن كان يعاديني مكاشرة

(٥) شاعر غل من مخضرمى الجاهلية والإسلام وأبياته هذه من أبيات له طويلة

يُحَاوِلُ رَغْمِي لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ      وكالموتِ عِنْدِي أَنْ يَحِلَّ بِهِ الرَّغْمُ<sup>(١)</sup>  
 وَيَشْتَمُ عِرْضِي فِي الْمَغِيبِ جَاهِدًا      وليس له عِنْدِي هَوَانٌ وَلَا شَتْمٌ  
 إِذَا سُمِّيَتْهُ وَضَلَّ الْقَرَابَةَ سَانِي      قَطِيعَتَهَا ، تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالْإِنْمُ  
 فَمَا زِلْتُ فِي لَيْسِي لَهُ وَتَعْطَانِي      عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمِّ  
 وَصَبْرِي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِيْبِي

وَكُظْمِي عَلَى غَيْظِي وَقَدْ يَنْفَعُ الْكُظْمُ<sup>(٢)</sup>  
 لَأَسْتَلَّ مِنْهُ الضَّغْنَ حَتَّى اسْتَلْتَنَّهُ      وَقَدْ كَانَ ذَا ضِغْنٍ يَضِيئُ بِهِ الْحَزْمُ  
 فِدَاوَيْتُهُ حَتَّى ارْفَأَنْ نِفْسَارَهُ      نَعْدُنَا كَأَنَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا صَرْمٌ<sup>(٣)</sup>  
 وَأَطْفَأَتْ نَارَ الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ      فَأَصْبَحَ بَعْدَ الْحَرْبِ وَهُوَ لَنَا سَلْمٌ  
 وَقَالَ شَاعِرٌ :

لَقَدْ أَسْمَعُ الْقَوْلَ الَّذِي هُوَ كَلِمَا      تُذَكِّرُنِيهِ النَّفْسُ قَلْبِي يُصَدِّعُ  
 فَأَبْدِي لِمَنْ أَبْدَاهُ مِنِّي بِشَاشَةً      كَأَنِّي مَسْرُورٌ بِمَا مِنْهُ أَسْمَعُ  
 وَمَا ذَاكَ مِنْ عَجْزٍ بِهِ غَيْرَ أَنِّي      أَرَى أَنْ تَرَكَ الشَّرَّ لِلشَّرِّ أَدْفَعُ

### فضل كظم الغيظ

يقال : كَظَمَ الرَّجُلُ غَيْظَهُ يَكْظِمُهُ كَظْمًا : رَدَّهُ وَحَبَسَهُ وَتَجَرَّعَهُ . قَالَ تَبَالِي :  
 « وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ » قَالَ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ : يَعْنِي أَعَدَّتِ الْجَنَّةَ لِلَّذِينَ جَرَى  
 ذِكْرُهُمْ وَالَّذِينَ يَكْظِمُونَ الْغَيْظَ ،

(١) الرغْم : الذل والقسر

(٢) رابه فلان وأرابه : إذا رأى منه ما يكره

(٣) ارفأن : سكن مأخوذ من رفا الثوب : لام خرقه وضم بعضه إلى بعض



وفي الحديث : « مامن جُرعة يتجرعها الإنسان أعظم أجراً من جُرعة غيظ في الله عز وجل ،

وقالوا : الكظمُ يدفع محذورَ الندم ، كالماء يُطفئ حرَّ الضرم  
وقال بعضهم : كظمٌ يتردد في حلقى أحب إلى من نقصِ أجدُه في حُلقي .

وقال : \* وأفضلُ حِلْمٍ حِسْبَةٌ حِلْمٌ مُغْضَبٍ \*  
وقال معاوية : ما وجدتُ لذةً هي عندي ألد من غيظِ أنجرعه وسفَه حِلْمٍ أقمعه . وقال لابنه يزيد : عليك بالحلم والاحتِمال حتى تُمَكِّنَكَ الفُرْصَةَ  
إِذَا أَمَكَّنْتِكَ فَعَلَيْكَ بِالصَّفْحِ ، فَإِنَّهُ يَدْفَعُ عَنْكَ مُعْضَلَاتِ الْأُمُورِ ، وَيَتَيْبِكَ  
مَصَارِعَ الْمَحْذُورِ

## الغضب وألوانه

وما يسكن به ثورانه

قال الراغب : مَثَلُ الْغَضَبِ مَثَلُ نَارٍ مَا يَشْتَعِلُ ، وَالنَّاسُ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ،  
فبَعْضُهُمْ كَالْحَلْفَاءِ <sup>(١)</sup> سَرِيعُ الْوُقُودِ سَرِيعُ الْخُمُودِ ، وَبَعْضُهُمْ كَالْغَضَا <sup>(٢)</sup> بَطِيءُ الْوُقُودِ  
بَطِيءُ الْخُمُودِ ، وَبَعْضُهُمْ سَرِيعُ الْوُقُودِ بَطِيءُ الْخُمُودِ ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ  
ذَلِكَ ، وَهُوَ أَحَدُهُمْ ، مَا لَمْ يُوَدَّ بِهِ ذَلِكَ إِلَى زَوَالِ حِمِيَّتِهِ ، وَفَقْدَانِ غَيْرَتِهِ .  
وَإِخْتِلَافِ النَّاسِ فِي الْغَضَبِ قَدْ يَكُونُ مَرْدُهُ إِخْتِلَافَ الْأَمْزِجَةِ ، وَقَدْ يَكُونُ

(١) الحلفاء : نبت أطرافه محسدة كأنها سعف النخل والحوص : نبت في  
مغايض المياه .

(٢) الغضا : شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب وجره يبق زمناً طويلاً  
لا يطفئ الواحدة منه غضاة .

العادة ، إذ من الناس من اعتاد السكون والهدوء من سَجَرَاءِ إلفِهِ الذَّلِّ والانتقيادَ والاستخْذاءَ ، ومنهم من تعود الطيش والانتزاعَ فيحتدُّ من أدنى ما يُلمَّ به ، مثله مثل كلب يسمع صوتاً فينبسح قبل أن يَعْرِفَ مصدره ؛ وأكثر الناس غضباً الصبيانُ والنساءُ ، وأكثرهم ضَجْرًا الشيوخُ ، وأجل الناس شجاعةً وأفضلهم مجاهدةً وأعظمهم قوَّةً من كَظَمِ الغيظِ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس الشديدُ بالصرعة ، إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسه عند الغضب ، ومرَّ صلوات الله عليه بقوم يرفعون سَجْرًا فقال : ( ألا أخبركم بأشدكم ؟ : من ملكَ نفسه عند الغضب ) واعلمْ أن نارَ الغضب متى كانت عيفةً تَأَجَّجَتْ واضطربت واحتدَّتْ غَلِيَانُ الدَّمِ في القلبِ وامتلات الشرايينُ والدماغُ دُخانًا مُظلمًا يُسوءُ منه حالُ العقلِ وَيَضْعُفُ فِعْلُهُ ، وكما أن الكهْفَ الضيق إذا امتلأ حريقًا واختنق فيه اللهبُ والدخانُ وعلا الأجاجيجُ صعبَ علاجِه وإطفائِه ، وصار كل ما يذئو منه مادةً لقوته ، كذلك النفس إذا اشتعلت غضبًا عميت عن الرشيدِ وصمَّتْ عن الموعظة حتى تصيرَ المواقظَ مادةً لغضبِها ، وربما أدى الغضبُ إلى تَلْفٍ ، وهو اختناقُ الحرارة في القلبِ الأمرُ الذي قد يكون سببًا لأمراضٍ مُستعصيةٍ تُؤدِّي إلى التلفِ ؛ ثم قال وحق من يعتره الغضبُ أن يُفكِّرَ ، فإن كان المغضوبُ عليه تحت يده فلا معنى لاستشاطته ؛ إذ هو متمكِّنٌ من الانتقام منه مع سكون الجأش ، وإن كان غضبه على من لا سبيلَ إليه فلا معنى لتعذيبه نفسه في الوقت وإنما الأخلقُ به أن يصبرَ حتى يتمكنَ منه ثم يفعلَ الواجب ، قال حكيم : سُدَّ طريقَ الغضبِ قبل تلهبِ ناره في لحكٍ ودملكٍ فإنك إن لم تُطفئِ نارَ الغضبِ

قبل انتشارها صُعب عليك إطفائها بعد أن تنتشر . وقال بعض الملوك للحكيم : كيف لي أن لا أغضب ؟ فقال : بأن تكون كل وقت ذا كراً أنه يجب أن تُطيع لأن تُطاع فقط ، وأن تُخدَم لا أن تُخدَم فقط ، وأن تتحقق أن الله تعالى يراك دائماً ، فإذا فدات ذلك لم تغضب وإن غضبت غضبت قليلاً ...

وقالوا : من غضب قائماً فمعد سَكَن غضبه ، وإن كان قاعداً فاضطجع سَكَن .

وكانت العرب تقول : إن الرَيْثَةَ تَفْشَأُ الغضب : « الرَيْثَةُ اللبنُ الحامضُ يُصَبُّ عليه الحليب ، وهو أطيبُ اللبن ، وَتَفْشَأُ الغضب : تُسَكِّنُهُ وَتَكْسِرُ حِدَّتَهُ ، وخطب معاوية يوماً فقال له رجلٌ : كذبت ، فنزل غضباً ، فدخل منزله ، ثم خرج دليماً تقطُرُ لحيتُه ماءً ، فصعد المنبر فقال : أيها الناس ، إن الغضبَ من الشيطان ، وإن الشيطانَ من النار ، فإذا غضب أحدكم فليطْفئه بالماء ؛ ثم أخذ في الموضوع الذي بلغه من خطبته .

وفي الحديث : إن الغضبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ في جَوْفِ ابنِ آدمَ ، ألم تروا إلى جَمْرَةٍ عَيْنِيهِ وانتفاح أوداجه ...

### من اجتهد في إغضابه فحلم

خاطرَ رجلٌ آخرٌ <sup>(١)</sup> على أن يُغضبَ الأحنفَ بنَ قيس ، فجاءه فخطب إليه أمه ، فقال : لسا نردك انتقاماً لحسبك ، ولا قلة رغبة في مصاهرتك ولكنها امرأة قد علا سنها ، وأنت تحتاج إلى امرأة ولود ودود تأخذ من خلقك ، وتستمد من أدبك ؛ أرجع إلى قومك وأخبرهم أنك لم تغضبني .

(١) يقال : خاطره على الأمر : راهنه عليه .

وخطب آخر إلى معاوية أمه : فقال : ما الذى رَغَبَكَ فيها وهى عجوز؟  
فقال : إنها عجوز عتايمة العَجْز ! فقال : لعلك خاطرت على أن تُغَضِبَ  
سَيِّدَ بنى تميم ؟ قال : نعم ، قال : أَرَجِعْ فليست به .

وَسَمَّ رَجُلٌ الْأَخْنَفَ وَأَلْحَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ لَهُ : يَا بَنَ أَخِي ، هَلْ  
لَكَ فِي الْغَدَاءِ ؟ فَإِنَّكَ مِنْذُ الْيَوْمِ تَحْدُو بِجَمَلٍ نَفَالٍ ... « النفال :  
البطء الثقيل الذى لا ينبعث إلا كرهاً »

وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلًا خَاطَرَ آخَرَ عَلَى أَنْ يَقُومَ إِلَى مُعَاوِيَةَ إِذَا سَجَدَ  
فِيضَعُ يَدَهُ عَلَى كَفِّهِ وَيَقُولُ : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! مَا أَشْبَهَ عَجِيزَتَكَ  
بِعَجِيزَةِ أُمَّكَ هَذَا ففعل ذلك ، فلما انقضى مُعَاوِيَةَ عَنْ صَلَاتِهِ قَالَ لَهُ :  
يَا أَخِي ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى ذَلِكَ مِنْهَا ؛ فَخُذْ مَا جَعَلُوهُ لَكَ ، فَأَخَذَهُ  
ثُمَّ خَاطَرَهُ آخَرٌ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَقُومَ إِلَى زِيَادٍ وَهُوَ فِي الْخُطْبَةِ فَيَقُولُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ  
مَنْ أُمَّكَ ؟ ففعل ؛ فقال زياد : هَذَا يُخْبِرُكَ — وَأَشَارَ إِلَى صَاحِبِ  
الشَّرْطَةِ — فَقَدَّمَهُ وَضَرَبَ عُنُقَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ قَالَ : مَا قَتَلَهُ  
غَيْرِي ، وَوَأَدَّبْتُهُ عَلَى الْأَوَّلَى مَا عَادَ إِلَى الثَّانِيَةِ ...

وَقِيلَ لِلْأَخْنَفِ : مِمَّنْ آعَلَمْتَ الْحِلْمَ ؟ قَالَ : مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ  
الْمِنْقَرِيِّ ، رَأَيْتُهُ قَاعِدًا بِنَاءِ دَارِهِ مُحْتَبِيًّا بِجَاهِلِ سَيْفِهِ يُحَدِّثُ قَوْمَهُ ، حَتَّى  
أَتَى بِمَكْتُوفٍ وَرَجُلٍ مَقْتُولٍ ، فَقِيلَ لَهُ : « هَذَا ابْنُ أُخِيكَ قَتَلَ ابْنَكَ » . قَالَ :  
فَوَاللَّهِ مَا حَلَّ حُبُّوتَهُ وَلَا قَطَعَ كَلَامُهُ ، ثُمَّ التفت إلى ابن أخيه فقال : يَا ابْنَ  
أَخِي أُمِيتَ بَرِّبِكَ ، وَرَمِيتَ نَفْسَكَ بِسَهْمِكَ ، وَقَتَلْتَ ابْنَ عَمِّكَ ؛ ثُمَّ قَالَ  
لِابْنِ لَهُ آخَرَ : قُمْ يَا بَنِي قَوَارِ أَخَاكَ وَحُلِّ كِتَافِ ابْنِ عَمِّكَ وَسُقِّ إِلَى أُمَّكَ

مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة ، ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :  
 إِنِّي أَمْرُو لَا يَعْتَرِي خُلُقِي دَنْسٌ يُفْنِدُهُ وَلَا أَفْنُ (١)  
 مِنْ مِثْقَرٍ فِي بَيْتِ مَكْرَمَةٍ وَالْفَرْعُ يَنْبُتُ فَوْقَهُ الْعُصْنُ  
 خُطْبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَاتِلُهُمْ بِيضُ الْوَجْهِ أَعْفَةُ لُسْنُ  
 لَا يَفْطِنُونَ لِغَيْبِ جَارِهِمْ وَهُمْوَا لِحَفْظِ جَوَارِهِ فُطْنُ

وَأَسْمَعُ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ ، فَقَالَ : لَا عَلَيْكَ  
 إِنَّمَا أُرِدْتُ أَنْ يَسْتَفْزَنِي الشَّيْطَانُ بِعِزِّ السُّلْطَانِ فَأَنَالَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا تَنَالُهُ  
 مَنِّي غَدًا ، انصِرْفْ إِذَا شِئْتَ ...

وَأَمْرٌ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بِرَجُلٍ أَنْ يُطْرَحَ مِنَ الْقَصْرِ كَانَ قَدْ غَضِبَ  
 عَلَيْهِ فَقَالَ الرَّجُلُ : آتَى اللَّهَ ، فَقَالَ : خَلُّوا سَبِيلَهُ ، فَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَكُونَ  
 مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ : « وَإِذَا قِيلَ لَهُ آتَى اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ » ،

## حشمتهم على ترك الغضب

### المؤدى إلى الاعتذار

قال حكيم : إياك وعِزَّةَ الغضب فإنها تصيرُ بكِ إلى ذِلَّةِ الاعتذار  
 وقال شاعر :

مَتَى تُرِيدِ الشَّمَاءَ لِكُلِّ غَيْظٍ تَكُنْ مَا يَغِيظُكَ فِي ازْدِيَادِ

(١) وروى هذا البيت أيضاً هكذا :

إِنِّي أَمْرُو لَا يَطَّيِّ حَسْبِي دَنْسٌ يُهْجِنُهُ وَلَا أَفْنُ

اطباء : دعاه ، والأفْن : النقص ، ويفنده : يكذبه

## حَثْمٌ عَلَى التَّصَامُمِ عَنِ الْقَيْبِ

وَيَمْتَدُّهُمْ بِذَلِكَ

قال المهلب بن أبي صفرة: إذا سمع أحدكم العوراءَ فليطأطأ لها  
تتخطأه... «العوراء»: الكلمة القبيحة أو الفعللة القبيحة: ويقال للكلمة  
القبيحة عوراء، وللکلمة الحسنة عيناء قال الشاعر:

وعوراء جاءت من أخ فرددتها بسالمة العينين طالبة عذرا  
«بسالمة العينين: أى بكلمة حسنة لم تكن عوراء. وعوران الكلام:  
ما تنفيه الأذن قال:

وعوراء قد قيلت فلم أستمع لها وما الكلم العوران لي بقتول<sup>(١)</sup>  
وقال حاتم طي:

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكروما<sup>(٢)</sup>  
وقال ابن علقمة الفزارى من أبيات يمدح بها ابن عمه عميلة:  
إذا قيلت العوراء أغضى كأنه دليل بلا ذل ولو شاء لانتصر  
وقد تقدم هذا البيت مع أبيات أخرى له جميلة.

## حَثْمٌ عَلَى الْعَفْوِ مطلقاً

قال الله جل شأنه: «وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ،  
والله غفور رحيم»، وقال سبحانه: «مَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ»،

(١) وصف الكلم بالعوران لانه جمع وأخبر عنه بالقتول وهو واحد لان الكلم  
يذكر ويؤنث وكذلك كل جمع لا يفارق واحده إلا بالهاء.  
(٢) ادخاره: أى لا دخاره

وقال عزّ وتقدّس : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » ، وقال تعالى  
لِنَبِيِّهِ : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » ... « خذ  
العفو ، فالعفو : السهل الميسر والمعنى : احْتَمِلْ أَخْلَاقَ النَّاسِ واقْبَلْ مِنْهَا  
مَا سَهْلٌ وَتيسرٌ ولا تَسْتَقْصِ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَقْصِي اللهُ عَلَيْكَ مع ما فيه من  
العداوة والبغضاء ، أقول : ولما حَقَّقَ سيدنا رسول الله ما أدبه الله به قال  
سبحانه في حقّه : ( وإنك لَعَلَى خُلَاقٍ عَظِيمٍ )

وقال الأحنف بن قيس : إياك وَحِمَّةُ الأَوْغَادِ ، قيلَ : وما حَمِيمَتُهُمْ  
قال : يرون العفو مغرماً والتَّحْمُلَ مَغْنَمًا ... « التحمل دهننا : الغضب وقد  
جاء في بعض الروايات بدل التحمل : والبخل »

وقيل لبعضهم : هل لك في الإنصاف أو ما هو خيرٌ من الإنصاف ؟

فقال : وما هو خير من الإنصاف ؟ قال : العفو ...

وقالوا : العفو زكاةُ النفس

وقالوا العفو عن المذنب من واجبات الكرم ...

وقالوا : لذة العفو أطيبُ من لذة التَّشَقُّقِ ؛ لأن لذة العفو يلحُّها حُمدُ

العاقبة ، ولذة التَّشَقُّقِ يلحُّها ذمُّ الندم ... وقال الشاعر وقد نظم هذا المعنى :

لَذَّةُ العَفْوِ إِنْ نَظَرْتَ بَعَيْنِ الِ عَدَلِ أَشَقَى مِنْ لَذَّةِ الإِنْتِقَامِ

هذه تكسبُ الحامدَ والأجْرَ وهذه تجيءُ بالآثامِ

### التحلم عن الخدم

نظر معاوية إلى ابنه يزيد وهو يضرب غلاماً له ، فقال له : أنفسدُ

أدبك بأدبه ! فلم يرَ ضارباً غلاماً له بعد ذلك .

وقيل ليحيى بن خالد البرمكي : إنك لا تؤدبُ غلبانك ولا تضربهم !  
قال : هم أمثاؤنا على أنفسنا فإذا نحن أخفناهم فكيف نأمنهم !

### الرحمة ومدح ذويها

قالوا من كَرُمَ أَصْلُهُ لَانَ قَلْبُهُ

وقالوا : من أمارات الكرم : الرحمة ، ومن أمارات اللؤم : القسوة

« الكرم نقيض اللؤم »

وفي الحديث الشريف « ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ  
وفيه أيضاً « لَا تُنْزِعِ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ شَقِيٍّ »

أما من دَمَّ الرَّحْمَةَ وَنَعَاهَا عَلَى أَهْلِهَا مِثْلَ الْوَزِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ  
الزيات إذ يقول : الرَّحْمَةُ خَوْرٌ فِي الطَّبِيعَةِ ، وَمِثْلَ غَيْرِهِ مِنْ فَلَاسِفَةِ هَذَا  
الْجِيلِ كَالْفَيْلَسُوفِ نَيْتَشْه وَمَنْ عَلَى شَاكَاةٍ فَأَوْلُوكَ إِنَّمَا يَتْرَامُونَ إِلَى  
أَهْدَافٍ أُخْرَى ، وَإِلَى مَدْحِ الْقُوَّةِ فِي مَوَاضِعِهَا ، وَهَذِهِ سَوْفَ تَمْرٌ عَلَيْكَ  
عَبْقَرِيَانَهُمْ فِيهَا .

ما يستحسن فيه الحلم من الكبار

وما يُستقبح

أغلظ رجلٌ لمعاويةَ فحلم عنه ، فقيل له : تحلمُ عن هذا ! فقال : إني  
لا أحولُ بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا ... وقال  
المأمون : يحملُ الحلمُ بالملوك إلا في ثلاثة مواضع ، مُذِيعٍ لِسِرِّ ، ومُتَعَرِّضٍ  
للحَرَمِ ، وقَادِحٍ فِي مُلْكٍ ... « حَرَمُ الرَّجُلِ : عِيَالُهُ وَنَسَاؤُهُ وَمَا يَحْمِيهِ »



وقال السقاح: الحِلْمُ يَحْسُنُ إِلَّا مَا أَوْضَعَ الدِّينَ وَالسُّلْطَانَ .

### حَثُّهُمْ عَلَى دَرْءِ الْحُدُودِ

في الحديث الشريف : « آذَرُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ ، وَأَقِيلُوا الْكِرَامَ عَثْرَاتِهِمْ ، وَإِنَّ الْإِمَامَ لَأَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ ، « آذَرُوا : ادفعوا ، والحدود جمع حد ، وهو لغة ، المنع وشرعا : العقوبة التي جعلت لمن يعترف مانهى عنه كحدّ السارق ، وهو قطع يمينه في ربع دينار فصاعداً ، وحدّ الزاني البكر وهو جلده مائة وتغريبه عاماً ، وحدّ المُحَصَّن إذا زنى ، وهو الرجم ، سميت حدوداً لأنها تُحَدُّ : أى تمتنع من إتيان ما جعلت عقوبات فيها <sup>(١)</sup> ، والشُّبُهَات جمع شبهة وهي الالتباس يقال : تشابهت الأمور واشتبهت ، أى التبتت لاشتباه بعضها ببعض ، والعثرات : الزلات والكرام : خيار الناس ووجوههم حسباً ونسباً وعلماً وديناً وصالحاً ، ومعنى أقيلوا عثراتهم : لا تعاقبهم عليها ولا تؤاخذوهم بها ، إلا في حد من حدود الله فإنه لا تجوز إقالتهم فيه إذا ثبت عند الإمام وخلا عن الشبهة ولم يجد إلى دفعه سبيلاً ، ومعنى آذروا الحدود بالشبهات : اعملوا ما وجدتم السبيل على أن لا تقيموا العقوبة على مسلم إلا بأمر متيقن لا يتطرق إليه التأويل .

### حَثُّ الْقَادِرِ عَلَى الْعَفْوِ

قالت عائشة رضي الله عنها : إِذَا مَلَكَتْ فَاسْجِئِ « قالت ذلك لعلي

(١) وتطلق الحدود ويراد بها المعاصي قال تعالى : ذلك حدود الله

فلا تقربوها .

ابن أبي طالب رضى الله عنه يومَ الجمَل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كتبها بكلام ، فأجابته : ملكت فأسيح ، أى ظفرت فأحسِن وقَدَرْتَ فَسَهِّلْ وأحسِن العفو ، فجهزها عند ذلك بأحسنِ الجهازِ إلى المدينة فالإسباح : حُسْنُ العفو ،

ومن كلمة لعللى رضى الله عنه : إذا قَدَرْتَ على العدوِّ فاجعلِ العفو سُكْرًا قَدَرْتَكَ .

وقالوا : المقْدِرَةُ تُذهبُ الحفيظةُ « الحفيظة : الغضب ، وقولهم : إنَّ الحفائظَ تذهبُ الاحقادَ فعناه : إذا رأيت حميمك يُظلمَ حِميت له وإن كان عليه فى قلبك حِقْدٌ ... وظَفِرَ الإسكندرُ المقدونىُّ ببعضِ الملوك ، فقال له : ما أضعُ بك ؟ قال : ما يَجْمَلُ بالكرام أن يصنعوه إذا ظَفَرُوا ، فغلى سبيله وردّه إلى مملكته .

ولما ظَفِرَ أنو شروانَ ببزُرُ جُهرَ قال : الحمد لله الذى أظفرتنى بك ، فقال : كافى من أعطاك ما تُحِبُّ بما يُحِبُّ ... وقيل ليوُسُفَ عليه السلام : بعقوك عن إخوانك عند قَدَرَتِكَ رُفِعَ قَدْرُكَ ...

### ذم المتشقى من الغيظ

قال معاوية رضى الله عنه : العُقوبةُ الأُمُّ حالات ذى القُدرة ... وقال حكيم : التَشَقُّقُ طَرْفٌ من الجزع ، فمن رَضِيَ أن لا يكون بينه وبين الظالم إلا سِتْرٌ رقيقٌ وحِجابٌ ضعيفٌ فليمتصِفْ ...

مدح من صفح عن قدرة

قال الأخطل من أبيات يمدح بها بنى أمية :

شُئْسُ العداوةِ حتى يُستَقَادَ لهم

وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا (١)

وقال أشجع السُّلَمِي :

يعفو عن الذنبِ النظيمِ . . . وليس يُعجزُهُ انتِصَارُهُ (٢)

صَفْحاً عن الجانيِ عَلَيهِ . . . وقد أحاطَ بِهِ اقْتِدَارُهُ

وقال المنبجي :

قَتَى لا تَسْلُبُ القَتْلَى يَدَاهُ وَيَسْلُبُ عَفْوَهُ الأَسْرَى الوَثَاقَا

« يقول المنبجي : إذا قتلَ المدحوح قتيلاً لم يأخذ سلبه ، ترفعاً عن ذلك

ولكن عفوهُ يسلبُ أسراهُ أغلالهم وقُيُودهم ، أى يعفو عنهم ويُطلقهم »

الحث على إقالة من سلم ظاهره

قالوا : لا تَعْتَدَّ بما لم تَسْمَعَهُ أذْناكَ ، فإن السَّيِّدَ إذا حَضَرَ هيب وإذا

غاب أَعْتِيب .

وقال بعض الملوكة : إنما تَمْلِكُ الأَجْسَادَ دون النِّياتِ ، وَتَفْخِصُ

عن الأعمالِ لآعن السرائرِ . . . وقال البُحْتَرِيُّ :

إذا عَدُوْكَ لَمْ يُظْهِرْ عداوَتَهُ فما يُضْرِكُ إن عاداك إسراراً

(١) شمس : جمع شمس وهو : الصعب العداوة ، وقوله : حتى يستقاد لهم : أى

حتى يؤخذ حقهم من اعتدى عليهم ، من قولهم ، استقدت الأمير من القاتل فأقاد لي

منه أى قتله (٢) الانتصار : الانتصاف والانتقام

وقال الغلاء بن الحضرمي<sup>(١)</sup> يخاطبُ سيدنا رسول الله :

وإن دَحَسُوا بالشرِّ فاعفُ تَكْرُمًا

وإن حَنَسُوا عنك الحديث فلا تَسَلْ<sup>(٢)</sup>

« وإن دحسوا: قال ابن الأثير يريد: إن فعلوا الشر من حيث لا تعلمه.

وحنسوا الحديث يريد: وارزوه وغيبوه وأخروه عنك،

### العفو عمن سلم باطنه

قد يهفو المرء ونيتة سليمة ، ويَزِلُّ وطريقته مستقيمة .

قال إبراهيم بن المهدي في عَيْنَيْتِهِ للآمون وقد عفا عنه :

قسماً وما أدلي إليك بِحُجَّةٍ إِلَّا التَّضَرُّعُ مِنْ حُجِّبٍ خَائِعٍ  
ما إن عَصَيْتُكَ وَالغَوَاةُ تَمُدُّنِي أَسْبَابُهَا إِلَّا بِلَيْتِهِ طَائِعٍ

وقال الفرزدق :

فلمستَ بما أخوذِ بلفوِ تقوله إذا لم تَمُدَّ عاقِداتُ العزائمِ<sup>(٣)</sup>

« تعمد : تتعمد »

(١) صحابي جليل استعمله سيدنا رسول الله على البحرين وأقره أبو بكر ثم عمر

مات سنة ٢١ هـ

(٢) بعده :

فإن الذي يؤذيك منه استمأه وإن الذي قالوا وراءك لم يُقَلْ

(٣) لعل الفرزدق أخذ هذا المعنى من قوله تعالى : لا يؤاخذكم الله باللغو في

أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان .

عُتِبَ مَنْ يَحْفَظُ الذَّنْبَ بَعْدَ تَقَادُمِهِ

قَالَ الْبُحْتَرِيُّ :

تَنَاسَ ذُنُوبَ قَوْمِكَ إِنْ حَفِظَ الذَّنْبُ نُوْبٍ - إِذَا قَدُمْنَ - مِنْ الذُّنُوبِ

### العفو عن المقرِّ المعترف

قال بعضهم :

إِذَا مَا امْرُؤٌ مِنْ ذَنْبِهِ جَاءَ تَائِبًا إِلَيْكَ فَلَمْ تَغْفِرْ لَهُ ، فَكَانَ الذَّنْبُ

وَمِنْ قَوْلِهِمْ : التَّوْبَةُ تَغْسِلُ الْحَوْبَةَ ، الْحَوْبَةُ : الْخَطِيئَةُ ،

وَقَالُوا : لَا عَتَبَ مَعَ إِقْرَارٍ ، وَلَا ذَنْبَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لاصْدِيقٍ لَهُ أَنْ كَرَّ ذَنْبًا : إِمَّا أَنْ تُقَرَّ بِذَنْبِكَ فَيَكُونُ

إِقْرَارُكَ حُجَّةً لَنَا فِي الْعَفْوِ ، وَإِلَّا قَطَبَ نَفْسًا بِالْإِتِّصَارِ مِنْكَ ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ

يَقُولُ :

أَقْرَرْتُ بِذَنْبِكَ ثُمَّ أَطْلُبُ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُحُودَ الذَّنْبِ ذَنْبَانِ

وَمِنْ كَلَامِ لَابِنِ الْمُعْتَمَرِ : تَجَاوَزَ عَنْ مُذْنِبٍ لَمْ يَسْأَلْكَ بِالْإِقْرَارِ طَرِيقًا

حَتَّى اتَّخَذَ مِنْ رَجَائِكَ رَفِيقًا .

وَقَالَ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ لِرَجُلٍ عَاتَبَهُ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ تُبَغِضُنِي ، فَلَمْ يُنْكِرِ

الرَّجُلُ وَقَالَ : أَنْتَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَإِنَّكَ كَالدُّنْيَا نَذُمُ صُرُوفَهَا وَنُوسِعُهَا ذَمًّا وَنَحْنُ عَبِيدُهَا

وَقَالَ أَبُو فَرَّاسٍ الْحَمْدَانِيُّ :

إِنْ لَمْ تَجَافِ عَنِ الذَّنُوبِ بِ وَجَدْتَهَا فِينَا كَثِيرَةً (١)  
 لَكِنَّ عَادَتَكَ الْجَيِّدَةَ لَعَلَّ أَنْ تَنْقُضَ عَنِ الْجَرِيرَةِ (٢)  
 وَقَالَ السَّرِيُّ الرَّقَّاءُ :

فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي تَعَفُّ عَنْ غَيْرِ جَاهِدِ  
 لِمَا كَانَ وَالْإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ أَرْوَحُ

وقال آخر:

فَلَسْتُ بِأَوَّلِ عَبْدٍ هَفَا وَلَسْتُ بِأَوَّلِ مَوْلَى عَفَا

وقال غيره :

صَفْحًا فَلَوْ شَقَّ قَلْبِي مِنْ صَحِيْفَتِهِ لَظَلَّ يُقْرَأُ مِنْهُ الْخَوْفُ وَالنَّدَمُ  
 وَأَنْ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورُ بِرَجُلٍ أَذْنَبَ . قَالَ : إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ  
 وَالْإِحْسَانِ : فَإِنْ أَخَذْتَ فِي غَيْرِي بِالْعَدْلِ نَخَذُ فِيَّ بِالْإِحْسَانِ ...

### حسن العفو عن المصير

سَمِعَ حَكِيمٌ رَجُلًا يَقُولُ : ذَنْبُ الْإِصْرَارِ ، أَوْلَى بِالْإِغْتِنَارِ ؛ فَقَالَ :  
 صَدَقَ وَاللَّهِ ، لَيْسَ فَضْلُ مَنْ عَفَا عَنِ السَّهْوِ الْقَلِيلِ كَمَنْ تَفَا عَنِ الْعَمْدِ  
 الْجَلِيلِ ...

### استعفاء من خلط إقرارا بإنكار

قال بعضهم في ذلك :

(١) تجاف بحذف إحدى التاءين أى تتجافى وتتجافى عن الذنوب : تبتعد وتفض  
 الطرف عنها  
 (٢) الجريرة : ما يجره الإنسان من ذنب

هَبْنِي أَسَاتُ كَمَا ظَنَنْتُ فَإِنَّ عَاقِبَةَ الْآخِرَةِ  
وَإِذَا أَسَاتُ كَمَا أَسَا تُ فَإِنَّ فَضْلَكَ وَالْمُرُوءَةَ

وقال آخر :

وهبني — وما أجرمتُ — أجرمتُ كلَّ ما

أَتَاكَ بِهِ الْوَأَشِي تُجِدُ بِاحْتِمَالِهِ

وقال الشعبي لبعض الولاد — وقد كتبه في قوم حبيسهم — : إن

حَبَسْتَهُمْ بِالْبَاطِلِ فَالْحَقُّ يُخْرِجُهُمْ ، وَإِنْ حَبَسْتَهُمْ بِحَقِّ فَالْعَفْوُ يَسْعُهُمْ ؛  
فَأَمْرٌ بِإِطْلَاقِهِمْ .

### معتذر مع إنكار

قال الرشيد لرجل يُرْمَى بِالزَّنْدَةِ : لِأَضْرِبَنَّكَ حَتَّى تُقَرَّ بِالذَّنْبِ ، فَقَالَ :

هَذَا خِلَافٌ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، لِأَنَّهُ أَمَرَ أَنْ يُضْرَبَ النَّاسُ حَتَّى يُقَرُّوا  
بِالْإِيمَانِ وَأَنْتَ تَضْرِبُنِي حَتَّى أُقَرَّ بِالْكَفْرِ فَانْجِلْ وَعَفَا عَنْهُ .

وكان الرشيد قد حبس عبد الملك بن صالح ، فلما أخرجه الإهين من

الحبس ، وذكر الرشيد وفعله به قال : وَاللَّهِ إِنْ الْمَلِكَ كَسَى مَا تَوَيْتَهُ

وَلَا تَمَنَيْتَهُ ، وَلَوْ أَرَدْتَهُ لَكَانَ إِلَى أَسْرَعِ مِنَ الْمَاءِ إِلَى الْحَدُورِ <sup>(١)</sup> ، وَمَنْ

النَّارِ إِلَى يَبِيسِ الْعَرْفَجِ <sup>(٢)</sup> ، وَإِنِّي لَمَأْخُودٌ بِمَا لَمْ أَجِنِ ، وَمَسْئُولٌ عَمَّا

لَا أَعْرِفُ ، وَلَكِنْ لَمَّا رَأَى بِالْمَلِكِ قَيْنَا ، وَإِنْ لَمْ أَتَرَشَّحْ لَهُ فِي سِرِّ

وَلَا جَهْرِ ، وَرَأَى يَحْنُ إِلَى حَنِينِ الْوَالِدَةِ الْوَالِهَةِ ، وَتَمِيلُ مَيْلَ الْهَلُوكِ <sup>(٣)</sup>

(١) الحدور بوزن رسول : المكان الذي ينحدر منه

(٢) العرفج : نبات سهلي

(٣) الهلوك من النساء : الفاجرة الشبقة

عاقبتني عقاب من سهر في طلبه ، فإن كان إنما حسبني أنني أصلح له ويصلح لي فليس ذلك ذنباً فأتوب منه .

وقال التَّوْحِي:

إن كان إقرارى بما لم أجنيه يُرضيك عنى قلتُ إني ظالمُ

معتذر بتكذيب نفسه

خرج النعمان بن المنذر في غيب سماء فمرَّ برجل من بني يشكر جالساً على عذير ماء ، فقال له : أتعرف النعمان ؟ قال اليشكري : أليس ابن سلمى ؟ قال : نعم ، قال : والله لربما أمررتُ يدى على فرجها ، قال له : ويحك ، النعمان بن المنذر ! قال : قد خبرتُك ، فما أنقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيوه بتحية الملك ، فقال له : كيف قلت ؟ قال : أبيت اللعن <sup>(١)</sup> ، إنك والله ما رأيتَ شيئاً أكذب ولا ألأم ولا أوضع ولا أعصَّ يبظر أمه <sup>(٢)</sup> من شيخ بين يديك ؛ فقال النعمان : دَعُوهُ ، فأنشأ يقول :

تعفو الملوك عن العظايم من الذنوب لفضايلها

واقعد تُعاقبُ في اليَسِيرِ ر و ايس ذاك لجهلها

إلا يُعِرفَ فضايلها ويُخافُ شِدَّةَ نَكْلِها

وانقطع عبدُ الملك بن مروان عن أصحابه . فأنتهى إلى إعرابي ، فقال :

(١) كلمة كانت العرب تحبها ما وكها في الجاهلية ومعناها : أبيت أيها الملك أن

تأتى ما تلعن عليه ، واللعن : الإبعاد والطرود من الخير

(٢) البظر : هنة بين الاسكتين من المرأة لم تخفص - لم تختن - ومن قولهم في السب :

يا ابن مقطعة البظور : جمع بظر ، يريدون أن أمه خاتنة وقد يولونها في معرض الذم

وإن لم تكن أمه خاتنة



أَنْعِرُفَ عَبْدَ الْمَلِكِ؟ قَالَ: نَعَمْ، جَاؤَ بَاثِرٌ، قَالَ: وَيْحَكَ أَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ! قَالَ:  
لَا حَيَاكَ اللَّهُ وَلَا بِيَاكَ وَلَا قَرَبَكَ، أَكَلْتَ مَالَ اللَّهِ، وَضَيَعْتَ حُرْمَتَهُ، قَالَ:  
وَيْحَكَ أَنَا أَضْرُ وَأَنْفَعُ، قَالَ: لَارْزَقَنِي اللَّهُ نَفْعَكَ وَلَا دَفَعَ عَنِّي ضُرَّكَ؛ فَلَمَّا  
وَصَاتَ حَيْلُهُ عَيْلِمَ صِدْقِهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آكَلْتُمْ مَا جَرَى فَالْمَجَالِسِ  
بِالْأَمَانَةِ ...

### استعفاء من زعم أن ذنبه كان خطأ

قَالَ غُلَامٌ هَاشِمِيٌّ أَرَادَ عَمَّهُ أَنْ يُجَازِيَهُ بِسَهْوٍ مِنْهُ: يَا عَمُّ، إِنِّي قَدْ أَسَأْتُ  
وَلَيْسَ مِنِّي تَقْلِي فَلَا تُسَيِّئْ وَمَعَكَ عَقْلُكَ ...  
وَقَالَ الْمَتَنِيُّ:

وَعَيْنُ الْمُنْخَطِئِينَ هُمْ وَلَيْسُوا      بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطِئُوا فَتَابُوا  
وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ      وَهَجَرُوا حَيَاتَهُمْ لَهُمْ عِقَابُ  
وَمَا جَهَلْتَ أَبَادِيكَ الْبَوَادِي      وَلَكِنْ رَبَّمَا خَفَى الصَّوَابُ<sup>(١)</sup>

وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ:

فَإِنْ بِكَ حُرْمٌ عَنْ أَوْتِكَ هَفْوَةٌ      عَلَى خَطَايَا مَنِي فَمُنْذِرِي عَلَى تَعْمِدِ  
وَالْأَصْلُ فِي هَذَا الْمَتْنِ قَوْلُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ: «رُفِعَ عَنِّي الْخَطَا  
وَالنَّسِيَانُ وَمَا اسْتُكْرَهُوا عَلَيْهِ» وَقَالَ تَعَالَى: «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ  
بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ تَلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا»

(١) أباديك: نعمك، والبوادي: خلاف الحواضر أي أهل البوادي يقول:  
لأنهم لم يجهلوا بعصيانك سوايق نعمك ولكن قد يخفي الصواب على المرء  
فبأنى غيره

## مستعفف سأل أن يقوم ويؤدّب

قال أحد بن أبي فَنَنْ (١) :

أَحِينَ كَثُرَتْ حُسَادِي وَسَاءَهُمْ      بَجِيلُ فِعْلِكَ بِي أَشَمَّتْ حُسَادِي !  
فَإِنْ تَكُنْ هَفْوَةً أَوْ زَلَّةً سَلَفَتْ      فَأَنْتَ أَوْلَى بِتَقْوِيٍّ وَإِرْشَادِي

## مستعفف سأل العفو

لفرط خوفه

قال علي بن الجهم من أبيات أرسلها إلى المتوكل وهو محبوس :

وَعَفْوِكَ عَنِ مُذْنِبٍ خَاضِعٍ      قَرَنْتَ الْمَقِيمَ بِهِ الْمُقْعِدَا (٢)  
إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْلَ أَنْضَى بِهِ      إِلَى الصَّبْحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْفُدا  
أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ      وَمَوَلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى  
وَمُقْسِدًا أَمْرٍ تَلَاقِيَتَهُ      فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أُنْسِدَا  
فَلَا عُدْتُ أَعْصِيكَ فِيمَا أَمْرٌ      تَ حَتَّى أَزُورَ النَّبْرَى مُلْحِدَا  
وَإِلَّا نَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ      وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعَفْتُ النَّدَى

## مستعفف أتكل على سالف حرمة

قال من لا أذكر اسمه :

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَأْتَهُ      بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بِلَانِيَا (٣)

(١) شاعر مجيد من شعراء بغداد شهر بالشعر في أيام المتوكل واستفرغ شعره

في الفتح بن خاقان

(٢) يقال : أخذه المقيم المقعد أى ما يوجب الاضطراب من خوف ونحوه

(٣) أسأته : أسأت فيه

وقال جل شأنه: «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً» والمراد بالسيئات: الصغائر، والكبائر: من الذنوب التي رتب الشارع عليها حدوداً أو صرح بالوعيد فيها،

### الاستعفاء لمذنب من قوم محسنين

قال ابراهيم بن العباس الصولي:

أسأوا وفيهم محسنون فإن تتهب لمحسنيهم أهل الإساءة يصلحوا

### متوصل إلى العفو بمراجعة أو حجة

رَوَوْا أن الفاروق رضى الله عنه كان يمُس ليلة، فسمع غناء رجل من بيت، فقسور عليه، فرآه مع امرأة يشربان الخمر، فقال: يا عدو الله، أظننت أن يستترك الله وأنت على معصية؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا تفعل إن كنت عصىت الله في واحدة فقد تصيت في ثلاث: قال الله تعالى: ولا تجسسوا وقد تجسسنت، وقال: وأتوا البيوت من أبوابها وقد تسورت على، وقال: لا ندخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وقد دخلت بغير سلام، فقال عمر: أسأت فهل تعفو؟ قال: نعم، وعلى أن لا أعود... «وقد أوردنا هذه الأحادوث كما أوردتها الأدباء، وإن في النفس منها بعد لأشياء»

### مستعف ذكر فرط خوفه من الوعيد

قال سلم الخاسر:

لقد أتتني من المهدي معتبه تظل من خوفها الاحشاء تضطرب  
وقال أبو تمام من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد ويعتذر إليه:

أَتَانِي عَائِرُ الْإِنْبَاءِ تَسْرِي عَقَابُهُ بِدَاهِيَةِ نَادٍ (١)  
فِيَاخْبِرًا كَأَنَّ الْقَلْبَ أُمِّي يُجْرُّ بِهِ عَلَى شوكِ الْقَتَادِ (٢)

وقال البحرى :

عَذِرِي مِنَ الْإِيَّامِ رَنْقَنَ مَشْرَبِي وَأَقَيْتَنِي نَحْسًا مِنَ الطَّيْرِ أَشْأَمَا (٣)  
وَأَكْسَيْتَنِي سُخْطَ امْرِئِي بِتُّ مَوْهِنًا أَرَى سُخْطَهُ لَيْلًا مَعَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا (٤)

من استعفى واستوهب معا

أخذ مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ رجلاً من أصحاب المختار ، فأمر بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، فقال : أيها الأمير ، ما أَقْبَحَ بك أن أقومَ يومَ القيامةِ إلى صورَتِكَ هذه الحسنة ، ووجهك هذا الذى يُستضاءُ به ، فأتلقتُ بأطرافِكَ وأقول : أَيْ رَبِّ سَلْ مُصْعَبًا فِيمَ قَتَلْتَنِي ، نال : أَطْلِقُوهُ ، قال : اجْعَلْ ما وَهَبْتَ لِي من حياتي فى خَفْضِ ، قال : أَعْطُوهُ مائةَ ألفٍ ، قال : بأبي أنت وأُمِّي ، أَشْهِدُ اللهَ أن لابنِ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ منهما خمسينَ ألفاً ، قال : ولم ؟ قال : لِقَوْلِهِ فَيْكَ :

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَاءتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلْمَاءُ  
مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ يُخَشَى وَلَا كِبْرِيَاءُ  
يَتَّقَى اللهُ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفَدَ لَمَحَ مَنْ كَانَ هَمَّهُ الْإِتِّقَاءُ

(١) عائر : كقولهم : قصيدة عائره : أى سائرة ، ويقال : داهية ناد فالناد : الداهية تحل .

(٢) فيا خبرا : يروى : ثنا خبر ، ونثي الخبر : أذاعه وأنشاه ، والقناد : شجر صلب له شوك كالإبر .

(٣) رنق الماء : كثره ، والمشرب : موضع الشرب ، والماء

(٤) الموهن : نحو من نصف الليل

فضحك مُصْعَب وقال : أرى فيك موضعاً للصديعة ، وأمره بَلْزُومِهِ  
وأحسنَ إليه ، فلم يزلْ معه حتى قَتِلَ ...  
وقال المتنبي :

فَاغْفِرْ فِدَى لِكَ وَاحِبُنِي مِنْ بَعْدِهَا لِنُحْصِنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا (١)

المتوصل إلى العفو بالثبوت إلى حين التبين

قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَدِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا  
قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ... « قال الإمام البيضاوي :  
« فَتَبَيَّنُوا : فتعرفوا وتصفحوا قال : وتنكير الفاسق والنبا للتعميم ؛ وتعليق  
الأمر بالتبين على فسق المخبر يقتضى جواز قبول خبر العدل ... وأن  
تصيبوا : أى كراهة إصابتكم ،

وغضب الرشيد على رجل ، فقال له جعفر بن يحيى : غَضِبْتَ اللَّهُ ، فَأَطَع  
اللَّهُ فِي غَضَبِكَ بِالْوُقُوفِ إِلَى حَالِ التَّبَيُّنِ كَمَا غَضِبْتَ لَهُ .. وقال الشعبي  
لعبد الملك بن مروان : إنك على إيقاع ما لم تُوقِعْ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّ  
مَا أَوْقَعْتَ ...

نهى العافى عن التثريب

رَضِيَ بَعْضُ الْمَلُوكِ عَنْ رَجُلٍ ، ثُمَّ أَخَذَ يُوبِّخُهُ ، فَقَالَ : إِنْ رَأَيْتَ أَلَا

(١) فاغفر أى فاغفر لى ذنبى ، وفدى خبر عن محذوف أى أنا فدى لك ، وحباه :  
أعطاه ، ومن بعدها : أى من بعد هذه المغفرة يقول : إذا عفوت عنى وأعطيتنى  
كنت قد خصصتني بعطاء أنا من جملته ، لأنه إذا عفا عنه فقد وهبه نفسه

تَخْدَشُ وَجْهَ رِضَاكَ بِالتَّشْرِيبِ فَافْعَلْ (١)

وقالوا: ما عفا عن الذنب مَنْ قَرَعَ بِهِ ...

وقال شاعرٌ فِيمَنْ يَعاقِبُ ثُمَّ يَعتابُ :

إِذَا عَوَّبَ الْجَانِي عَلَى قَدْرِ جُرْمِهِ فَتَعْنِيفُهُ بَعْدَ الْعِقَابِ مِنَ الرَّبِّ

نهيهم عن الاعتذار وصعوبته

جاء في الحديث الشريف : إياك وكلُّ أمرٍ يُعْتَذَرُ منه :

وفي حديث آخر : إياكم والمعاذيرَ فإنها مفاجرٌ ...

« ومعنى الحديثين : إياكم أن تتكلموا أو تفعلوا ما تحتاجون إلى أن

تعتذروا عنه . »

وقال بعضهم : دَعُ ما يَسْبِقُ إلى القلوب إنكارُهُ ، وإن كان عندك

اعتذارُهُ فَلَسْتَ بِمُوسِعٍ عُدْرًا كُلَّ مَنْ أَسْمَعْتَهُ نُكْرًا ...

وكتب الحجاجُ إلى بعض من اعتذر إليه : إن يَسَلِمَ اللهُ ذاك من

نَيْتِكَ تُكْفَ المقال .

وكتب كاتبٌ : لستُ أَعْتَذِرُ إليك من الذَّنْبِ إلا بالإقلاع عنه .

وكتب آخرٌ : إن تركتُ الاعتذارَ فَلَمَّا قال الشاعر — هو محمد

الوراق — :

إِذَا كَانَ وَجْهُ العُدْرِ لَيْسَ بَيِّنٌ فَإِنَّ أَطْرَاحَ العُدْرِ خَيْرٌ مِنَ العُدْرِ

وقالوا : الإغراقُ في العذرِ يَحَقِّقُ التُّهْمَةَ ، كما أن الإفراطَ في النصيحة

يوجبُ الظَّنَّةَ ...

(١) التثريب : تقييح الفعل والاستقصاء في اللوم



عبقرياتهم في ذمّ الحلم

ومدح العقاب

النهي عن الحلم إذا كان يسبب ذلاً أو ضرراً

قال النابغة الجعدي :

ولا خير في حلمٍ إذا لم تكن له      بوادرٌ تحمي صفوه أن يكدرًا (١)  
ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له      حلِيمٌ إذا ما أورد الأمر أصدراً  
يُروى أنه لما أنشد هذين البيتين سيدنا رسول الله قل صلوات الله  
عليه: أجدت لا يفضض الله فاك؛ فعاش مائة وثمانين سنة لم تنفض له  
ثديّة... وأنشد المبرد:

أباحسن ما أقبح الجهل بالفتى      وللحلم أحياناً من الجهل أفتح  
إذا كان حلم المرء عوناً عدوه      عليه فإن الجهل أعنى وأروح  
« أقول: إن مرادهم بالجهل ههنا ما قابل الحلم »

وقال المتلي:

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه      إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم  
وقال :

إذا قيل: رفقاً قال: للحلم موضعٌ      وحلم الفتى في غير موضعه جهل  
وقال أبو يعقوب الخريبي :  
أرى الحلم في بعض المرأطين ذلّةً      وفي بعضها عزاً يسود صاحبه

(١) البوادر جمع بادرة: ما يدر من الرجل في حال الغضب من قول أو فعل



وقال الأحنف بن قيس : لا حِلْمَ لمن لا سَفِيهَ له . وقال : ما قَلَّ  
سَفَهَاءُ قومٍ إلا ذلوا ...

وقال الجاحظ : من قابلَ الإساءةَ بالإحسان فقد خالف الله في  
تدبيره ، ووطن أن رحمة الله دون رحمة ، فإن الله تعالى يقول : « من يَعْمَلْ  
سوءاً يُجْزَ بِهِ » ، وقال : « وجزاء سيئة سيئة مثلها »

وقال الشعبي : يُعْجِبُنِي الرجلُ إذا سِمْ هَوَانًا دَعَمْتَهُ الأَنْفَةَ إلى المكافأةِ  
وجزاء سيئة سيئة مثلها ؛ ورُفِعَ كلامه إلى الهجاج فقال : لله دَرَهْ أَى رَجُلٍ  
بين جنبتيه ! وتمثل بقول الشاعر :

ولا خيرَ في عَرِضِ آمري لا يَصُونُهُ      ولا خيرَ في حِلْمِ آمري ذَلَّ جانِبُهُ

### دفع الجهل بالجهل

قال محمد بن وهيب :

لئن كنتُ مُحتاجاً إلى الحِلْمِ لَأَنسِي      إلى الجهل في بعض الأحياء أَحوجُ  
وَلِي قَرَسٌ للحلمِ بِالْحِلْمِ مُلْتَجِمٌ      وَلِي فَرَسٌ للجهلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجُ  
فَمَنْ رامَ تَقْوِييَ فَإِنِّي مُقَوِّمٌ      وَمَنْ رامَ تَعْوِييَ فَإِنِّي مُعَوِّجُ  
وما كنتُ أَرْضَى الجَهْلَ خِدْنًا وصاحِبًا      ولكنني أَرْضَى به حينَ أُحْرَجُ  
وإن قال بعضُ الناس : فيه سماجةٌ      فقد صدقوا ، والذَّلُّ بِالْحُرِّ أَسْمِجُ

وقال إياس بن قتادة - وهو بارعٌ جدا - :

تُعاقِبُ أيدينا وَيَحْلُمُ رأينا      وَنَسْتِمُ بالأفعالِ لا بالتكلمِ  
وقال أوُس بن حَبْناءَ - شاعر إسلامي تيممي وحبناؤه - :

إذا المرءُ أولاك الهوانَ فأولِه      هوانًا وإن كانت قريباً أو أصره<sup>(١)</sup>

(١) يقول : إذا سامك إنسان ذلا وهواناً فأوله من الذل والهوان ما ترده به =

وإن أنت لم تقدرِ على أن تُهينَهُ فذره إلى اليوم الذي أنت قادرُهُ<sup>(١)</sup>  
 وقاربِ إذا ما لم تكنْ لك حيلةٌ وصمِّم إذا أيقنت أنك عاقرةُ<sup>(٢)</sup>  
 وقالوا: الشر لا يدفعه إلا الشر والحديد بالحديد يُفْلحُ<sup>(٣)</sup> ...

من نهى عن الاغترار بحلمه

قال المتنبي :

وأطمعَ عامرَ البُقيا عليها ونزقَها احتمالك والوقار<sup>(٤)</sup>

وقال آخر :

ولا يغررك طولُ الحلمِ مني فإبدأ تُصادفني حلِيمًا

وقال آخر :

احذرْ مغايظَ أقوامِ ذوى أنفٍ إن المغيظَ جهولُ السيفِ بجنونُ

الحلم مغرٍ وضار مذل

قال الأحنف لرجل : ليت طول حِلْمنا عليك لا يدعو جهل غيرنا

إليك .

كيدِه عنك وتشنى به نفسك وإن كان الذى سامك الخسف يمت إليك بسبب من  
 القرابة وقوله قريباً خبر. كان ولم يقل قريبة على حد قوله تعالى : إن رحمة الله قريب  
 من المحسنين

(١) قادره : أى قادر فيه

(٢) عاقره : قاتله

(٣) يفلح : يشق

(٤) منع عامر من الصرف لأنه أراد القبيلة ، والبقيا اسم من الإبقاء يقول :

وأطمعهم فى العصيان إبتاؤك عليهم وعدولك عن الإيقاع بهم ، وحلمهم على الطيش  
 حليمك عنهم وامتاعك من الانتقام منهم

وقيل للأحنف : ما الحلم ؟ فقال : الرضا بالذل ...

وقالوا : الشهرة بالملاينة والخير شرٌّ من الاشتهار بالغلظة والشر ، لأن  
مَنْ عُرِفَ بالخير اجترأ عليه الناس ، وَمَنْ عُرِفَ بالشر هابهُ الناس  
وتجنّبوه .

وقال معاوية : ما وُلِدْتُ قُرَشِيَّةً خيراً لِقُرَشِيٍّ مِنِّي ، فقال رجل كان  
حاضراً : بل ما وُلِدْتُ شراً لهم منك ، فقال : كيف ؟ قال : لأنك عَوَّدْتَهُمْ عَادَةً  
يَطْلُبُونَهَا مِنْ بَعْدِكَ فَلَا يُجِيبُونَهُمْ إِلَيْهَا فَيَحْمِلُونَ عَلَيْهِمْ كَحْمَلِهِمْ عَلَيْكَ وَكَأَنِّي  
بِهِمْ كَالزَّفَاقِ الْمَفْوَخَةِ عَلَى طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ ...

نهيهم عن إكرام اللئام

قال المنبي :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا  
وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعُلَا  
مُضِرٌّ كَوْضِعِ السِّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى  
وقبلهما :

وما قتل الأحرارَ كالعفو عنهمُ ومن لك بالحرِّ الذي يحفظُ اليدَا  
وقالوا : استعمالُ الحلم مع اللئيم أضرُّ مع استعمال الجهل مع الكريم .  
وقال يزيد بن معاوية لآبيه : هل دَمَمْتَ عاقبةَ حلمٍ ؟ قال : ما حُكِمْتُ عَنْ  
لئيم وإن كان ولياً إلا أعقبني نداماً ، ولا أقدمتُ على كريم وإن كان عدواً  
إلا أعقبني أسفا ...

وقال الشاعر :

مَتَى تَضَعِ الْكِرَامَةَ فِي لَتِيمِ فَإِنَّكَ قَدْ أَصَاتَ إِلَى الْكِرَامَةِ

الاستعانة بالجهل لدى الحاجة إليه

قال العباس بن الأحنف :

وَمَنْ يَحْلُمُ وَلَيْسَ لَهُ سَفِيهٌ يُبْلِقِي الْمَعْضَلَاتِ مِنَ الرِّجَالِ

وقال غيره :

وَلَا يَلْبَثُ الْجُهَالُ أَنْ يَتَضَمَّوْا أَخَا الْحِلْمِ مَا لَمْ يَسْتَعِنَ بِجُهُولٍ  
وَبَيْنَمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَالِسٌ إِذْ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ ،  
فَلَطَمَهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَنَجَّدَ بِهِ الْأَرْضَ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : لَيْسَ بَعْزِينَ مِنْ  
لَيْسَ فِي قَوْمِهِ سَفِيهٌ ...

حث القادر على العقاب قبل فوته

قد أسلفنا كثيراً من عبرياتهم في هذا المعنى ، وقال أبو أذينة الغساني :  
يُحَرِّضُ ابْنَ عَمِّهِ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُنْذِرِ عَلَى قَتْلِ جَمَاعَةٍ مِنْ مُلُوكِ الشَّامِ كَانَ قَدْ  
أَسْرَمَ فَأَرَادَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ :

مَا كُلُّ يَوْمٍ يَنْالُ الْمَرْءُ مَا طَلَبَا وَلَا يُسَوِّغُهُ الْمَقْدَارُ مَا وَهَبَا  
وَأَنْصَفُ النَّاسِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ مَنْ سَقَى الْأَعَادِيَ بِالْكَأْسِ الَّتِي شَرِبَا  
وَلَيْسَ يَطْلُبُهُمْ مَنْ بَاتَ يَضْرِبُهُمْ بِحَدِّ سَيْفٍ بِهِ مِنْ قَبْلِهِمْ ضَرْبَانَا  
فَالْعَفْوُ إِلَّا عَنِ الْأَعْدَاءِ مَكْرُمَةٌ مَنْ قَالَ غَيْرَ الَّذِي قَدْ قُلْتَهُ كَذْبَانَا  
قَتَلْتَ عَمْرًا وَتَسْتَبْقِي يَزِيدَ لَقَدْ رَأَيْتَ رَأْيًا يَجْرُ الْوَيْلَ وَالْحَرْبَانَا  
لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتَدْتُرْ كَهَا إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَأَتْبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَانَا<sup>(١)</sup>

(١) الشهم : الذكي الغواد المتوقد النجد النافذ في الامور

هم جَرَدُوا السيفَ فاجعلهم به جزراً  
 هم أوقدوا النارَ فاجعلهم لها خطباً<sup>(١)</sup>

ومنها :

لا عَفْوَ عن مِثْلِهِم في مِثْلِ ما طَلَبُوا لَكِنَّ ذاك كان الهُلْكَ والعَطْبَا  
 عَلامَ تَقْبَلُ مِنْهُم فِدْيَةٌ وَهُمْ لا فِضَّةَ قَبِلُوا مَنَّا ولا ذَهَبَا  
 وكتب يحيى بن خالد البرمكي إلى الرشيد من الحبس : إن كان الذنبُ  
 خاصًّا . فلا تُعَمِّمَ بالعقوبة ، فمعي سلامة البريء ومودة الولي ؛ فكتب إليه :  
 قُضِيَ الأمرُ الذي فيه تَسْتَفْتِيان ...

وقال بعضهم لأبي جعفر المنصور : لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم  
 تَسْمَعِ بالعفو ! فقال : لأنَّ بني مروان لم تَبَلَّ رِئْمُهُمْ ، وآلُ أبي طالب لم  
 تُغْمَدُ سِوْفُهُمْ ، ونحن بين أقوام قد رأونا بالأُنسِ سُوقَةَ واليومَ خُلُقَاءَ ،  
 فليس تتمهدُ الهَيْبَةُ في صُدُورِهِم إلا بأطراح العفو واستعمال العقوبة ...

### التبجح بقسوة العقاب وقلة الرحمة

كان محمدُ بنُ عبد الملك الزيات وزير المعتصم والوائق قد انخَدَ تَتُورًا  
 من حديد ، وأطراف مَساميرِه قائمة مثل رُؤسِ المَسالِ ، في أيام وزارته ،  
 وكان يعذبُ فيه المِصادِرِينَ وأربابَ الدواوين المَطْلُوبِينَ بالأموال ، فيجدون  
 لذلك أشدَّ الألم ، ولم يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إلى هذا النَّوعِ من العقاب ، وكان إذا قال  
 له أَحَدٌ مِنْهُمْ : أيها الوزيرُ ، ارْحَمْنِي ، يقول له : الرَّحْمَةُ خَوْرٌ في الطَّيْبَةِ ، فلما

(١) اجعلهم جزرا : أى قطعاً ومن ذا قولهم : تركهم جزراً للسابع والطير أى  
 قتلهم حتى صاروا قطعاً تأكلها السباع والطير

اعتقله المتوكلُ أمرَ بإدخاله في الثَّنُورِ وَقِيدَهُ بِخُمْسَةِ عَشْرَ رِطْلًا مِنْ  
الحديد، فقال: يا أميرَ المؤمنين، ارحمني، فقال له: الرحمةُ حَوْرٌ في الطبيعة،  
كما كان يقول للناس. ثم يتمثل:

❖ فلا تَجْزَعَنَّ مِنْ سِيرَةِ أَنْتَ سِيرَتِهَا <sup>(١)</sup> ❖

ووقع مرةً في قصةِ رجل: دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ الرَّحْمَةِ وَالْإِشْفَاقِ، فإِذَا هُمَا  
إِلَّا لِلسَّوَانِ وَالصِّيَّانِ ...

وقال المتنبى:

يَدْخُلُ صَبْرُ الْمَرْءِ فِي مَدْحِهِ وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ <sup>(٢)</sup>

« الثلب: الذم والماب، يقول: إن الصبر بما يمدح به الإنسان والإشفاق

بما يعاب به »

### أخذ البريء بذنب الجاني

قال الله تعالى: « وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً »

وقال الحارث بن حِزْرَةَ اليشكري من معاقبته التي ارتجلها بين يدي عمرو بن هند

ملك الخيرة في شيء كان بين بكر وتغلب:

عَنَّأُ بِاطْلَا وَظَالَمًا كَمَا تُعَدُّ سِتْرٌ عَنْ حَجْرَةِ الرَّيِّضِ الظُّبَاءِ

« العنن: الاعتراض يقال: عَنَّ يَعْنُ وَيَعُنُ عَنَّاً وَعُنُونًا وَاعْتَنَّ:

عَرَضَ وَاعْتَرَضَ، وَالاسْمُ الْعَنَّ، وَالْحَجْرَةُ: النَّاحِيَةُ، وَالْجَمْعُ: حَجْرٌ

(١) هذا مثل تقدم القول عليه في الجزء الأول صفحة ٢٣

(٢) من قصيدته التي يعزى بها أبا شجاع عضد الدولة بعمته وأولها:

أَخْرَمَا الْمَلِكُ مُعَزَّى بِهِ هَذَا الَّذِي أَثَّرَ فِي قَلْبِهِ

وحجرات مثل بَجْرَة و بَجْرُوم و بَجْرَات ، والعترة ، ذبح العتيرة ، وهي ذبيحة كانت تذبح للأصنام في رجب ، والرييض : الغنم الرابضة في مرْبِضِهَا ، وقد كان الرجل في الجاهلية يندر : إن بَلَغَ اللهُ غَنَمَهُ مائة ذبح منها واحدة للأصنام ، ثم رُبَّمَا ضَنَّتْ نَفْسُهُ بِهَا فَأَخَذَ ظَلِيماً وَذَبَحَهُ مَكَانَ الشَّاةِ الواجبة عليه يقول :  
الرَّزَمْتُمونا ذَنْبَ غَيْرِنَا عَتَنَّا بِاطْلَاكَ إِذْ ذَبَحَ الظُّبْيُ لِحَقِّي وَجَبَ فِي الغنمِ ،

وقال النابغة الذبياني من أبياته العينية التي يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر  
أَتَانِي أَيْبَتَ اللَّعْنِ أَنْكَ لُمْتَنِي      وتلك التي تَسْتَأْكَ مِنْهَا المِسامِعُ  
مَقَالَةٌ أَنْ قَدْ قَلتَ : سَوْفَ أَنالُهُ      وذلك من تِلْقَاءِ مِثْلِكَ رانِعُ  
أَتُوْعِدُ عَبدًا لَمْ يَحْنُكَ أمانَةٌ      وتتركُ عَبدًا ظالِمًا وَهُوَ ظالِمُ  
وَحَمَلْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتَهُ      كَذَى العُرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رانِعُ  
وذلك امرٌ لَمْ أَكُنْ لِأَقولُهُ      ولو كُئِبْتُ فِي ساعِدَيَّ الجِوامِعُ  
أَتَاكَ بِقولٍ لَهْلَهُ اللَّسَخُ كاذِبًا      ولم يأتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ ناصِعُ  
لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَى بَهْتِنِ      لَقَدْ نَطَقْتُ بِطُلًّا عَلَى الأَقارِعُ  
ومنها :

وَعِيدُ أَبِي قابوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ      أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّواجِعُ  
فَيْتُ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةٌ      من الرَّقِيسِ فِي أُنْيابِها الشُّمُّ نايِعُ  
يُسَهِّدُ فِي لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُها      لِحَلِيِّ النِّساءِ فِي بَدِينِهِ قَعاقِعُ  
تَنادَرُها الرِّاقونَ مِنْ سِوَةِ سُمَّها      تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُراجِعُ  
ومنها :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبةً      وَهَلْ يَأْتِنَنَّ ذُو إِمَّةٍ وَهُوَ طانِعُ  
فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي      وَإِنْ خَلَّتْ أَنَّ المُنْتَأَى عَنكَ واسِعُ  
« وإليك شرح هذه الأبيات : أبيت اللعن : أبيت أن تأتي من

الأخلاق المذمومة ما تُلقنُ عليه ، وكانت هذه تحيةً لخم وجذام ، وكانت منازلهم الحيرة وما يليها ، وكانت تحيةً ملوك عَسَّان : يا خَيْرَ الْفِتْيَانِ ، وكانت منازلهم الشام : وَتَسْتَكُ : تَدَسَّدُ وَلَا تَسْمَعُ ؛ وَرَائِعُ : مُفْرِعٌ وَخَوْفٌ . وإضافة مقالة إلى أن قد قلت من إضافة الأعم إلى الأخص ، وهي من الإضافة البيانية أى مقالة هي هذا القول . وظالِعُ : مائل . والعَرُ : قَرَحٌ يأخذ الإبل في مَشَافِرِهَا وَأَطْرَافِهَا شبيهه بالقرع ، وربما تفرَّق في مشافرها مثل القوباء ، يسيل منه ماءٌ أصفرُ ، وكان الأعرابُ إذا وقع العرُّ في إبل أحدهم اعترضوا بهيراً صحيحاً من تلك الإبل فكوَّوا مِشْفَرَهُ وَعُضَدَهُ وَفَخَذَهُ يرون أنهم إذا فعلوا ذلك ذهب العرُّ من إبلهم . وقيل : إنما كانوا يكوِّنون الصحيح لئلا يتعلّق به الداءُ لا ليبرأ السقيم . وكَبَلَتْ : قِيدَتْ . والجوامع : الأغلال ، جمع جامعة . وثوبٌ لَهْلَهُ النَّسِجُ وهلهل النسج : إذا كان رقيقاً ، وناصع : بين واضح . وقوله : لَعَمْرِي ... البيت فالعمر بفتح العين هو العمر بضمها لكن حُصَّ استعمال المفتوح في القسم ، أى ما قَسَمِي بَعْمَرِي هين على حتى يهمنى منهم بأنى أحلف كاذباً ، والبطل - بالضم : - هو الباطل والأقارع : هم بنو قريع بن عوف الذين كانوا سَعَوْا به إلى النعمان بن المنذر حتى تغيَّرَ له . وأبو قابوس : كنية النعمان بن المنذر . وقوله في غير كنهه : أى جاءني وعيده في غير قدر الوعيد ، أى لم أكن بلغت ما يفض على فيه . وراكس : وادٍ ، والضواجع جمع ضاجعة وهو مُنْحَى الوادى . وقوله : فَبْتُ ... ألبيت فالمسورة : الموائية ، والأفعى لا تَلْدُعُ إلا وثباً . وضئيلة : هى الحية الدقيقة القليلة اللحم . والرثس من الحيات : المتقطعة بسواد ، وهى من شرارها ، والسم مبتدأ وناقع خبر ويجرز في غير الشعر ناقعاً على الحالية وفي أنيابها هو الخبر . وليل التمام بكسر التاء أطول ليلة في السنة ، والسليم :



اللدبغ ، وسمت العرب الملسوع سلبيا نفاؤلا . وقوله : لحي السماء في يديه  
 قعاقع : فقد كان الملدوغ يُجَمَلُ الحَلِي في يديه والجلاجل حتى لا ينام فَيَدِبَّ  
 السَّم . فيه وتناذرها الراقون يروى أيضاً : تناذرها الحاوون ، وهو جمع حارٍ ،  
 وهو الذي يُمَسِكُ الحَيَّاتِ ، أى أنذر بعضهم بعضاً بأنها لا تُجِيبُ راقياً  
 وقوله : تُطَلِّقُهُ : تُخَيِّفُ عنه مرة وتشتدُّ عليه مرة ، ومثل ذلك قول  
 الآخر :

تبيتُ الهمومُ الطارِقاتُ يُعَدُّ نبي كاتعترى الأوصابُ رأسَ المُطَلِّقِ  
 يقال : طَلَّقَ السَّلِيمُ : رَجَعَتْ إليه نَفْسُهُ وسكن وجَمَهُ بعد العِدَادِ (١)  
 فهو مُطَلَّقٌ ، قال المبرِّدُ : وهذا هو الذى ذكره النابغة قال : وذلك أن  
 المنهوش إذا ألحَّ الوجعُ به تارةً وأمسك عنه تارةً فقد قارب أن يُؤَيِّسَ  
 من بُرثه ، وإنما ذكر خوفه من النعمان وما يصتره من لَوَعَةٍ فى إثرِ  
 فترة والخائفُ لا ينامُ إلا غِراراً ، فلذلك شبه بالملدوغ المُسَهَّدِ . والإمَّةُ  
 لغة فى الأُمَّة : الدِّين والخير ثم شبهه فى البيت الأخير فى حال سخطه  
 بالليل الشديد الظلمة لا يُهْتَدَى فيه «

ووقف رجلٌ على الحجاج فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، جنى جان فى  
 الحى فَأَخَذَتْ بجريرته وأَسْقَطَ عطائى ، فقال الحجاجُ : أما سمعتَ قولَ  
 الشاعر :

جانيك من يحنى عليك وقد تُعْدَى الصَّحاحَ مَبَارِكِ الجُرْبِ (٢)

(١) العِدَادُ : احتياج وجمع اللدبغ . وأصله من العدد ، وقيل : عداد السليم : أن

تعدُّ له سبعة أيام فإن مضت رجوا له البرء ومالم تمض قيل : هو فى عداده

(٢) جانيك من يحنى عليك ، يريد : صاحب جنائتك من يحنى عليك فلا تأخذ

وَلَرَبَّ مَاخُودٍ بَدْنِيٍّ صَدِيقِهِ وَنِجَا الْمُقَارِفِ صَاحِبُ الذَّنْبِ <sup>(١)</sup>  
 فقال : أعزَّ الله الأمير ، كتابُ الله أولى ما أتبع ، قال الله تعالى :  
 « معاذ الله أن نأخذَ إلا من وجدنا متاعنا عنده » ، فقال الحجاج : صدقتَ  
 يا غلام ، ردَّ اسمه وأثبتَ رسمه ؛ وأسْنِ له عطاءه .

عذر من بدر منه سخط

قال البحرى :

إِذَا أُحْرَجْتَ ذَا كَرِيمٍ تَخَطَّى إِلَيْكَ بِيَعُضٍ أَخْلَاقِ النَّامِ

طائفة من عبقرياتهم فى العداوات

الاحتراس من غرس العداوة

جاء فى كليله ودمته : لا ينبغي للعاقل أن تحمله ثقته بقوته على أن  
 يجتترَّ العداوة ، كما لا يجبُ لصاحب الترياق أن يشرب السمَّ اتكالا  
 على أدويته .

وقالوا : احذر مُعاداة الرجال فالناس رُجُلان : عاقل فاحذر ختله ،  
 وأحمق فاحذر حُقمه

بالعقوبة غيره ، قال أبو عبيد : قولهم : جانك من يحنى عليك يضرب مثلا للرجل  
 يعاقب بجنابة ولا يؤخذ غيره بذنبه ، إنما يحنى من جنابته راجعة إليك ، وذلك  
 أن الإخوة يحنون على الرجل ، وقال غيره : معناه : الذى تلحقك منفعتة هو الذى  
 يحنى عاره ، يعنى : الذى يحنى لك الخير هو الذى يحنى عليك الشر ، فتقولهم : جانك  
 معناه الجنائى لك ، ومبارك الحرب : مواضع بروكها أى : مرابضا ، والجرب :  
 المصابة بالحرب .

(١) قارف فلان الخطيئة : خالطها

وسيمر عليك كثير من عقرياتهم في هذا المعنى في كتاب الإخرايات  
والأصدقاء والصدافة .

### نهيهم عن الاغترار بالوَدِّ

تُسَبِّطَنَ مَعَهُ الْعِدَاوَةَ

دخل سُديفٌ مولى أبي العباس السفاح<sup>(١)</sup> على أبي العباس أمير المؤمنين  
وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها ، فلما  
رأى ذلك سُديفٌ أقبل على أبي العباس وقال :

جَرَّدَ السِّيفَ وَارْفَعَ الْعَفْوَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُويًا  
لَا يُغَرِّتُكَ مَا تَرَى مِنْ أَنَاسٍ إِنَّ تَحْتَ الضُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا  
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانُ فَقَالَ : قَتَلْتَنِي أَيُّهَا الشَّيْخُ تَمَلِّكَ اللَّهُ وَقَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ  
فَدَخَلَ ، فَإِذَا الْمُنْدِيلُ قَدْ أُلْقِيَ فِي عُقِّي سُلَيْمَانَ ، ثُمَّ جَرَّ فَقَتَلَ .

ودخل شبُّلُ بنُ عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي ، وقد  
أجلسَ ثمانينَ رجلاً من بني أمية على مُمِطِ الطعام ، فمثل بين يديه وقال :  
أَصْبَحَ الْمَلِكُ ثَابِتَ الْآسَاسِ بِالْبَهَائِلِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ<sup>(٢)</sup>

(١) ذكر أبو الفرج في الأغانى أنه مولى خزاعة وكان سبب ادعائه ولاء بني  
هاشم أنه تزوج مولاة لأبي لُحَب و يقال : بل أبوه هو الذى تزوجها فولدت له سديفاً  
وسديف شاعر مقل من مخضرمى الدولتين شديد التعصب لبني هاشم مظهراً لذلك  
أيام بني أمية

(٢) الآساس واحدها أس ، وقد يقال للواحد : أساس وجمعه أسس ، والهلول :

طلبوا وثرَ هائمٍ فشمفوها بعد مِيلٍ مِنَ الزَّمانِ وَياس<sup>(١)</sup>  
 لا تُقِيلَنَّ عبدَ شمسٍ عِثارًا واقطّعن كلَّ رَقلةٍ وَأوايسِ<sup>(٢)</sup>  
 دُهلها أَظْهَرَ التَّوَدُّدَ مِنْها وبها مِنْكُمْ كَخَزِ المَوايسِ  
 ولقد غَظي غَظائِ سَوائِ قُرْبَهُمْ من نَمارِقٍ وَكرائِ<sup>(٣)</sup>  
 أنزلوها بِحَيْثُ أنزلها اللهُ بدارِ الهوانِ والإتعايسِ  
 وأذكروا مِصرعَ الحِسينِ وزيدًا وقتيلًا بِجانِبِ المِهراسِ<sup>(٤)</sup>  
 والقَتيلِ الَّذي بِجِزانِ أَضحى ثابًا بين غُرْبَتِهِ وَتَنايسِ<sup>(٥)</sup>  
 نَعَمَ سِبْطُ الهِراسِ مَولِاكِ سِبْطُ لَونِجِا من حِبايلِ الإِفلايسِ

فأمر بهم عبد الله ، فشدّ خرا بالعمد ، وبسطت عليهم البسط ، وجلس  
 عليها ودعا بالطعام وإنه ليستمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً ، ولما فرغ من  
 الأكل قال : ما أعلاني أكلت أكلة قط أهنأ ولا أطيب لنفسى منها ، وقال

(١) يقال فيك ميل علينا بسكون الباء أما كل منتصب مثل الحائط فيقال : في  
 الحائط ميل بالتحريك

(٢) الرقلة : النخلة الطويلة ويقال - إذا وصف الرجل بالطول - : كأنه رقلة ،  
 والأوايس : جمع آسية وهي : أصل البناء بمنزلة الأساس

(٣) النمارق جمع نمرقة وهي : الوسائد

(٤) زيد هو زيد بن علي بن الحسين ، خرج علي هشام بن عبد الملك سنة ٢٢١ هـ  
 وقتله يوسف بن عمر الثقفي أمير العراق لحشام وصلبه بالكناسة - محلة بالكوفة -  
 عريانا هو وجماعة من أصحابه ، وقوله : وقتيلاً بجانب المهراس فالمهراس : ماء بأحد  
 ويريد : حمزة بن عبد المطلب ، وإنما نسب سبيل قتل حمزة إلى بني أمية لأن أباسفيان  
 ابن حرب كان قائد كفار قريش يوم أحد

(٥) القَتيل الذي بجزان هو إبراهيم بن محمد بن علي ، وهو الذي يقال له الإمام

لِشِبْلِ : لولا أنك خاطت كلامك بالمسألة لا غنمتمك جميع أموالهم<sup>(١)</sup> ،  
ولعقدت لك على جميع موالى بنى هاشم .

وقال المتنبى :

فلا تغررك ألسنة موالٍ      تُقلِبُهِنَّ أَفئدةُ أعادى<sup>(٢)</sup>

وكن كالموت لا يرنى لبك      بكى منه ويروى وهو صاد<sup>(٣)</sup>

فإن الجرح ينفر بعد حين      إذا كان البناء على فساد

« قوله : فإن الجرح ... ألبت : مثله قول البحتري :

إذا ما الجرح رُم على فساد      تبين فيه نفر يبط الطيب

وفى كلية ودمنة : لا يغر العاقل سكون الحقد فى القلب مالم يجد محركا

فإنه كالجر المسكون مالم يجد حطبا ؛ والعداوة إذا وجدت فرصة اشتعلت

فلا يطفئها شيء دون النفس ...

(١) بالمسألة يريد : سؤاله إذ قال :

نعم شبل الهراش مولاك شبل      لو نجا من حبات الإفلاس

(٢) موال : جمع مولى وهو الولى والصديق يقول : لا تغتر بما تراه من إظهار

وذهب فإن تلك الألسنة الموالية تقابها أفئدة معادية

(٣) لا يرنى : لا يرحم . والصادى : العطشان ، يقول : كن قاسياً عليهم كالموت

لا يرحم الباكى من خوفه ، ويروى وهو صاد كأنه لطلبه الشرب بعد الرى صاد ،

أى لطلب النفوس ، ومعنى يروى : ينال ماله وأدركه لروى

\* كالموت ليس له رى ولا شبع \*

(٤) نفر الجرح : حاج وورم بعد البرء ، وقوله : إذا كان البناء على فساد أى

إذا نبت اللحم على ظاهره وله غور فاسد ، يعنى . أنهم يطوون العداوة فى أنفسهم إلى

أن تمكنهم الفرصة .

## نهيهم عن السكون إلى من تقدم

منك إليه إساءة

يُحكى أن رجلاً كان له عبدٌ سِنْدِيٌّ ، فَمَرَّضَ لامرأته ، فعَلِمَ الرجلُ بذلك ، فأخَذَهُ وَجِبَهُ ، ثم تَحَوَّبَ لذلك ، فداواه ، فلما برأ اتَّفَقَ أن غاب الرجل يوماً ، فَعَمَدَ السَّنْدِيُّ المَجْبُوبُ إلى ابْنينِ كانا لسيده فأخذهما وصعد السُّورَ ، فلما بَصَرَ بالرجل قال : والله إن لم تَجِبْ نَفْسَكَ كما جَبَبْتَنِي لَأَقْدِفَنَهُمَا من السور لِيَمُوتَا ، وإن نَفْسِي لَأَهْوَنُ من شربة ماء ، فلما رأى الرجلُ منه الجِدَّةَ جَبَّ نَفْسَهُ ، فَرَمَى العبدُ بالابْنينِ من السور وقال : إن جَبَّكَ نَفْسَكَ قِصَاصٌ لِمَا جَبَبْتَنِي ، وقتل ابْنِكَ زِيَادَةَ أُعْطِيَتْكَهَا ...

وتزعمُ العرب : أن أَخَوَيْنِ كانا في إِبِلٍ لهما ، فَأَجْدَبَتْ بلادُهُما ، وكان بالقربِ منهما وادٍ حَصِيْبٌ وفيه حَيَّةٌ تحميه من كل أحد ، فقال أحدهما للآخر : يا فلان ، لو أني أتيتُ هذا الوادِي المَكَايِبَ فرَعَيْتُ فيه إِبِلِي وأصلحْتُها؟ فقال له أخوه : إني أخاف عليك الحَيَّةَ ، ألا ترى أن أحداً لا يَمِيطُ ذلك الوادِي إلا أهلكته ، قال : فوالله لَأَفْعَلَنَّ ، فهَبَطَ الوادِي ورَمَى به إِبِلَهُ زَماناً ، ثم إن الحَيَّةَ نَهَشَتْه فقتلته ، فقال أخوه : والله ، ما في الحياة بعد أخِي خير ، فلا تُطَلِّبَنَّ الحَيَّةَ ولا تَقْتُلَنَّها ، أو لا تُبَعِّنْ أخِي ، فهبط ذلك الوادِي وطلب الحَيَّةَ لِيَقْتُلَهَا طلباً بئاراً ، فقالت له الحَيَّةُ : فهل لك في الصُّلحِ ، فأدْعِكَ بهذا الوادِي تكون فيه وأعطيك كلَّ يومٍ ديناراً ما بَقِيتُ؟ قال : أو فاعلةٌ أنتِ؟ قالت : نعم ، قال : إني أفعل ، فحلف لهما وأعطاهما المواثيق : لا يضرهما ، وجعلت تعطيه كلَّ يومٍ ديناراً ؛ فكثُرَ ما له حتى صار من أحسن الناس حالاً ؛ ثم إنه ذكر أخاه فقال : كيف يَنْفَعُنِي العيشُ وأنا

أَنْظُرُ إِلَى قَارِئِلِ أَخِي أَعْمَدَ إِلَى فَايسَ فَأَخَذَهَا؛ ثُمَّ رَصَدَ لَهَا، حَتَّى خَرَجَتْ،  
فَضْرَبَهَا ضَرْبَةً شَجَّتْ رَأْسَهَا، فَلَمَّا رَأَتْ مَا فَعَلَ قَطَعَتْ عَنْهُ الدِّينَارَ، خَفَافَ  
الرَّجْلِ شَرَّهَا وَنَدِمَ، فَقَالَ لَهَا: هَلْ لَكَ أَنْ تَتَوَاتَّقَ وَتَعُودَ إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ؟  
فَقَالَتْ: كَيْفَ أَعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثْرُ فَايسَ وَهَذَا قَبْرُ أَخِيكَ! وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ  
الحِكَايَةَ النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِي فِي آيَاتٍ لَهُ لَدَاعِي إِلَى إِيرَادِهَا وَقَدْ جَاءَ فِي  
خَتَامِهَا هَذَا الْبَيْتُ:

أَبِي لَكَ قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُوَاجِهِي وَضَرْبَةٌ فَايسَ فَوْقَ رَأْسِي فَاغِرُهُ

### نهيهم عن احتقار العدو

قال ابن نباتة السعدي:

وَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْعَدُوِّ فَدَارِهِ وَأَمْزُجْ لَهُ إِنْ الْمِزَاجَ وَفَأُقِ  
فَالنَّارُ بِالمَاءِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا تُعْطَى التَّضَاجَ وَطَبْعُهَا الإِحْرَاقُ  
وَقَالُوا: لَا يُتَّقَى الْعَدُوُّ الْقَوِي بِمِثْلِ الخُضُوعِ وَاللِّينِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ  
الرِّيحِ العَاصِفِ تَقْلَعُ الأشْجَارَ العِظَامَ، لِتَأْيِيهَا عَلِيمًا، وَيَسْلُمُ مِنْهَا النُّبَاتُ  
اللِّينُ لِتَمَايُلِهِ مَعَهَا.

ومن أمثالهم: إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهِنَّ

قال الإمام ثعلب: هذا مثل ومعناه: إِذَا تَدَعَمَ أَخُوكَ شَاخِحًا عَلَيْكَ  
فَالنِّزْمُ لَهُ المَهْوَانُ؛ وَعبارة الأزهري: المعنى: إِذَا غَلَبَكَ وَقَهَرَكَ وَلَمْ تَقَارِبْهُ  
فَتَوَاضَعْ لَهُ، فَإِنَّ اضْطِرَابَكَ عَلَيْهِ يَزِيدُكَ ذُلًّا وَخَبَالًا؛ وَقَالَ الرَّجَاجُ: الَّذِي  
قَالَهُ ثَعْلَبُ خَطَأً، وَإِنَّمَا الكَلَامُ. إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهِنَّ - بِكسر الهاء - ومعناه إِذَا  
اشْتَدَّ عَلَيْكَ فَهِنَّ لَهْ وَدَارِهِ، وَهَذَا مِنْ مَكَارِمِ الإِخْلَاقِ، كَمَا رَوَى عَنْ

معاوية رضى الله عنه أنه قال : لو أن بينى وبين الناس شجرةً يمدونها وأمدتها ما انقطعت ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنت إذا أرختها ممدت ، وإذا مدها أرخت ، فالصحيح فى هذا المثل ، فهن بالكسر ، من قولهم : هان يهين : إذا صار هيناً لينا ، كقوله :

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارُ ذُوو كَرَمٍ سَوَاسٍ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَطْهَارِ  
وإذا قالوا : فهن فهو من الهوان ، والعرب لا تأمر بذلك ، لأنهم أعزّة  
أباؤن للضم . وقال ابن سيده . وعندى أن الذى قاله ثعلب صحيح لقول  
ابن الأحرر - شاعر إسلامى - :

وقارعة من الأيام لولا سيدهم لزاحت عنك حينا  
دبت لها الضراء وقلت : أبقى إذا عزَّ ابن عمك أن تهونا<sup>(١)</sup>

### المتبجح يظهار اللبان وإضمار العداوة

قال المتنبي :

وجاهل مده فى جهله ضحكى حتى أتته يدُ فَرَّاسَةٍ وفم  
إذا نظرت نيوب اللبث بارزة فلا تظنين أن اللبث مُبْسِمُ  
« مده : أمهله وطول له ، وأصل الفرس : دق العنق يقول : رب جاهل  
خدعتة جاملتى وتركه فى حقه ضحكى منه حتى افرسته وبطشت به بعد زمان  
يعنى أنه يُغضى عن الجاهل ويحلم إلى أن يُجازيه ويعصف به ، ثم قال فى

(١) الضراء فى الاصل : الشجر الملتف فى الوادى يقال : فلان يمشى الضراء :  
إذا مشى مستخفياً فيما يوارى من الشجر ، والضراء أيضا : المشى فيما يوارى عن  
تكيده ونخلة يقال : فلان لا يدب له الضراء ، . يقال للرجل - إذا ختل صاحبه  
ومكر به : هو يدب له الضراء



البيت التالي : إذا كثر الأسد عن نابه فليس ذلك تبسماً ، بل قصداً للاقتراس ، يريد : أنه وإن أبدى بشره ، وتبسّمه للجاهل فليس ذلك رضى عنه ، وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

قَدْ قَلَصْتُ شَفْتَاهُ مِنْ حَفِيفَتَيْهِ      فَنَحِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّعْيِيسِ مُبْتَسِمًا

العدو يكاشرك إذا حضرك

قال المثقّب العبدى - شاعر جاهلى - :

إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَكْثُرُ لِي      حِينَ أَلْقَاهُ وَإِنْ غَبْتُ شَتْمُ  
وقال ابن الرومى :

يُذِيعُ لِي صَفْحَةَ السَّلَامَةِ وَالسَّلَامِ      وَيُخْفِي فِي قَلْبِهِ مَرَضًا  
وقال المتنبي :

أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِي      وَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانًا (١)  
وبما يصح أن يذكر هنا ما روى : أنه قيل لأعرابي : كيف فلان فيكم ؟  
فقال : إذا حضر هبناه ، وإن غاب اغتبناه ، قال : ذلك هو السيد فيكم ...

من نظره ينبي عن عداوته

وتحذيرهم من العداوة المستورة

قال شاعر :

سُتُورُ الضَّمَائِرِ مَهْتَوِكَةٌ      إِذَا مَا تَلَا حَظَّتْ الْأَعْيُنُ  
وقال زهير بن أبي سلمى :

وما يكُ في عدوِّ أو صديقٍ      تُخَبِّرُكَ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ

(١) يقول : إذا ظهرت لمن يذكرني بالسوء في غيبي عظمي وخضع لي وأنا أعرض عن عتابه إعراسا عنه واحتقارا له لانه لا يقدر أن ينظر إلى في حضرتي

وقال عُمَيْرُ بْنُ حُجَابٍ :

أَلَا رَبِّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى  
يُسْرَكَ بِأَدْيِهِ وَتَحْتَ أَدِيمِهِ  
تُبِينُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَأْتَمُّ  
وَفِينَا - وَإِنْ قِيلَ اصْطَلَحْنَا - تَضَاعَنُ

مَقَالَتَهُ فِي الْغَيْبِ سَاءَكَ مَا يَفْرَى <sup>(١)</sup>  
نَمِيَّةٌ شَرٌّ تَبْتَرِي تَصَبَّ الظُّهْرِ <sup>(٢)</sup>  
مِنَ الضُّغْنِ وَالشَّحْنَاءِ بِالنَّظْرِ الشَّرُّ  
كَأَطْرَ أَوْبَارِ الْجِرَابِ عَلَى النَّشْرِ <sup>(٣)</sup>

وقال أبو نواس :

كَمَنَّ الشَّنَانُ فِيهِ لَنَا  
وَقَبْلَهُ :

كَكُمُونَ النَّارِ فِي حَجَرِهِ <sup>(٤)</sup>

وَابْنِ عَمِّ لَا يُكَاشِفُنَا  
وَهِيَ الْآيَاتُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

قَدْ لَبِسْنَاهُ عَلَى غَمْرِهِ <sup>(٥)</sup>

لَا أَذُودُ الطَّيْرِ عَنْ شَجَرٍ  
وقال زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ :

قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ

وقد يَنْبُتُ الْمُرُّ عَمَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى  
وَتَبَقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ <sup>(٦)</sup>

(١) يفرى : يمتشق ويكذب ، من الافتراء

(٢) تبتري : تبرى وتنحت

(٣) جاء في اللسان : النشر : السكلا يهيج أعلاه وأسفله ندى أخضر تدفى منه الإبل إذا رعت ، واستشهد بالبيت ثم قال : يقول : ظاهرنا في الصلح حسن في مرآة العين وباطننا فاسد كما تحسن أوبار الجربى عن أكل النسر وتحتها داء منه في أجوافها . وقال أبو منصور الأزهرى : وقيل النشر في هذا البيت نشر الجرب بعد ذهابه ونبات الوبر عليه حتى يخفى ، قال : وهذا هو الصواب

(٤) الشنان : البغض . يقول : البغض قد كُن فيه واستتر مثل كمنون النار في الحجر الذى يوربه ويقدحه

(٥) لا يكاشفنا : لا يظهرنا على العداوة ، ولبسناه على غمره : عاشرناه على ما به من حقد (٦) الدمع جمع دمنة والمراد : الموضع الذى يتلبد فيه السرقة وأبصار الغم والبقر ، وفي الحديث : إياكم وخضراء الدمن ، قيل : وما ذاك . قال صلى الله

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الفتن فقال : يكون بعدها هُدنةٌ على دَخْنٍ وجماعةٌ على أَذْدَاءٍ « وأصل الهدنة : السكون بعد الهيج ، ودينه قيل للصلح بعد القتال بين كل متحاربين : هُدنة ، لأنها مُلايئةٌ وفترةٌ سكون بين المتقاتلين ، والدخن : السكُدورةُ إلى السوادِ كالدخان . والمراد سكون على غل ،

### ثبات العداوة الذاتية

قالوا في ذلك : الوُدُّ والعداوة يُتوارثان .

وفي كَليلةٍ ودمته : ليس بين العداوة الجوهرية صلحٌ وإن اجْتهد ، فالسُّدُّ وإن أُطيل لاسخائه فليس يمتنع من إطفاءِ النار إذا صَبَّ عليها . ويحكى : أن أعرابياً أخذ جرواً ذئب ، فرباه بلبن شاةٍ عتده ، وقال : إذا ربيته مع الشاةِ أنيسَ بها ، فيذُبُّ عنها ويكونُ أشدَّ من الكلب ، ولا يعرف طبعَ أجناسه ، فلما قوى وثبَّ على شاةٍ فافترسها ، فقال الأعرابيُّ :

أَكَلتْ شُوَيْهِي ونشأتَ فينا فَا أدراك أن أباك ذِيبُ

### حمد المداجاة طلباً للفرصة

قال على كرم الله وجهه : أنكى الأشياء لعدوك أن لا تُعلمه أنك اتخذتهُ عدواً .

وقال القاضي التتوخي :

أَلقَ العدوُّ بوجهٍ لا قُطوبَ به يكاد يقطُرُ من ماءِ البِشاشاتِ  
فَأحزَمُ الناسِ من يلقى أَعادِيَه في جسمٍ حقدٍ وثوبٍ من مَوَداتِ

عليه وسلم : المرأةُ الحسناءُ في المنبتِ السوء ، شبه المرأةَ بما ينبث في الدمن من الكلابِ يرى له غضارةٌ وهو وبيء المرعى منبتن الأصل

الرفقُ يُمنُّ وخيرُ القولِ أصدقهُ وكثرةُ المزحِ وفتحُ العداواتِ

## المسرة بوقوع العداة بين أعدائك

في كفاية ودمنة : من حق العاقل أن يرى معاداة بعض عدوه لبعض ظفراً حسناً ، ففي اشتغال بعضهم ببعض خلاصه منهم .

## دنى يعاديك بلا سبب

قال المتنبي :

وأتعبُ مَنْ ناداكَ مَنْ لا تجيبُهُ وأغيطُ من عاداكَ مَنْ لا تُشاكلُ  
 يقول : أتعبُ مُنادكَ مَنْ ناداكَ فلم تجبه ، لأنك لا تشفيه بالجواب ،  
 فيجهد في النداء ، كما أن أغيط الأعداء لك من عاداك وهو دونك ، لأنك  
 تترفع عن معارضته فلا تستفي منه ،  
 وقال شاعر :

يسطو بلا سببٍ وتلك طبيعة الكلبِ العقورِ

## تأسف من يعاديه لئيم أو دنى

قال المتنبي في عذر من يخاصم دينياً ويدافعه :

إذا أتتِ الإساءة من لئيمٍ ولم أَلَمْ المسيءَ فمن ألوْمُ

وقال علي بن الجهم في تأسف من يعاديه لئيم :

بلاءٌ ليس يُشبههُ بلاءُ عداوةٍ غير ذى حسبٍ ودينٍ

يبيحك منه عرضاً لم يصنه ويرتع منك في عرضٍ مصونٍ

ويحكى : أن خنزيراً بعث إلى الأسد وقال : فانتلني ، فقال الأسد :

أَسْتَبِكْفِي، وإن أنا قتلتك لم يكن لي ذلك فخراً، وإن قتلتنى لحقتى عارٌ عظيم، فقال الخنزير: لَأَخْبِرَنَّ السَّبَاعَ بِسُكُوكَ، فقال الأسد: احتمالُ العارِ في ذلك أيسرُ من التلَطُّحِ بِدَيْكِ .

حشهم على العداوة بالقول لا بالفعل

قالوا: غَضِبُ الجاهل في قوله، وغَضِبُ العاقل في فِعله  
وقالوا: «وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ» وقد تقدم

\*\*\*

طائفة من عبقرياتهم

في الناس وما جُبِلَ عليه السواد الأعظم من الحمد والحسد

وسوء الظن والشماتة وما جرى هذا المجرى

ولمناسبة عبقرياتهم في العداوات نورد عليك هاهنا صدرًا من عبقرياتهم

في الناس وما جُبِلَ عليه السواد الأعظم من الحمد والحسد وسوء الظن  
والشماتة والمزاح وما جرى هذا المجرى

## الناس

لا يزال الناس بخير ما تباينوا

من أروع ما قيل في الناس وحكمة تباينهم واختلافهم قوله صلى الله عليه

وسلم: «لا يزال الناس بخير ما تباينوا؛ فإذا تساوتوا هلكوا»، قال ابن

الأثير في النهاية معناه: أنهم إنما يتساوون إذا رضوا بالنقص وتركوا التنافس

في طلب الفضائل ودرك المعالي، وقد يكون ذلك خاصا في الجهل، وذلك

أن الناس لا يتساوون في العلم وإنما يتساوون إذا كانوا كلهم جهالا، وقيل:

أراد بالتساوى التحزب والتفرق وأن لا يجتمعوا على إمام ويديع كل واحد الحق لنفسه فينفرد برأيه . . . وقال أبو عبيد : أَحْسَبُ قَوْلَهُ : فإذا تساؤوا هلكوا، لأن الغالب على الناس الشرُّ، وإنما يكون الخبرُ في النادرِ من الرجال، لعزته، فإذا كان التساوى فإنما هو في السوء . . . وقال شاعر :

النَّاسُ أَخْيَافٌ وَشَتَّى فِي الشَّيْمِ وَكُلُّهُمْ بِجَمْعِهِمْ بَيْتُ الْآدَمِ

« أخياف : ضروبٌ مختلفة الأخلاق والأشكال . والآدم . قيل : أراد

آدم ، وقيل الأرض ، ولعله يشير بهذا إلى ما جاء في الأثر : كلكم لآدم وآدم من تراب ؛ وقال مسلم بن الوليد :

النَّاسُ كُلُّهُمْ لِيَضْنٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اخْتِلَافٌ طَبَائِعٍ فِي أَنْفُسِ

« الضنء : الأصل » وقالوا : الناس في اختلافهم في خلقهم كاختلافهم

في خالقهم . وقال خالد بن صفوان : الناس أخياف ، منهم من هو كالكلب ،

لا تراه الدهر إلا هراً را على الناس ، ومنهم كالخنزير ، لا تراه الدهر إلا

قذراً ، ومنهم كالقرد ، يضحك من نفسه . وقال بعضهم : الناس أخياف :

عَلِقَ مَضِنَّةً لَا يُبَاعُ ، وَعَلِقَ مَظِنَّةً لَا يُبْتَاعُ ، وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

مَنْ لَكَ بِالْمُحَضِّ وَلَيْسَ مُحَضُّ يَخْبَثُ بَعْضٌ وَيَطِيبُ بَعْضٌ

« وقد ما قلت فيما قلت ، في كتابي «الفردوس» : ولم لا يكون هذا الاختلاف

في الحياة الدنيا بين الأفراد والجماعات إنما يقصد به إلى معنى جميل مأمنه

بدا السننا قد نشئنا كأنغام آلات الموسيقى ، هي وإن اختلفت غير أن

اجتماعها يؤلف من هذا الاختلاف نغما موسيقياً متجانساً بديعاً يطرب السمع

ويعلمك على المرء مشاعره . ولعل الأصل في هذا كله قوله عز وجل : قُلْ

كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا . . . وقوله :

ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ...

### وجدت الناس آخبر ثقله

ومن أبدع ما قيل في ذم الناس ما جاء في حديث أبي الدرداء: وجدتُ الناس آخبر ثقله .. قال ابن الأثير في النهاية: القلي: البغض، يقال: قلاه، يقليه قلى وقلى: إذا أبغضه، قال الجوهري: إذا فتحت مددت، ويقلاه: لغة طي. يقول جرب الناس فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركهم، لما يظهر لك من بواطن سرايرهم. لفظه لفظ الأبر ومناه الخبر، أى من جربهم أبغضهم وتركهم: والهاء في ثقله: للسكت. ومعنى نظم الحديث: وجدت الناس مقولا فيهم هذا القول.

### الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة

وجاء في الحديث الشريف: الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة ... .  
يعنى أن المرضى المنتخب من الناس في عزة وجوده كالنجيب من الإبل القوي على الأحوال والأسفار الذى لا يوجد فى كثير من الإبل. وقال الإمام الأزهري: الذى عندى فى هذا الحديث: أن الله تعالى ذم الدنيا وحذر العباد سوء مغبتها وضرب لهم فيها الأمثال ليقتبروا، ويحذروا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحذرهم كما حذرهم الله، فرغب بعض أصحابه بعده فيها وتنافسوا عليها حتى كان الزهد فى النادر القليل منهم فقال: تجدون الناس بعدى كإبل مائة ليس فيها راحلة، أى أن الكامل فى الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة قليل كقلة الراحلة فى الإبل، والراحلة هي

البعيرُ القوي على الأسفار والأحمال ، النجيبُ النَّامُ الخلقُ الحَسَنُ المنظرُ ، ويقعُ  
على الذِّكْرِ والآثي ، والهَاءُ فِيهِ لِلْبَالِغَةِ ،

\*\*\*

وقال الشاعر :

الناسِ بِمِثْلِ بُبُوتِ الشَّعْرِ كَمِ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِالْفِ كَمِ بَيْتِ بَدِيوَانِ  
وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الْمَعْرِيُّ :  
الناسِ كَالشَّعْرِ تُلْفَى الْأَرْضُ جَانِثَةً بِالْجَمْعِ يُزَجِّي وَخَيْرُهُ مِنْهُمْ رَجُلٌ

لو تكاشفتُم ما تدافتم

ومن كلمة لسيدنا رسول الله صلوات الله عليه : لَوْ تَكَاشَفْتُمْ مَا تَدَافْتُمْ .  
يقول : لو علم بعضكم سريرة بعض لاسْتَهْتَمَلُ تَشْيِيعَهُ وَدَفَنَهُ . . ولعل  
أبا العتاهية قد أخذ من هذا الحديث قوله :

وفي الناس شر لو بدأ ما تعاشرُوا ولكن كساهُ اللهُ ثوبَ غطاء

\*\*\*

وقالوا في ذم الناس :

عَوَى الذَّنْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذَّنْبِ إِذْ عَوَى

وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكَدَّتْ أَطِيرُ

وقال المعري :

يَحْسَنُ مَرَأَى لِبْنِي آدَمَ وَكُلَّهُمْ فِي الذَّوْقِ لَا يَعْذِبُ  
مَا فِيهِمْ بُرٌّ وَلَا نَاسِكٌ إِلَّا إِلَى تَفْعَرٍ لَهُ يَجْدِبُ  
أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ لَا تَظْلِمُ النَّاسَ وَلَا تَكْذِبُ



وقال محمد بن يسير :

سَوَاءٌ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ أَنَا فِي هَذَا مِنْ أَوْلِهِمْ  
لَسْتُ تَدْرِي حِينَ تَنْسُبُهُمْ أَيْنَ أَذْنَابِهِمْ مِنْ أَقْضَلِهِمْ

وقال بعضهم : كنتُ عند الحسن البصريِّ ، فقال : أَسْمَعُ حَسِيصًا ، وَلَا أَرَى أَنِيصًا ، صِيَانٌ حَيَارَى ، مَا لَهُمْ تَفَاقَدُوا عَقُولَهُمْ ، وَفَرَّشَ نَارَ ، وَذِبَابَ طَمَعٍ . وَقِيلَ لِسَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ : دُلَّنَا عَلَى رَجُلٍ نَجْلِسُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : تِلْكَ ضَالَّةٌ لَا تَوْجِدُ . . . وَقَالَ فُلَانٌ : رَأَيْتُ كَلْبًا مِمَّنْ بَنَى عَمْرُو الْعَتَابِيُّ يَا كُلَّ خُبْرًا فِي الطَّرِيقِ ، فَقُلْتُ لَهُ أَمَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَأْكُلَ بِحَضْرَةِ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : أَرَأَيْتَ لَوْ كُنْتُ فِي دَارٍ فِيهَا بَقْرٌ ، أَمَا كُنْتُ تَأْكُلُ بِحَضْرَتِهِمْ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَؤُلَاءِ بَقَرًا ثُمَّ قَالَ : إِنْ شَدَّتْ أَرِيَّتُكَ دَلَالَةٌ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ قَامَ وَوَعِظَ ، وَجَمَعَ قَوْمًا ثُمَّ قَالَ : رَوَى عَن غَيْرِ وَجْهِ : أَنَّ مِنْ بَاغِ لِسَانِهِ أَرْثَبَةً أَنْفَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا أَخْرَجَ لِسَانَهُ يَنْظُرُ هَلْ يَبْلُغُ !

وقال رجل لأحد الشعراء : أَيْنَ سَكَّةُ الْخَيْرِ ؟ فَقَالَ : اسْلُكْ أَيَّ سِكَّةٍ شَدَّتْ فَكَلَّمَتْهَا دَرُوبُ الْخَيْرِ . . . وَمِثْلُ هَذَا مِنَ التَّوَادِرِ الْمُسْتَطَرَّةِ . . .

وقال بعضهم : النَّاسُ أَرْبَعَةٌ أَصْنَافٌ : آسَادٌ ، وَذَنَابٌ ، وَثَعَالِبٌ ، وَضَّانٌ ، فَأَمَّا الْآسَادُ فَالْمُلُوكُ - وَهِيَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحُكْمِ الْمُسْتَبْدِينَ - وَأَمَّا الذَّنَابُ فَالتَّجَارُ ، وَأَمَّا الثَّعَالِبُ فَالْقُرَّاءُ الْخَادِعُونَ <sup>(١)</sup> . وَأَمَّا الضَّانُ فَالْمُؤْمِنُ - يَرِيدُ الطَّيِّبَ الْكَرِيمَ - يَنْهَشُهُ كُلُّ مَنْ يَرَاهُ . وَقَالَ كَثِيرٌ عَزَّةً :

سَوَاسٍ كَأَسْنَانِ الْحَمَارِ فَمَا تَرَى لِيذِي شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَائِيهِ فَضْلًا

(١) لعل المراد بالقراء : النساك . وقد جاء في الحديث : أكَثَرُ مَنْ فَتَى أُمَّتِي قُرَاؤُهُمَا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهْيَةِ . أَيْ أَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ الْقُرْآنَ نَفِيًّا لِلنَّهْمَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُمْ مُعْتَقِدُونَ تَضْيِيعَهُ وَكَانَ الْمُنَافِقُونَ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الصَّفَةَ

« يقال هُم سَوَاسِيَةٌ وَسَوَاسٌ وَسَوَاسِيَةٌ : إذا استَوَوْا في اللُّؤْمِ والحَسَّةِ والشرِّ، وقال آخر :

شَبَابُهُمْ وشِدِيهِمْ سَوَاهُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الحِمَارِ  
« وأسنان الحمار مستوية »

وقال طرفة بن العبد :

كَلَّ حَمِيلٌ كُنْتُ خَالَاتُهُ لَا تَرَكَ اللهُ لَهُ وَاضِحَةً (١)  
كَلِمِ أَرْوَعٌ مِنْ نَعْلَبِ ما أشبه الليلة بالبارحة

وقال المتنبي :

ولما صارُ وُدُّ الناسِ خِبا جَزَيْتُ على ابتسامِ بابتسامِ  
وَصِرْتُ أَشْكَ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ لعلِّي أنه بعض الأنامِ

وقال ابن الرومي :

رَاعِلُمْ بأن الناسِ من طِينَةٍ يَصْدُقُ في الثُّلْبِ لها النَّابِ (٢)  
وَلَا علاجُ الناسِ أخلاقَهُمْ إِذَنْ لَفَاحِ الحَمَأِ اللَّازِبِ (٣)

وقال المتنبي :

أَذُمُّ إلى هذا الزمانِ أهيلُهُ وَأَعْلَهُمْ فَدَمٌ وَأَحْزَمَهُمْ وَغَدُ

وقال :

إِنما أَنفُسُ الأَنيسِ سِباعِ يَتَفَارِسُنَ جَهْرَةً واغْتِيالا  
مَنْ أَطاقَ النَّاسَ شَيْءٌ غِلاِباً واغْتِصاباً لم يَلْتَمِسُهُ سُؤالا  
كلُّ غادٍ لِحاجَةٍ يَتَمَنى أَنْ يَكُونَ الغَضَنَفَرُ الرَّبَّالاً

(١) الواضحة : الأسنان التي تبدو عند الضحك . (٢) الثلب : العيب

(٣) الحمأ : الطين الأسود الملتين ، واللأزب . الذي يلزق ويصلب

وقال :

إِنَّا لِنِي زَمَن تَرَكَ الْقَبِيحَ بِهِ      مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالٌ  
لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسَ كُلُّهُمْ      الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالٌ

\*\*\*

وقالوا في أن من شيم الناس أن تحمد من رشد وتلوم من يعفوي  
وفي ذلك يقول القطامي :

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْتَقِ خَيْرًا قَانُونَ لَهُ      مَا يَشْتَهِي وَإِلَامُ الْمَخْطَى الْهَبْلُ<sup>(١)</sup>

وقد أخذ من قول المرقتش الأصغر :

وَمَنْ يَلْتَقِ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسَ أَمْرَهُ      وَمَنْ يَفْرِ لا يَعْدَمُ عَلَى النَّيِّ لَانْمَا

وهذا كعمري من عناوين اللوم المركب في الطباع.

وقالوا في انتكاس الاحوال وارتفاع السفلة الانزال والقائل : خديش

بن زهير - شاعر جاهلي من شعراء قيس - وهو ابن عم ليلى :

فَأَنَّكَ لَا تُبَالِي بَعْدَ حَوْلٍ      أَظِيْ كَانَ أَمَّكَ أُمَّ حِمَارٍ

فقد لحق الأسافل بالأعلى وماج اللؤم واختلط النجار

وعاد الفند مثل أبي قبيس      وسبق مع المعلهجة العشار

« النجار : الأصل . والفند : قطعة من الجبل طولاً ، وأبو قبيس جبل

بمكة ، والمراد به : الرجل الشريف ، كما يراد بالفند ، الرجل الوضيع ، والمعلهجة :

المرأة اللئيمة الأصل الفاسدة النسب . والعشار : جمع العشاء : الناقة مضى

لحملها عشرة أشهر ؛ يقول هذا الشاعر : أما وقد لحق الأسافل بالأعلى

واختلطت الأصول وماج أمر الناس واضطرب وعظم شأن اللؤم ونفقت

(١) الهبل : الشكل - الفقد -

سرقه' وعاد الخسيس مثل الشريفة حتى سبقت الإبل الحوامل في مهر اللثيمة  
وتغير بذلك الزمان واطرحت مراعاة الأنساب فلا نبأ بعد قيامك بنفسك  
واستغنائك عن أبويك ، من انتسبت إليه ، شريفاً كان أم وضيعاً... وضرب  
المثل بالظبي والحمار وجعلهما أمين وهما ذكران لأنه مثل لا حقيقة ، وقصد  
قصد الجنسين ولم يحقق أبوة . وذكر الحول ، لذكر الظبي والحمار ، لأنهما  
يستغنيان بأنفسهما بعد الحول ؛ فهذا شاعر ساخط كما ترى ،

وقال ابن الرومي :

دَهْرٌ عَلَا قَدْرُ الْوَضِيعِ بِهِ      وَهُوَ الشَّرِيفُ يَحُطُّهُ شَرْفُهُ  
كَالْبَحْرِ يَرُسُّ فِيهِ لُؤْلُؤُهُ      سَفَلًا وَتَطْفُو فَوْقَهُ حَبِيفُهُ

وقال :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَرْفَعُ كُلَّ وَغْدٍ      وَيَخْفِضُ كُلَّ ذِي شَيْمٍ شَرِيفُهُ  
كَبَدْلِ الْبَحْرِ يَغْرَقُ فِيهِ حَتَّى      وَلَا يَنْفَكُ تَطْفُو فِيهِ حَبِيفُهُ  
أَوْ الْمِيزَانَ يَخْفِضُ كُلَّ وَافٍ      وَيَرْفَعُ كُلَّ ذِي زِينَةٍ خَفِيفُهُ

وقال الوزير المغربي :

إِذَا مَا الْأُمُورُ اضْطَرَبْنَ اعْتَلَى      سَفِيهُهُ يُضَامُ الْعُلَى بِاعْتِلَانِهِ  
كَذَا الْمَاءِ إِنْ حَرَّكَتَهُ يَدٌ      طَعْمًا عَكْرًا رَاسِبٌ فِي إِنْأَانِهِ

وقال المعري في الناس :

لَقَدْ فَتَشْتُ عَنْ أَصْحَابِ دِينٍ      لَهُمْ نُسْكٌ وَلَيْسَ لَهُمْ رِيَاءُ  
فَأَلْفَيْتُ الْبَهَائِمَ لَا عُقُولَ      تُقِيمُ لَهَا الدَّلِيلَ وَلَا ضِيَاءُ  
وَإِخْوَانَ الْقَطَانَةِ فِي اخْتِيَالٍ      كَانَهُمْ لِقَوْمِ أَنْبِيَاءُ  
فَأَمَّا دَوْلَاءُ فَأَهْلُ مَكْرٍ      وَأَمَّا الْأَوْلُونَ فَأَغْيَاءُ

فإن كان التقي بَلْهًا وَعِيًّا فَأَعْيَارُ الْمَذَلَّةِ أَتْقِيَاءَ  
 « الأعيار : جمع عير ، وهو الحمار يضرب به المثل في الذل قال المتلبس :  
 ولا يقيم على ضميمٍ أَلَمَّ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتِدُ  
 فذاك يُخَسِّفُ مَرْبُوطًا بِمَقْوَدِهِ وَذَا يُشْجِعُ وَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ  
 وقال :

بَنِي الدَّهْرِ مَهْلًا إِنْ ذَمْتُ فِعَالِكُمْ  
 مَتَى يَتَقَضَى الْوَقْتُ وَاللَّهُ قَادِرٌ  
 تَجَاوَرَ هَذَا الْجِسْمُ وَالرُّوحُ بِرَهَةٍ  
 وقال المعري :

جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَأَتَرَكَتْ  
 لِي التَّجَارِبُ فِي وُدِّ امْرِئِي غَرَضًا  
 وقال :

أُولُو الْفَضْلِ فِي أَوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ  
 تَوَاصَلَ حَبْلُ النَّسْلِ مَا بَيْنَ آدَمِ  
 تَنَاءَبَ عَمْرُو إِذْ تَنَاءَبَ خَالِدٌ  
 وَزَهْدَنِي فِي الْخَلْقِ مَعْرِقِي بِهِمْ  
 وقال المعري :

أَرَأَيْتِكَ فَلْيَغْفِرْ لِي اللَّهُ زَلَّتِي  
 وَقَدْ يُخْلِفُ الْإِنْسَانُ ظَنَّ عَشِيرِهِ  
 إِذَا قَوْمُنَا لَمْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحَدَّهُ  
 وقال :

إِذَا بَكَرْتُ جَنَى فَتَوَقَّ عَمْرًا  
 فَإِنَّ كَلِيهَمَا لَابٌ وَأَمٌّ

وفي كُلِّ الطباعِ طَباعٌ نَكَزٍ      وليسَ جَميعُهُنَّ ذواتِ سُمِّ  
« النَكَزُ : تَسعُ الحِيةُ »

رَأيتُ الحَقَّ لؤلؤةً توارتُ      بِالجِجِّ من ضلالِ النَّاسِ جَمِّ

وقال :

رِياةُ بَنِي حِوَاءَ في الطَّبِيعِ ثابتُ      فَنهَمُ جُجِجِدِّ في النِّفاقِ وهازلُ  
سَخَوِ اليَقُولِ النَّاسِ جادوا وأقَدَموا      لِيذكَرَ في الهِجاءِ قَرَنُ مُنازلُ

وقال :

النَّاسُ مِثْلُ المِاءِ تَضْرِبُهُ الصِّبَا      فيكونُ مِنْهُ تَفَرُّقٌ وَتَأَلُّفُ  
والخَيْرُ يَفْعَلُهُ الكَرِيمُ بِطَبِيعِهِ      وإذا اللِّيمُ سَخا فَذاكُ تَكَلُّفُ

سَكَّوتُ مِنْ أَهْلِ هَذَا العَصْرِ عَدْرَهُمُ

لا تُنكَرَنَّ فَعَلَى هَذَا مَضَى السَّالِفُ

وَقَلَمَّا تَسَكَّنُ الأَضْغانُ في حَدَدٍ      إِلا وفي وَجْهِ مَنْ يَسْعَى بِها كَلَفُ  
أَمسى النِّفاقُ دُرُوعاً يُسْتَجَنُّ بِها      مِنَ الأَذَى وَيُقَوِّى سَرَدَها الحَلِيفُ

« الحَلِيفُ : اليَمِينُ »

حَسَنَ الوَعْدِ بِالإِنجازِ تَتَّبِعُهُ      إِذا مَواعِدُ قومِ شاتِها الحُلُفُ

وقال :

إِذا فَرِغنا فَإِنَّ الأَمَنَ غايَتُنا      وَإِنْ آمِنًا فَمَا نَحْلُو مِنَ الفَرَعِ  
وشِمةُ الإِنسِ بِمِزْجِها مَلَلُ      فَمَا تَدومُ عَلى صَبْرٍ ولا جَزَعِ

وقال :

إِذا ما أَسَنَّ الشَّيْخُ أَقْصاهُ أَهْلُهُ      وَجارَ عَلَيْهِ النَّجْلُ وَالعَبْدُ وَالعِرْسُ

« العرس : الزوجة »

يُسَبِّحُ كَمَا يَغْفِرُ اللَّهُ ذَنْبَهُ رُوَيْدَكَ فِي عَهْدِ الصَّبَا مَلِي الطَّرْسُ  
وقال :

أَهْرَبُ مِنَ النَّاسِ فَإِنْ جَشْتَهُمْ فِدْلَ سَابِ جَرَّهُ السَّاحِبُ (١)  
يَبْلَتَفِيعُ النَّاسِ بِمَا عِنْدَهُ وَهُوَ لَقِيَ بَيْنَهُمْ شَا حِبُ (٢)  
وقال :

إِنْ مَازَتْ النَّاسَ أَخْلَاقٌ يُعَاشُ بِهَا  
أَوْ كَانَ كُلُّ بَنِي حَوَاءَ يُشْبِهُنِي  
بُعْدِي مِنَ النَّاسِ بُرٌّ مِنْ سَقَامِهِمْ  
كَالْبَيْتِ أَفْرَدَ لَا إِطَاءَ يُدْرِكُهُ  
فإنهم عند سوء الطبع أسوأه  
فبئس ما ولدت في الخلق حواء  
وقربهم للحي والدين أدواءه  
ولا سناد ولا في اللفظ إقواءه (٣)  
وقال :

قَدْ حُجِبَ الثَّوْرُ وَالضِّيَاءُ وَإِنَّمَا دِينُنَا رِيَاءُ  
يَا عَالَمَ السُّوءِ مَا عَلِمْنَا أَنْ مَصْلِكَ أُنْقِيَاءُ  
كَمْ وَعَظَّ الوَاعِظُونَ مِنَّا وَقَامَ فِي الْأَرْضِ أَنْبِيَاءُ  
فَانصَرَفُوا وَالبِلاءُ باقٍ وَلَمْ يَزُلْ دَاوُكِ العِيَاءُ  
« زال يزول : راح وذهب ؛ والعياء : الذي لا يبرأ منه »

حُكْمٌ جَرَى لِلْمَلِكِ فِينَا وَنَحْنُ فِي الْأَصْلِ أُنْغِيَاءُ

(١) الساب : زق الخمر

(٢) اللقي : الملقى على الأرض ، والشاحب : المهزول المتغير اللون لعارض كمرض ونحوه

(٣) الايطاء : تكرر القافية بلفظها ومعناها ، والاقواء : اختلاف إعراب القوافي ،

والسناد أنواع وهو كل عيب يحدث قبل الروي كارداف قافية وتجريد أخرى

وهذه من عيوب القافية

وقال :

مُلِّ الْمَقَامُ فَكَمْ أَعَاثِرُ أُمَّةً أَمَرَتْ بِغَيْرِ صَلَاحِهَا أَمْرًا  
ظَلَمُوا الرَّعِيَّةَ وَاسْتَجَازُوا كَيْدَهَا فَعَدَّوْا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أَجْرَاؤُهَا

وقال بشار بن برد :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمُسْرِ وَأَيْنَ الْمُشَارِكُ فِي الْمَرِّ أَيْنَا  
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ غَبْتَ كَانَ أَذْنًا وَعَيْنَا  
مِثْلُ سِرِّ الْيَاقُوتِ إِنْ مَسَّهُ النَّارُ جَلَاهُ الْبَلَاءُ فَازْدَادَ زَيْنَا  
أَنْتَ فِي مَعَشِرٍ إِذَا غَبْتَ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنَا  
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعَا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرَائِيَا عَلَيْنَا  
مَا أَرَى الْأَنْامَ وُدًّا صَحِيحَا عَادَ كُلُّ الْوِدَادِ زُورًا وَمَيْنَا

وقال ابن الرومي :

ذُوقْتُ الطُّعُومَ فَمَا التَّدَذُّتُ بِرَاحَةٍ مِنْ صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ  
أَمَّا الصَّدِيقُ فَلَا أَحَبُّ لِقَسَاءِهِ حَذَرَ الْقَلْبِ وَكَرَاهَةَ الْإِعْوَارِ  
وَأَرَى الْعَدُوَّ قَدَى فَأَكْرَهُ قُرْبَهُ فَهَجَرْتُ هَذَا الْخَلْقَ عَنْ إِعْذَارِ  
أَرْنِي صَدِيقًا لَا يَنْوِي بِسَقَطَةٍ مِنْ عَيْهِ فِي قَدْرِ صَدْرِ نَهَارِ  
أَرْنِي الَّذِي عَاشَرْتَهُ فَوَجَدْتَهُ مُتَعَاضِيًا لَكَ عَنْ أَقْلٍ عِشَارِ  
أَحِبُّ قَوْمًا لَمْ يُحِبُّوْا رَبَّهُمْ إِلَّا لِغِرْدُوسٍ لَدَيْهِ وَنَارِ

وقال :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلَا تَسْتَكْبِرَنَّ مِنَ الصَّحَابِ  
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ يَحُولُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ  
إِذَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ غَدًّا عَدُوًّا مُبِينًا وَالْأُمُورُ إِلَى انْقِلَابِ



ولو كان الكثيرُ يَطيبُ كانت مُصاحبةُ الكثير من الصواب  
وما اللُّججُ المِلاحُ بِمُرُوباتٍ وتلقى الرّىّ في النّظفِ العِذابِ  
وبعد فإن هذا الباب مُتسعٌ جداً، وسيمر عليك كثير من عبقرياتهم فيه في باب  
الإخوانيات وباب الطبائع، فلنجزئ بهذا المقدار.



### الغوغاء

ولهم في السَّقَطِ والسَّفِلةِ وهذه الرّجيرة من الناس كلام كثير، فن ذلك قولُ  
واصل ابن عطاء: أَلَا قَاتَلَ اللهُ هَذِهِ السَّفِلةَ، تُؤَادِنُ حَادَّ اللهِ وَنَبِيَّهِ، وَتُحَادِّدُنَّ  
وَأَدَّ اللهُ وَنَبِيَّهِ، وَتَدُمُّنَّ مَن مَدَحَهُ اللهُ، وَتَمْدَحُنَّ مَن ذَمَّهُ اللهُ، عَلَيَّ أَنْ يَهْمُ  
عُلَمَ الفَضْلِ لِأهلِ الطَبقةِ العالِيَةِ، وَبِهِمْ أُعْطِيتِ الأوساطَ حَقّاً مِنَ التَّيْبَلِ...  
ومنه قول سيدنا علي رضي الله عنه. وقد أتى بِجَنانٍ ومعه غوغاء —  
فقال: لا مَرَجاً بوجوه لا تُرى إلا عند كُلِّ سَؤِةٍ... وقوله رضي الله عنه:  
هم الذين إذا اجتمعوا ضَرُّوا وإذا تفرقوا نَفَعُوا؛ فقيل له: قد عَلِمْنَا مَضْرَةَ  
اجتماعهم فما منفعَةُ اتِّراقهم؟ فقال: يَرِجِعُ أصحابُ المِهنِ إلى مِهَنِهِمْ، فيَنْتَفِعُ  
الناسُ بِهِمْ، كَرَجُوعِ البِناءِ إلى بِنائِهِ، والنساجِ إلى مَنسِجِهِ، والحَبَّازِ  
إلى مَخْبِزِهِ.

وكان الحسن البصري إذا ذكر الغوغاء والشوق يقول: قَتَلَةُ الأنبياءِ،  
وكانوا يقولون: العائمة كالبحر إذا هاج أهلك راكمه، وكان المأمون الخليفة  
العباسي يقول: كُلُّ شَرٍّ وظلم في العالم فهو صادرٌ عن العائمة والغوغاء؛ لأنهم  
قَتَلَةُ الأنبياءِ، والشعاعة بين العلماء، والنمامون بين الأوداء، ومنهم اللصوص

وَقَطَّاعِ الطَّرِيقِ وَالطَّرَارُونَ وَالْمُحْتَالُونَ وَالسَّاعُونَ إِلَى السَّاطَانِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسِرُوا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي السَّعَابَةِ ، فَقَالُوا : رَبَّنَا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ، رَبَّنَا وَأَتَمَّ ضِدِّفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَّةِ لَعْنًا كَبِيرًا... وَقَالَ الْجَاهِظُ : الْغَاغَةُ وَالْبَاغَةُ<sup>(١)</sup> وَالْحَاكَةُ كَأَنَّهُمْ إِعْدَارُ<sup>(٢)</sup> عَامٍ وَاحِدٍ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَجِدُ أَبَدًا فِي كُلِّ بَلَدَةٍ ، وَفِي كُلِّ عَصْرِ ، هَوْلًا ، إِلَّا بِمِقْدَارٍ وَاحِدٍ وَجِهَةٌ وَاحِدَةٌ ، مِنَ السَّخْفِ وَالنَّقْضِ وَالخَوْلِ وَالغَبَاوَةِ .

وَمِنْ كَلِمَةِ اسْمِئِدْنَا عَلَى فِي فَضْلِ الْعِلْمِ عَلَى الْمَالِ وَوَصَفِ الطَّعَامِ — قَالَ كَمَيْلُ بْنُ زِيَادِ النَّخَعِيِّ : أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَخْرَجَنِي إِلَى الْجَبَانِ<sup>(٣)</sup> ، فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءَ<sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ قَالَ : يَا كَمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ ، إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَتْهُ خَيْرُهَا وَأَوْعَاهَا ، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ ، النَّاسُ ثَلَاثَةٌ ، فَقَالِمُ رَبَّانِي ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ ، وَهَمَّجٌ رَعَاعٌ ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِيٍّ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَبْجَأُوا إِلَى رَكْنٍ وَثِيقٍ ، يَا كَمَيْلُ ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالِ ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ ، وَصِنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ : يَا كَمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ ، هَلَّاكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ ، وَالْعُلَمَاءُ بِأَقْوَنِ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ . إِلَى آخِرِ هَذِهِ الْخُطْبَةِ الْعُلُوبَةِ الَّتِي تَرَاهَا فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ...

(١) الَّذِي فِي اللِّسَانِ : وَبُوغَاءِ النَّاسِ : سَفَلَتِهِمْ وَطَاشَتِهِمْ وَحَقَامِهِمْ .

(٢) الْإِعْدَارُ : الْخِتَانُ وَطَعَامُ الْخِتَانِ وَفِي الْحَدِيثِ : كَذَا إِعْدَارُ عَامٍ وَاحِدٍ ، أَيْ

(٣) الْجَبَانُ وَالْجَبَانَةُ يَرِيدُ الصَّحْرَاءَ .

خِتَانًا فِي عَامٍ وَاحِدٍ ، وَكَانُوا يَخْتُونُ لِسَنَ مَعْلُومَةٍ فِيمَا بَيْنَ عَشْرٍ سَنِينَ وَخَمْسِ عَشْرَةٍ

(٤) تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءَ : أَيْ تَنَفَّسَ تَنْفَسًا مَبْدُودًا طَوِيلًا

وقال معاوية رَضَعَصَةَ بن صوحان : صِف لي الناس ، فقال : خُلِقَ  
الناس أطواراً ، طائفة للسيادة والولاية ، وطائفة للفقهِ والسنة ، وطائفة لللباس  
والنجدة ، ورجرة بين ذلك ، يُقْلُونَ السمر ، وَيُكَدِّرُونَ الماء ، إذا اجتمعوا  
ضربوا ، وإذا تفرقوا لم يُعرَفوا ... ومن طريف التفاسير وغريبها ما قيل في  
قوله تعالى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » أي من  
السلطان « أو من تحت أرجلكم » أي من السفل .

وقال دَعْبِل :

ما أَكْثَرَ الناسَ لا بِل ما أَقْلَهُمُ اللهُ يعلم أني لم أَقُلْ فَنَدَا

إِنِّي لِأَفْتَحُ عَيْنِي حينَ أَفْتَحُها على كثيرٍ ولا مكن لا أرى أحدا

وهم يشبهون سواد الناس بالدبا ، والدبا مقصور : الجراد قبل أن يطير ،  
وفي حديث عائشة قالت : كيف الناس بعد ذلك ؟ قال : دَبِّي يا كل شِدَادُهُ  
ضِعافُهُ حتى تقوم عليهم الساعة ...

قلة الوفاء في الناس وشيوع الغدر والمكر في عاقبتهم

وقالوا في قلة الوفاء في الناس ووصف عاقبتهم بالغدر ، والمكر السيئ ،  
ومن أروع ما قيل في ذلك قوله عز وجل : « وما وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ  
وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ » . وقال سبحانه : « الذين يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ  
من بَعدِ ميثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ في الأَرْضِ  
أولئك لهم اللعنةُ ولهم سُوءُ الدارِ » ...

وقال : « أَفأَمِنَ الذين مَكَرُوا السِئاتِ أَنْ يَخْصِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضِ

أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ، وقال : ولا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ

إلا بأهله ... وقال: وَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ . وقال: إِنَّمَا

بَغِيكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ... وقال المتنبي :

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْجِدُحُ  
أَهْلُ الْحَفِيظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرَّبَهُمْ  
إِنْ قَالُوا جَبُّوا أَوْ حَدَّثُوا شَجُّوا  
وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَيِّ مَا يَزَعُ

وقال أبو فراس الحمداني :

بِمَنْ يَثِقُ الْإِنْسَانُ فِيمَا يَنْوِبُهُ  
وَمَنْ أَيْنَ لِلْحُرِّ الْكَرِيمِ صَحَابُ  
وَقَدْ صَارَ هَذَا النَّاسُ إِلَّا أَقْلَهُمْ  
ذُنَابًا عَلَى أَجْسَادِهِمْ نِيَابُ

وقال أبو تمام :

إِنْ شِئْتَ أَنْ يَسْوَدَ ظَنُّكَ كُلَّهُ  
فَأَجِلْهُ فِي هَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ  
لَيْسَ الصَّدِيقُ بِنَ يَعِيرُكَ ظَاهِرًا  
مَتَّبِعًا عَنِ بَاطِنِ مَتَّبِعِهِمْ

« يقول: إن شئت أن لاتظن بأحد خيراً فاختر من شئت من هذا الناس،

وكان يحيى بن خالد البرمكي إذا اجتهد في يمينه يقول: لا والذي جعل  
الوفاء أعز ما يرى. وكان يقول: هو أعز من الوفاء. وقالوا: من عامل الناس  
بالمكر كماأوه بالعدو

وكانت العرب إذا غَدَرَ منهم غادر ، يوقدون له بالموسم ناراً  
وينادون عليه! يقولون: أَلَا إِنْ فَلَانًا غَدَرَ ... وقالوا: رَبِّ حَيْلَةَ أَهْلَكَتِ  
المحتال، وقال امرؤ القيس :

أَحَارِ بْنِ عَمْرٍو كَأَنِّي نَخِرُ وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتِمُرُ

« رجل نخر: خالطه الداء، وقوله ويعدو الخ: أراد أن المرء ياتمر لغيره

بسوء فيرجع وبال ذلك عليه » وقال شاعر لا أذكره :

وَكَمْ مِنْ حَافِرٍ لِأَخِيهِ لَيْلًا تَرَدَى فِي حَفِيرَتِهِ نَهَارًا

ومن قولهم في وصف الغادر: فَلَانٌ يَحْسُو الْأَمَانَاتِ حَسْوًا، وفلان

أعذر من الذئب، قال: \* هو الذئب ولذئب أوفى أمانة \*

وقال: \* والذئب يأدو للغزال يأكله \*

« يأدو للغزال: يختله ليأكله، قال الشاعر:

حَنْتَنِي حَانِيَاتِ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَانِلٌ يَأدُو لِصَيْدِ،

ويقال: رَكِبَ فلان السَّخْبَرَ: إذا غدر، قال حسان بن ثابت:

يَا حَارِ مَنْ يَغْدِرُ بِذِمَّةِ جَارِهِ مِنْكُمْ فَإِنْ مُحَمَّدًا لَمْ يَغْدِرِ  
إِنْ تَغْدِرُوا فَالْغَدْرُ مِنْكُمْ شِيمَةٌ وَالْغَدْرُ يَنْبُتُ فِي أَصُولِ السَّخْبَرِ

قال ابن برى: إنما شبه الغادر بالسخبير، لأن السخبير شجر إذا انتهى استرخى رأسه ولم يبق على انتصابه، يقول حسان: أنتم لا تثبتون على وفاء كهذا السخبير الذي لا يثبت على حال، بينما يرى معتدلاً منتصباً، عاد مسترخياً غير منتصب،

وبعد فإنهم على هذا نصحوا بمداراة الناس ما دام الاستغناء عنهم غير مستطاع. قال رجل لابن عباس: ادعُ الله لي أن بُغِينِي عن الناس

فقال: إن حوائج الناس تتصل بعضها ببعض كاتصال الأعضاء، فمتى يستغني المرء عن بعض جوارحه؟ ولكن قل: أعتني عن شرار الناس. وروى:

أن بعضهم كان يطوف ويقول: من يشتري مني بضائع بعشرة آلاف درهم؟ فدعاه بعض الملوك وبذل له المال فقال له: اعلم أن الله لم يخلق خلقاً

شرا من الناس، وإن لم يكن بُدُّ من الناس فانظر كيف تحتاج أن تعامل ما لا بُدَّ منه ولا يغني بك عنه... ثم قال: هل يساوى هذا الكلام

عشرة آلاف درهم؟ قال: دونك المال، ولم يأخذه... وقالوا:

ثلثا التعايش، مداراة الناس. وقال النظم - إبراهيم بن سيار  
أحد شيوخ المعتزلة - : ما يُسْرِنِي تَرْكُ المَدَارَاةِ وَلِي حُمْرُ النِّعَمِ ،

قيل له : لِمَ ؟ قال : لأن الأمر إذا عَشِيكَ فَشَخَّصَتْ له أَرْدَاك ، وإذا طَاطَأَتْ له تَخَطَّاك ... وقال معاوية : لو كان بيني وبين الناس شَعْرَةٌ ما انقطعت ، لأنهم إذا جذبوها أرسلتها ، وإذا أرسلوها جذبتها ... وقال أكرم بن صَيْفِي : الانقباض من الناس مَكْسِبَةٌ للعداوة ، وإفراط الانس مَكْسِبَةٌ لقرناء السوء ، ومن أمثال العرب : لا تَكُنْ حُلُومًا قُتِئِرَتْ وَلَا مُرًّا قُتِلَتْ . « استرطه ابتلعه ، وجاء في كتاب للهند : بعض المقاربة حزم ، وكل المقاربة عجز ، كالحشبة المنصوبة في الشمس ، نَمَالُ فَيَزِيدُ ظِلَّهَا ، وَيُقَرِّطُ فِي الإِمَالَةِ فَيَنْقُصُ الظَّلَّ ... »

وقال الطغرائي في لاميته المشهورة المعروفة بلامية العجم :

وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ      فُظُنُّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ  
غَاضُ الْوَفَاءِ وَفَاضُ الْغَدْرِ وَانْفَرَجَتْ      مَسَافَةُ الْخُلْفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ  
وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا      مِنْ لَا يَعُولُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلٍ

## الأنذال واللتام

اللُّؤْمُ : ضِدُّ الْعِتْقِ وَالْمَكْرَمِ ، وَاللْتِيمُ : الدَّنِيءُ الْأَصْلُ الشَّجِيحُ النَّفْسِ :  
وَالنَّدَالَةُ : الْحِسَةُ وَالسَّفَالَةُ وَرَكَكَةُ الْعَقْلِ وَالتَّأَخُّرُ عَنِ الْمَكَارِمِ ، وَالنَّذَلُ :  
الْحَدِيثُ الْحَقِيرُ الْفَسَلُ الَّذِي لَا مَرْوَةَ لَهُ . وَمِنْ عِبْقَرِيَّاتِهِمْ فِي هَذَا الصَّنْفِ  
مِنَ النَّاسِ قَوْلُ أَبِي الْأَسَدِ نُبَاتَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيِّ - شَاعِرٍ كَانَ مُعَاَصِرًا  
لِأَبِي تَمَّامٍ - .

إِنْ يَبْخُلُوا أَوْ يَجْبُنُوا أَوْ يَغْدِرُوا لَا يَخْفَلُوا

يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَقْعَلُوا

كَأَبِي بَرِاقِشَ كُلِّ لَوْ نَ لَوْهُ يَتَخَيَّلُ

« وَصَفَ قَوْمًا مَشْهُورِينَ بِالْمَقَابِحِ لَا يَسْتَحُونَ وَلَا يَحْتَفِلُونَ بِمَنْ رَأَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ : يَغْدُوا هُوَ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ : لَا يَحْفِلُوا ، لِأَنَّ غَدُوهُمْ مُرَجَّلِينَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَحْزِلُوا . وَالتَّرْجِيلُ : مَشَطُ الشَّعْرِ وَإِرْسَالُهُ . وَأَبُو بَرِاقِشَ طَائِرٌ صَغِيرٌ أَعْلَى رِيشُهُ أَغْبَرُ وَأَوْسَطُهُ أَحْمَرُ وَأَسْفَلُهُ أَسْوَدٌ فَإِذَا انْتَفَشَ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ أَلْوَانًا شَتَّى . وَهَذَا أَبُو بَرِاقِشَ غَيْرُ بَرِاقِشَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي قَوْلِهِمْ : عَلَى أَهْلِهَا دَلَّتْ بَرِاقِشُ ، فَهَذِهِ اسْمُ كَلْبَةٍ لِقَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ أُغْيِرَ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فَهَرَبُوا وَتَبِعْتَهُمْ بَرِاقِشُ فُرِجَعُ الَّذِينَ أَغَارُوا خَائِبِينَ ؛ فَسَمِعَتْ بَرِاقِشَ وَقَعَّ حَوَافِرِ الْحَيْلِ ، فَتَبَحَّتْ فَاسْتَدَلُّوا عَلَى مَوْضِعِ نِبَاحِهَا ، فَتَطَفُّوا عَلَيْهِمْ وَاسْتَبَاحُواهُمْ ، فَذَهَبَتْ تَمَلًّا وَقَالُوا : عَلَى أَهْلِهَا تَجْنِي بَرِاقِشُ ، قَالَ حَمْرَةَ بْنُ بِيضَ :

لَمْ تَكُنْ عَنِ جَنَابِيهِ لِحِقْتَنِي لَا يَسَارِي وَلَا يَمِينِي جَمْتَنِي  
بَلْ جَنَاهَا أَخٌ عَلَى كَرِيمٍ وَعَلَى أَهْلِهَا بَرِاقِشُ تَجْنِي

وقال آخر - وهي من أبيات الحماسة - حماسة أبي تمام :-

أَنَاخَ اللُّؤْمِ وَسَطَ بَنِي رَبَاحٍ مَطِيئُهُ فَأَقْسَمَ لَا يَرِيمُ  
كَذَلِكَ كُلُّ ذِي سَفَرٍ إِذَا مَا تَنَاهَى عِنْدَ غَايَتِهِ يُقِيمُ

« يُقَالُ : أَنْتَحَتُ الْبَعِيرَ قَبْرَكَ ، وَلَا يُقَالُ فَنَاحَ ، وَهَذَا مِنْ بَابِ مَا اسْتَعْنَى عَنْهُ بِغَيْرِهِ ، وَلَا يَرِيمُ : لَا يَبْرَحُ ، وَقَوْلُهُ : كَذَلِكَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِأَنَّ كُلَّ ذِي سَفَرٍ مُبْتَدَأٌ وَمَقِيمٌ خَبْرُهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : رَكَلْتُ مَسَافِرٍ إِذَا مَا انْتَهَى إِلَى غَايَتِهِ يُبَلِّغُ عَصَاهُ كَذَلِكَ ، أَيْ مِثْلَ إِقَامَةِ اللُّؤْمِ فِيهِمْ ، وَقَدْ نَقَلَ الْبُحْثِيُّ هَذَا الْمَعْنَى إِلَى الْمَذْحِ فَقَالَ :

إِذَا مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ نُمُّ لَمْ يَتَحَوَّلِ ،

وقال جرير :

وَكَنْتُ إِذَا نَزَلْتُ بَدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتُ بِحِزْبِيهِ وَتَرَكَتَ عَارَا

وقال :

تَمِيمٌ يُطْرِقُ اللَّؤْمَ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَأَوْ سَلَمَكَتَ سُبُلَ الْمَكَارِمِ صَلَّتْ

وقالوا فيمن لا يصلح لخير ولا شر : فلان أملس ليس فيه مستقر

لخير ولا شر . وقالوا : فلان ما هو برطب فيعصر ولا يابس فيكسر .

وقالوا : شر الناس الذي لا يتوقى أن يراه الناس مسيناً ، وقد تقدم .

وقال الشاعر :

قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوَاءٍ وَجَلُّوا فِي سَوَاءٍ لَمْ يَخْبَأُوا بِأَسْتَارِ

## الظن

وَلِتَفَشَى الْعُدْرَ وَالْمَكْرَ فِي هَذَا النَّاسِ مَدْحُوا الْاِحْتِرَاسَ وَالْحَذَرَ وَسُوءَ

الظَّنِّ بِالنَّاسِ . قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا الْحَزْمُ ؟ قَالَ : سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ . وَقَالَ

الشاعرُ البَيْغَاءُ :

وَأَكْثَرُ مَنْ تَلَقَى يَسْرَكَ قَوْلُهُ وَلَكِنْ قَلِيلٌ مَنْ يَسْرَكَ فَعَلُهُ

وَقَدْ كَانَ حُسْنُ الظَّنِّ بَعْضَ مَذَاهِبِي

فَأَدْبَنِي هَذَا الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ

وقالوا عليك بسوء الظن ، فإن أصاب فالحزم ، وإن أخطأ فالسلامة .

وقال بعضهم : إن قوله تعالى : إن بعض الظن إثم : دلالة على أن جلته

صواب . وقال عبد الملك بن مروان : فرق ما بين عمر وعثمان أن عمر

أساء ظنه فأحكمت أمره ، وأن عثمان أحسن ظنه فأتممت أمره . وقيل



لبعضهم : أسأت الظنَّ ا فقال : إن الدنيا لما اامتسأت مكاره ووجب على العاقل أن يملأها حذرًا ...

ولما رأوا أن الظنَّ هو الغالب على الناس وأنه لذلك يكاد يكون غريزة من الغرائز الإنسانية ، وأن تحقيقه ولا سيما بين الأصدقاء يعد من الإفراط الممقوت ، وأنه لا يليق بمكارم الأخلاق ، ذموه وتعوّه على أهله ، قال تعالى : اجتنبوا كثيراً من الظنَّ إن بعض الظنَّ إثم . وقال سيدنا رسول الله : ثلاثة لا يسلم منهنَّ أحد : الطيرة ، والظنُّ ، والحسد ، قيل : فما المخرج منهنَّ يا رسول الله ؟ قال : إذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا ظننت فلا تحقن ، وإذا حسدت فلا تبغ . . . وقال صلوات الله عليه : إياكم والظنَّ فإن الظنَّ أ كذب الحديث . وقال ابن الأثير في النهاية : أراد : إياكم وسوء الظنَّ وتحقيقه ، دون مبادئ الظنون التي لا تملك وخواطير القلوب التي لا تدفع ، وقيل : أراد : الشكَّ يعرض لك في الشيء فتحققه وتحكم به . وأ كذب الحديث : أي حديث النفس ؛ لأنه يكون بإلقاء الشيطان في نفس الإنسان ، وقال المتنبي :

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُهُ      وَصَدَقَ مَا يَمْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمِ  
وَعَادَى مُحِبِّهِ بِقَوْلِ عِدَاتِهِ      فَأَصْبَحَ فِي دَاجٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ

وقال شاعر :

مَنْ سَاءَ ظَنًّا بِمَا يَهْوَاهُ فَارَقَهُ      وَحَرَضَتْهُ عَلَى إِبْهَادِهِ التَّهْمُ

ومن هنا مدحوا التثبت والتغافل . وترى سائر عقربياتهم في الظن في

باب الطبائع و باب الإخوانيات .

## الشَّماتة

والشَّماتة: الفرح بِيَلِيَّةٍ تَنْزِلُ بِمَنْ تُعَادِيهِ، تقول: شَمِتَ بِهِ بِشَمَتِ شِمَاتَةً وَشِمَاتًا، وَأَشَمَّتُهُ اللهُ بِهِ، وفي القرآن الكريم: فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ... وقد تقدم طَرَفٌ من عبقرياتهم في الشَّماتة بالموت، ومن عبقرياتهم في الشَّماتة مطلقًا قول الفرزدق:

إذا ما الدهرُ جَرَّ عَلَيَّ أَناسِ حِوَادِثُهُ أَنَاخَ بِأَخْرِينَا  
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيْلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا  
وقيل لِأَيُّوبَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّ شَيْءٍ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْكَ فِي بِلَانِكَ؟  
قال شِمَاتَةُ الْأَعْدَاءِ.

## الحَقْدُ

الحِقْدُ - كما جاء في اللسان - : إِمْسَاكُ الْعَدَاوَةِ فِي الْقَلْبِ وَالنَّرْبُصُ لِفُرْصَتِهَا، قال: والحِقْدُ: الضُّغْنُ. قال: وَحَقَّدَ عَلَيَّ يَحْقِدُ حِقْدًا، وَحَقَّدَ - بالكسر - حَقْدًا وَحِقْدًا فَهُوَ حَاقِدٌ؛ فَالْحَقْدُ: الْفِعْلُ، وَالْحِقْدُ: الْأِسْمُ، وَتَحَقَّدَ: كَحَقَّدَ، قال جرير:

يَا عَدْنُ إِنَّ وَصَالَهُنَّ خِلَابَةٌ وَلَقَدْ جَمَعَنْ مَعَ الْبِعَادِ تَحَقَّدًا  
«وبعد، فالِحِقْدُ عَلَيَّ أَنَّهُ خَلَّةٌ لَا تَنْفِقُ وَالنَّبْلَ وَالسُّودَدَ وَمَكَامَ  
الْإِخْلَاقِ فَإِنَّهُ دَلِيلُ الْحَيَوِيَّةِ، وَمَنْ تَمَّ يَكَادُ يَكُونُ خَلَّةً مَرَّةً كَوْزَةً فِي الطَّبَاعِ،  
وَإِذَا كَانُوا قَدْ مَدَّحَوْهُ فَإِنَّمَا يَتَرَامُونَ - كما قلنا - إِلَى أَنَّهُ عُدْوَانُ الْحَيَوِيَّةِ وَأَنَّ  
مَنْ لَا يَحْقِدُ لَا يَشْكُرُ، وَإِذَا هُمْ ذَهَبُوا، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى تَنَاسِيهِ وَأَنَّ  
مِنْ سُمُو الْأَخْلَاقِ أَنْ لَا يَحْمِلَ الْمَرْءُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ، كَمَا قَالَ الْمُقَنَّعُ الْكِنْدِيُّ»

واسمه محمد بن عُمَيْرَة ، وهو شاعر كُنْدِيٌّ إسلاميٌّ (١) ، وكان أحسن الناس  
وَجْهًا فإذا سَفَرَ لَقِيَ ، أى أصابته العين ، فَيَمْرُضُ وَيَأْتِحُّهُ عَنَتٌ ، فكان  
لا يمشي إلا مُقَنَّعًا ، قال من أبيات جيدة تراها في حماسة أبي تمام وغيرها :  
ولا أجمل الحقد القديم عليهم

وليس رئيس القوم من يحمل الحقد

### ذم الحقد ومدحه

أما عبقرياتهم في ذم الحقد : فمن ذلك ما يُروى : أنه قيل للأحنف بن  
قيس : من أسود الناس ؟ فقال الأخرق في ماله المطرح الحقد :  
وقال ابن الرومي يذمه بعد أن مدحه ، كما سيأتي :

يا مادح الحقد مُحتالاً له شهياً      لقد سلكت إليه مسلكاً وعنا (٢)  
لن يقرب العيب زيناً من يزينه      حتى يرد كبيراً عانياً حدنا (٣)

(١) وهو صاحب هذه الايات الجيدة في صاحب السوء :

وصاحبُ السوء كالداءِ العياءِ إذا      ما ارفض في الجوف يجرى هاهنا وهنا  
يلبي ويخبر عن سواتِ صاحبه      وما رأى عنده من صالحِ دفتنا  
كمهبرِ سوءٍ إذا رفعت سيرته      رام الجراح وإن خفضته حرنا  
إن يحيى ذاك فمكن منه بمعزلة      أو مات ذاك فلا تعرف له جننا  
« داء عياء : لا يُبرأ منه ، ورفعت سيرته : حملته على أن يزيد في سرعة

سيره ؛ والجنن - بالتحريك - القبر »

(٢) وعث الطريق : تعسر سلوكه والكلام على المثل

(٣) عانيا : جاوز الحد

إِنَّ الْقَبِيحَ ، وَإِنْ صَنَعْتَ ظَاهِرَهُ      يَعُودُ مَا لَمْ مِنْهُ مَرَّةً شِعْبًا (١)  
 كَمْ زَخَرَفَ الْقَوْلَ ذُو زُورٍ وَلِبْسُهُ      عَلَى الْقُلُوبِ وَلَكِنْ قَلَمًا لَيْسًا  
 قَدْ أَبْرَمَ اللَّهُ أَسْبَابَ الْأُمُورِ مَعًا      فَلَنْ تَرَى سَبِيًّا مِنْهُنَّ مُنْتَكِنًا  
 يَا دَا فِنَ الْحَقْدِ فِي ضِمَقِ جَوَانِحِهِ      سَاءَ الدِّينُ الَّذِي أُمَسَّتْ لَهُ جَدْنَا (٢)  
 الْحَقْدُ دَاءٌ دَرِيٌّ لَا دَوَاءَ لَهُ      يَرَى الصُّدُورَ إِذَا مَا جَرَّهُ حُرْنَا (٣)  
 فَاسْتَشْفِ مِنْهُ بِصَفْحٍ أَوْ مُعَاتَبَةٍ      فَإِنَّمَا يَبْرَأُ الْمَصْدُورُ مَا نَفْنَا (٤)  
 وَاجْعَلْ طِلَابَكَ بِالْأَوْتَارِ مَا عَظُمْتَ

وَلَا تَكُنْ لِضَغِيرِ الْأَمْرِ مُكْتَرِنًا  
 وَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَإِنْ جُرْمٌ      مِنْ نُجْرِمٍ جَرَحَ الْإِكْبَادَ أَوْ قَرْنَا (٥)  
 يَكْفِيكَ فِي الْعَفْوِ أَنَّ اللَّهَ قَرَّظَهُ      وَحَيًّا إِلَى خَيْرٍ مَنْ صَلَّى وَمَنْ بُعِنَا  
 شَهِدْتُ أَنَّكَ لَوْ أَذْنِبْتَ سَاءَكَ أَنْ  
 تَلْقَى أَخَاكَ حَقُودًا صَدْرُهُ شِرْنَا (٦)

(١) شعيت : منتشر مفرق

(٢) الجدت : القبر

(٣) حرث : هيج ، ويرى الصدور : يأكلها

(٤) المصدور : الذي يشتكى صدره ، وما في قوله : ما نفشا مصدرية ، ونفت : رمى بالنفائة وهو ما يلقى المصدور من فيه وفي المثل : لا بد للمصدور أن ينفث وقد يستعار ذلك للبعاني كما هنا وكما ورد أن بعضهم قال لشاعر : متى تقول هذا الشعر ، فقال : أو يستطيع المصدور أن لا ينفث ! أي لا يبرق ، شبه الشعر بالنفث لأنهما يخرجان من الفم .

(٥) القرث : تفثيت الكبد بالغم والأذى

(٦) الشرث ههنا : الغليظ الخشن ، من شرث الكف غلظ وتشقق ، والشرث

أيضا : الخاق البالي من كل شيء . فلعله من هذا أيضا .

إِذَنْ وَسَرَكَ أَنْ يَدْسَى الذُّنُوبَ مَعًا      وَأَنْ تُصَادِفَ مِنْهُ جَانِبًا دَمِينًا  
 إِنِّي إِذَا خَلَطْتُ الْأَقْوَامَ صَالِحَهُمْ      بِسَيِّئِ الْفِعْلِ جِدًّا كَانَ أَوْ عَيْنًا  
 جَعَلْتُ صَدْرِي كَقَرْفِ السَّبَّكِ حِينْتِي      يَسْتَخِصُّ الْفِضَّةَ الْبَيْضَاءَ لَا الْخَبِيثَا  
 وَلَسْتُ أَجْعَلُهُ كَالْحَرِيضِ أَمْدُحَهُ      بِحِفْظِ مَا طَابَ مِنْ مَاءٍ وَمَا خَبِيثَا

وقال يمدح الحقد:

حَقَّدْتُ عَلَيْكَ ذَنْبًا بَعْدَ ذَنْبٍ      وَلَوْ أَحْسَلْتَ كَانَ الْحِقْدُ سُكْرًا  
 أَدِيمِي مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَاعْلَمْ      أُسِيءَ الرَّيْعُ حِينَ تُسِيءُ بَذْرًا  
 وَلَمْ تَكْ، يَا لَكَ الْخَيْرَاتُ، أَرْضُ      لِتُزْرَعَ خَرْبَقًا فَتُرَيَّعَ بُرًّا  
 أَوْدَى إِنْ فَعَلْتَ الْخَيْرَ خَيْرًا      إِلَيْكَ وَإِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ شَرًّا  
 وَلَسْتُ مُكَافَأًا بِالذُّكْرِ عُرًّا      وَلَسْتُ مُكَافَأًا بِالْعُرْفِ نُكْرًا  
 يُسَمَّى الْحِقْدُ عَيْبًا وَهُوَ مَدْحٌ      كَمَا يَدْعُونَ حُلْوَ الْحَقِّ مُرًّا

« الخزبيق: نبات كالشَّمِّ ورقه أبيض وأسود، والبر: القمع »

وأراد يحيى بن خالد بن برمك وزير الرشيد أن يضع من عبد الملك ابن صالح فقال له: يا عبد الملك بلغني أنك حقوقد فقال عبد الملك: أيها الوزير، إن كان الحقد هو بقاء الخير والشر إنهما لباقيان في قلبى، فقال الرشيد: ما رأيت أحداً احتج للحقد بأحسن مما احتج به عبد الملك وقال ابن الرومي يمدح الحقد أيضاً وقد عابه عاب:

لَيْنَ كُنْتَ فِي حِفْظِي لِمَا أَنَا هُوَدَّعُ

من الخير والشر انتحيت على عرضي

لِمَا عِبْتَنِي إِلَّا بِفَضْلِ إِبَانَةٍ      وَرُبَّ أَمْرِي يُزْرِي عَلَى خُلُقِي مَحْضِ  
 وَلَا عَيْبَ أَنْ تُجْزَى الْقُرُوضُ بِمِثْلِهَا      بَلِ الْعَيْبُ أَنْ تَدَانَ دِينًا وَلَا تَقْضَى

وخَيْرُ سَجِيَّاتِ الرِّجَالِ سَجِيَّةُ  
 إِذَا الْأَرْضُ أَدَّتْ رَيْعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ  
 تُوْفِيكَ مَا تُسَدِّي مِنَ الْقَرْضِ بِالْقَرْضِ  
 مِنَ الْبَذْرِ فِيهَا فَهِيَ نَاهِيكَ مِنْ أَرْضٍ  
 وَلَوْلَا الْحُقُودُ الْمُسْتَكْنَاتُ لَمْ يَكُنْ  
 لِيَنْقُضَ وَتَرَأَ آخِرَ الدَّهْرِ ذُو نَقِيضٍ  
 وَمَا الْحَقْدُ إِلَّا تَوَامُّ الشُّكْرِ فِي الْفَتَى  
 وَبَعْضُ السَّجَايَا يَمْتَهِنُ إِلَى بَعْضٍ  
 فَحَيْثُ تَرَى حَقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ  
 فَتَمَّ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَرْضِ  
 وَفِي هَذَا الْقَدْرِ مِنْ عِبْقَرِيَّاتِهِمْ فِي الْحَقْدِ كِفَايَةٌ. وَتَرَى فِي بَابِ الطَّبَائِعِ  
 مَا يَنْفَعُ غُلَّتِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

### الحسد

الْحَسَدُ وَقَانَا اللَّهُ شَرٌّ — دَاءٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ الْمَتَّاصِلَةِ الْخَبِيثَةِ الشَّامِتَةِ فِي  
 هَذَا النَّاسِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ رَبُّكَ ، قَالَ عَلِيٌّ أَوْنَا: الْحَسَدُ : أَنْ يَرَى الرَّجُلُ لِأَخِيهِ  
 نِعْمَةً فَيَتَمَنَّى أَنْ تَزُولَ عَنْهُ وَتَكُونَ لَهُ دُونَهُ ، أَمَا الْغَبْطُ أَوْ الْغَبْطَةُ فَهِيَ :  
 أَنْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُهَا وَلَا يَتَمَنَّى زَوَالَهَا عَنْهُ ، وَهِيَ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ  
 الْإِزْهَرِيُّ - : ضَرْبٌ مِنَ الْحَسَدِ ، وَلَكِنهَا أَخْفُفَ مِنْهُ ، قَالَ : أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سُئِلَ : هَلْ يُضُرُّ الْغَبْطُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، كَمَا يُضُرُّ الْخَبْطُ  
 فَأَخْبَرَ أَنَّهُ ضَارٌّ وَلَيْسَ كَضَرِّ الْحَسَدِ الَّذِي يَتَمَنَّى صَاحِبُهُ زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْ  
 أَخِيهِ ، وَالْخَبْطُ : ضَرْبٌ مِنْ رِيقِ الشَّجَرِ حَتَّى يَتَحَاتَّ عَنْهُ ثُمَّ يَسْتَخْلَفُ مِنْ غَيْرِ  
 أَنْ يُضُرَّ ذَلِكَ بِأَصْلِ الشَّجَرَةِ وَأَغْصَانِهَا

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ...

قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْضاوِيُّ : مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ : أَيُّ مَنْ

الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ كَالْجَاهِ وَالْمَالِ ، قَالَ : لَا تَتَمَنَّوْهُ . فَلَعَلَّ عَدَمَهُ خَيْرٌ ، قَالَ :

والمقتضى للنع كونه ذريعةً إلى التحاسد والتعادي مُعْرِبَةً عن عدم الرضا بما قَسَمَ اللهُ له ، وأنه أَشْبَهَ لحصول الشيء له من غير طلب ، وهو مذموم لأن تَمَنَّى ما لم يُقَدَّر له معارضة لحكم القدر وتَمَنَّى ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال ؛ وقد نعى اللهُ في غير ما آية على أولئك الذين يحسدون الناس على ما آتاهم اللهُ من فضله »

وفي الحديث : لا حسدَ إلا في اثنتين : رجل آتاه اللهُ مالا فهو ينفقه آتاء الليل وأطراف النهار ، ورجل آتاه اللهُ قرآناً فهو يتلوه ... قال الإمام الأزهري : هو أن يتمنى الرجل أن يرزقه اللهُ مالا يُنْفِقُ منه في سبيل الخير أو يتمنى أن يكون حافظاً لكتاب الله فيتلوه آتاء الليل وأطراف النهار ، ولا يتمنى أن يُرْزَأَ صاحب المال في ماله أو تالى القرآن في حفظه . وقال ثعلب : معناه ليس حسد لا يضر إلا في اثنتين ، أقول : ومعنى ذلك أن كل حسد ضار إلا في هاتين أى أن حسد صاحب المال ينفقه في سبيل الخير وحافظ القرآن يتلوه ، غير ضار ، لأن هذين على سبيل سواء يستحقان معه أن يُحْسَدَا ، أى أن يُغْبَطَا ...

وقال حكيم : الحسد من تعادي الطبائع واختلاف التركيب وفساد مزاج البنية وضعف عقْد العقل . والحاسد طويل الحسرات .

وقال حكيم : الحسد جرحٌ لا يبرأ ، وحَسْبُ الحسود ما يَلْتَقِي . وقال الحسن البصرى : يا ابن آدم ، لِمَ تَحْسُدُ أخاك ؟ إن كان اللهُ أعطاه لكرامته عليه ، فليَمَّ تَحْسُدُ مَنْ أكرمه اللهُ ؟ وإن كان غير ذلك فليَمَّ تَحْسُدُ مَنْ صَيَّرَهُ إلى النار أو في الأثر : الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، وقال على بن أبى طالب : ما رأيت ظالماً أشبهَ بمظلوم من الحاسد ، نَفَسَ دائمٌ ،

وعقل هائم، وحزنٌ لازم، وقالوا: الحسود لا يسود... قال رَوْحُ بن زَبَاعِ الجُدَيْمِيُّ: كُنْتُ أَرَى قَوْمًا دُونِي فِي الْمَنْزِلَةِ عَنِ السَّاطَانِ يَدْخُلُونَ مَدَائِلَ لَا يَدْخُلُهَا، فَلَمَّا أَذْهَبْتُ عَنِ الْحَسَدِ دَخَلْتُ حَيْثُ دَخَلُوا... وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: أَقَلُّ مَا لَتَارَكَ الْحَسِدُ فِي تَرْكِهِ أَنْ يَصْرِفَ عَنِ نَفْسِهِ عَذَابًا لَيْسَ بِمُذْرِكٍ بِهِ حِطًّا وَلَا غَائِظَ بِهِ عَدْوًا، فَإِنَّمَا لَمْ تَرَ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمُظْلَمٍ مِنَ الْحَاسِدِ، طُولُ أَسْفٍ، وَمُحَالَفَةُ كِتَابِهِ وَشِدَّةُ تَحْرِيقِ، وَلَا يَبْرَحُ زَارِيًا عَلَى نِعْمَةِ اللَّهِ وَلَا يَجِدُ لَهَا مَرَاةً، وَيُكَدِّرُ عَلَى نَفْسِهِ مَا بِهِ مِنَ النِّعْمَةِ فَلَا يَجِدُ لَهَا طَعْمًا وَلَا يَزَالُ سَاخِطًا عَلَى مَنْ لَا يَبْرَحُ ضَاهٍ وَمُتَسَخِّطًا لِمَا لَنْ يَبَالَ فَوْقَهُ، فَهُوَ مُنْقَضُ الْمَعِيشَةِ دَائِمٌ السَّخَطِ مَحْرُومٌ الطَّلِبَةِ، لِأَنَّ قِيمَةَ لَهُ يَقْنَعُ وَلَا عَلَى مَا لَمْ يُقْسَمَ لَهُ يَغْلِبُ؛ وَالْحَسُودُ يَتَقَابُ فِي فَضْلِ اللَّهِ مُبَاشِرًا لِلشَّرِّ مُنْتَفِعًا بِهِ مُهَلًّا بِهِ إِلَى مُدَّةٍ وَلَا يَقْدِرُ النَّاسُ لَهَا عَلَى قَطْعٍ وَاتِّقَاصٍ... وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أُنَاحُ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ  
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ  
لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَائِبِ لَمْ تَزَلْ لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْحَسُودِ  
وَقَالَ الْبَحْرِيُّ:

وَلَنْ يَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعُ نِعْمَةٍ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ  
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِ:

أَصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحَسُودِ دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ  
فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ أَيْضًا: الْحَسَدُ وَالْحِرْصُ دَعَامَتَا الذُّنُوبِ، فَالْحِرْصُ أَخْرَجَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْحَسَدُ نَقَلَ إِبْلِيسَ مِنْ جِوَارِ اللَّهِ تَعَالَى



وقال الجاحظ: من العدل المحض والإنصاف الصريح - الخالص - أن تحط عن الحاسد نصف عقابه ، لأن ألم جسمه قد كفاك دونه شطر غيظك ؛ وللجاحظ رسالة مطولة في الحسد تراها في رسالته  
 وقيل للحسن البصرى : أَيْحَسُّدُ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ ؟ قال : لا أبالك ،  
 أَنَسِيتَ إِخْوَةَ يَوْسُفَ ؟ وقالوا : الحسود غَضِبَانُ عَلَى الْقَدْرِ ، وَالْقَدْرُ لَا يُعْتَبَرُ - أى لا يزال عتبه : أى لا يرضيه - أخذ هذا المعنى منصور الفقيه فقال :

أَلَا قَلْ لِمَنْ بَاتَ لِي حَاسِدًا أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَاتِ الْأَدَبِ  
 أَسَاتِ عَلَى اللَّهِ فِي فِعْلِهِ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ  
 وقال معاوية : كل الناس يمكننى أن أرضيه ، إلا الحاسد الذى لا يردّه  
 إلى مودتى إلا زوال نعمتى . وقال المتنبى :

سِوَى وَجَعِ الْحَسَادِ دَاوٍ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ بِحَوْلٍ  
 وقال آخر :

كُلُّ الْعِدَارَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَانَتُهَا إِلَّا عِدَارَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسِدٍ  
 ويقال : إذا أراد الله أن يسلط على عبده عدواً لا يرحمه ساط علىه  
 حاسداً ... وقال العنبي - وذكر ولدُ الذين ماتوا - :

وحتى بكى لى حُسادهم وقد أترعوا بالدموع العيوننا  
 وحسبك من حادثٍ بامرئٍ يرى حاسديه له راحميننا  
 وقالوا : مَنْ دَعَمَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى تَرْكِ الدُّنْيَا فَلْيَنْظُرْ : هَلْ يَحْسُدُ أَحَدًا ، فَإِنْ  
 حَسَدَ كَانَ تَرْكُهُ عَجْزًا ، لِأَنَّهُ لَوْ زَهَدَ فِيهَا مَا حَسَدَ عَلَيْهَا  
 وقال البحرى :

مُسْتَرِيحُ الْأَحْسَاءِ مِنْ كُلِّ ضِغْنٍ بَارِدُ الصَّدْرِ مِنْ غَلِيلِ الْحَسُودِ

وقيل لسفيان بن معاوية : ما أسرع حسدَ الناس إلى قومك ا فقال :  
إن العرائين تلقاها مُحَسَّدَةً ولا ترى للناس حَسَاداً<sup>(١)</sup>

وقال آخر :

وترى اللبيب مُحَسَّداً لم يجترِمُ شتمَ الرجال وعِرضُهُ مَشْتَوُمُ  
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقومُ أعداءُ له وخصومُ  
كضرائر الحسناء قُنان لوجهها حسداً وظلماً : إنه لدميمُ

وقال آخر :

إن تحسدوني فإني لا ألومكم

قَبلي مِنَ الناسِ أهلُ الفضلِ قد حَسَدُوا

فدام لي ولهم مابى وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يجسدُ  
أنا الذى تجِدُونى فى حلوقكمُ لا أرتقى صدراً عنها ولا أريدُ<sup>(٢)</sup>

وخطب الحجاج يوماً برُستُقْبَاز بقولِ سُوَيْدِ بنِ أبى كاهل - شاعر

جاهلى إسلامى - :

كيف يرجون سقاطى بعد ما جَلَلَّ الرأسُ بياضُ وصاعُ  
رُبَّ من أنضجتُ غيظاً صدره قد تمنى لى موتاً لم يُطعُ  
ويرانى كالشجى فى حلقه عِيراً مخزجه ما يُنتزعُ  
مُزِيداً يخطُرُ ما لم يرنى فإذا أسمعته صوتى انقمعُ

(١) عرائين القوم : سادتهم وأشرفهم . وأصل العرائين الانف حيث يكون فيه

الشم يقال : هم شم العرائين

(٢) لا أرتقى صدراً ولا أريد : أى فأنا كالشجى الدائم الذى لا منجاة لأعدائى منه

لم يَضُرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي

فَهُوَ يَزُقُّوْهُ مِثْلَ مَا يَزُقُّوْهُ الضُّوْعُ (١)

وَيُحَيِّنِي إِذَا لَا قَيْتَهُ وَإِذَا يَخْلُوْهُ لِحْيِ رَتَعِ

قَدْ كَفَانِي اللهُ مَا فِي نَفْسِهِ وَإِذَا مَا يَكْفِيْ شَيْئًا لَا يُضَعُ

وقال ابن الرومي لصاعد بن مخلد:

وَصِدِّ لَكُمْ لَا زَالَ يَسْفُلُ جَدُّهُ وَلَا بَرِحَتْ أَنْفَاسُهُ تَتَصَعَّدُ (٢)

يرى زَبْرَجَ الدُّنْيَا يُزْفُ إِلَيْكُمْ

وَيُغْضِيْ عَنْ اسْتِحْقَاقِكُمْ فَهُوَ يُفَادُ (٣)

ولو قاس باستحقاقكم ما منحتهم لأطفأ نارا في الحشا توقد

وَأَنْقُ مِنْ عِقْدِ الْعَقِيْلَةِ جِيْدَهَا وَأَحْسَنُ مِنْ سِرْبَالِهَا الْمُتَجَرِّدُ (٤)

وقال الأصمعي: رأيت أعرابياً قد أتت له مائة وعشرون سنة،

فقلت له: ما طول عمرك؟ فقال تركت الحسد فبقيت. وكانوا يقولون:

سِتَّةٌ لَا يَخْلُونَ مِنَ الْكَاثِبَةِ: رَجُلٌ افْتَمَرَ بَعْدَ غَيِّ، وَغَيٌّ يُخَافُ عَلَى مَا إِيهِ النَّوَى

— الهلاك والضياع — وحقود، وحسود، وطالب مرتبسة لا يبلغها قدره

ومخاطب الأدباء بغير أدب.

ومن ألفاظهم في وصف الحسد: قد دَبَّتْ عِقَارِبُ الْحُسْدِ، وَكَمَنْتْ

(١) زقا الديك والطار ونحوهما: صاح، وكذلك الصبي إذا اشتد بكأوه، والضوع

طائر من طير الليل إذا أحس بالصباح صدح

(٢) جدده: حظه

(٣) يفاد: يحرق فواده

(٤) يقول: إن جيد العقيلة أجمل من العقد الذي يظن أنه يزبته، والمتجرد -

أي الجسم العريان - أجمل من السربال، وهو القميص

أَفَاعِيهِمْ بِكُلِّ مَرَبَّدٍ: فُلَانٌ قَدْ وَكَلَّ بِي لِحْطًا يَنْتَضِلُ بِأَسْهُمِ الْحَسَدِ ...

\*\*\*

ومن وصاياهم في باب الحذر من الأعداء الحسد قول أعرابي يعظ رجلاً: وَيَحْكُ ، إن فلانا وإن ضحك إليك ، فإنه يضحك منك ، وأن أظهر الشفقة عليك ، إن عقابه لتسرى إليك ، فإن لم تتخذهُ عَدُوًّا فِي عِلَانِيَتِكَ فَلَا تَجْعَلْهُ صَدِيقًا فِي سِرِّيَتِكَ ...

وَحَذَّرَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ صَدِيقًا لَهُ تَحَبُّهُ رَجُلًا ، فَقَالَ : احْذَرْ فُلَانًا ، فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْمَسْأَلَةِ ، حَسَنُ الْبَحْثِ ، لَطِيفُ الْاسْتِدْرَاجِ يَحْفَظُ أَوَّلَ كَلَامِكَ عَلَى آخِرِهِ ، وَيَعْتَبِرُ مَا أَخْرَجْتَ بِمَا قَدَّمْتَ ، فَلَا تُظَاهِرَنَّ لَهُ الْخَافَةَ فَيَرَى أَنَّكَ قَدْ تَحَرَّزْتَ . وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ بَقَاةِ الْفِطْنَةِ إِظْهَارَ الْغَنَلَةِ مَعَ شِدَّةِ الْحَذَرِ . فَإِنَّهُ مُبَاهَاةُ الْأَمْنِ ، وَتَحْفَظُ مِنْهُ تَحْفَظُ الْخَائِفَ . فَإِنَّ الْبَحْثَ يُظَاهِرُ الْخَفِيَّ الْبَاطِنَ ، وَيُبْدِي الْمُسْتَكِنَ الْكَامِنَ .

هذا ، وقد عقد الإمام الغزالي للحسد باباً زاخراً في كتابه الإحياء حال فيه على طريقته هذا الداء - داء الحسد - وبين أسبابه وأعراضه وعلاجه ولماذا كان شائعاً بين الأقران والإخوة والأقارب فارجع إليه إذا أردت التوسع في هذا الباب ، ولنختر منه هذه الحكاية الطريفة ، قال : كان رجل يغشى بعض الملوك ، فيقوم بحذاء الملك فيقول : أَحْسِنُ إِلَى الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ ، فَإِنَّ الْمُسِيءَ سَيَكْفِيكَ إِسَاءَتَهُ ، فَحَسَدَهُ رَجُلٌ عَلَى دَنَا الْمَقَامِ ، وَذَلِكَ الْكَلَامُ ، فَسَعَى بِهِ إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الَّذِي يَقُومُ بِحِذَائِكَ وَيَقُولُ مَا يَقُولُ ، زَعَمَ أَنَّ الْمَلِكَ أَبْخَرُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ يَبْصُحُ ذَلِكَ عِنْدِي ؟ قَالَ تَدْعُوهُ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ إِذَا دَنَا مِنْكَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى أَنْفِهِ لِكَلِّ يَشْمُ رِيحَ الْبَخْرِ ، فَقَالَ لَهُ :

أنصرف حتى أنظر ، فخرج من عند الملك ، فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم ، فخرج الرجل من عنده ، وقام بجذاء الملك على عادته ، فقال : أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه إساءته ، فقال له الملك : آذن مني ، فدنا منه ووضع يده على فيه ، مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه : ما أرى فلاناً إلا قد صدق ، وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلّة ، فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل من عماله : إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه وأسلخه وأحش جلدته تبناً وبعث به إليّ ، فأخذ الكتاب وخرج ، فلقى الرجل الذي سعى به فقال : ما هذا الكتاب ؟ قال : خط الملك لي بصلّة ، فقال : هبه لي ، فقال : هولاك ، فأخذه ومضى إلى العامل ، فقال العامل : في كتابك : أن أذبحك وأسلخك ، قال : إن الكتاب ليس هو لي ، فآله الله في أمرى حتى تراجع الملك ، فقال : ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وساخه وحشا جلدته تبناً وبعث به ، ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته ، وقال مثل قوله ، فعجب الملك وقال : ما فعل الكتاب ؟ فقال : لقيني فلان فاستوهبه مني ، فوهبته له ، قال الملك : إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر ، قال : ما قلت ذلك ، قال : فلم وضعت يدك على فيك ؟ قال : لأنه أطعمني طعاماً فيه ثوم ، فكرهت أن تشمه ، قال : صدقت ، ارجع إلى مكانك فقـ كفي المسيء إساءته ... ومثل هذه الحكايات كثير ويصح أن توضع في باب السعاية والمسكر ، وناقبة الماكرين .

« وبعد » فإن ما نورده ههنا من عقرباتهم في الحسد والحقد وما إليهما إنما هو قليل من كثير تراه في باب الطبائع وإنما نورد ما نورد من هذه العقريات لتستوفي باب العداوات ..

## المزاح

ولأن المزاح في الكثير الأعم الأغلب مدرجة بغضاء رأينا أن  
نورد هنا صدرا من عبقرياتهم فيه .

قال الزبيدي شارح القاموس : المزاح : المباشطة إلى الغير على جهة  
التأطف والاستعطاف دون أذية ، حتى يخرج الاستهزاء والسخرية . قال :  
وقد قال الأئمة : الإكثار منه والخروج عن الحدِّ يُحِلُّ بالمروءة والوقار ،  
والتنزه عنه والتقبضُ مُحِلُّ بالستة .

ويقال : مزح يمزحُ مزحا ومزاحا ومزاحة ، وقد مازحهُ مَازَحة  
ومزاحا ، والاسمُ المزاحُ بالضم والمزاحةُ أيضا :

## نهيهم عن المزاح

جاء في الأثر : إياك والمزاح فإنه يذهبُ بيهائمِ المؤمنين ويسقطُ  
مروءته ويَجْرُ غَضَبَه .

وقالوا : المزاحُ مجلبةٌ للغضاءِ مثلبةٌ للبهائمِ <sup>(١)</sup> ، تقطعةٌ للإخاء .

وقالوا : المزاحُ أوله فرحٌ وآخره ترحٌ ، وهو نقائضُ السفهاءِ مثلُ  
نقائضِ الشعراءِ . <sup>(٢)</sup>

وقالوا : لا تمازحُ صغيرا فيجتريَ عليك ، ولا كبيرا فيحقدَ عليك

(١) مثلبة : منقصة ومسبة

(٢) القبيضة في الشعر : ما ينقض به والجمع النقائض ومن ثم قالوا : نقائض  
جرير والفرزدق ، وأصل النقض : إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء ومنه المماقضة في  
القول وهو أن ينقض الآخر ما قاله الأول

وقال مسعرُ بنُ كِدام لابنه :

ولقد حَبَوْتُكَ يا كِدامُ نصيحتي فاسْمَعْ لِقَوْلِ أبِ عَليكَ شَفِيقِ  
أما المِزاحَةُ والمِراءُ فدَعَهُما خُلُقانِ لا أَرْضاهُما لِصَدِيقِ<sup>(١)</sup>  
ولقد بَلَوْتُهُما فلم أَحْمَدُهُما لِمُحاورِ بَجارِ ولا لِرفِيقِ  
وقالوا: المِزاحُ سِبابُ النِّوَكِ<sup>(٢)</sup>

وقال عُمرُ بنُ عبدِ العَزيزِ: لا يَكُونُ المِزاحُ إلا من سَخَفٍ أو بَطَرٍ.  
وقالوا: الغابُ فيه وارِثٌ. والمِغلوبُ نائِرٌ. وقال أبو نَواسٍ:  
رُبِّما اسْتُفْتِحَ بالمِزحِ مِغاليقُ الحِمامِ

### حمدهم القصد في المزح ومُزاحُ الأماثل

جاء في الأثر: إني لا مِزحُ ولا أقولُ إلا حقا ...

ومن مُزاحِه صلوات اللهُ مارُوى: أن عِجوزاً من الأَنصارِ أتتهُ فقالت:  
يا رسولَ اللهِ، ادْعُ لي بالمِغفرةِ، فقال: أمّا عَلِمْتِ أنَّ الجَنَّةَ لا يَدْخُلُها  
العَجَّازُ اِفْصَرَختُ، فتبسم رسولُ اللهُ وقال: أمّا قرأتِ القرآنَ؟ «إنا  
أنشأناهُنَّ إنشَاءً فَجَعَلناهُنَّ أَبكاراً عَرُباً أتراباً،<sup>(٣)</sup>

وأنتبهُ أخرى في حاجةٍ لزوجها فقال لها: وَمَنْ زَوْجُكِ؟ فقالت:  
فلانُ، فقال لها: الذي في عَينِه بياضُ؟ فقالت: لا، فقال: بَلى، فأَصْرَفَتْ  
عَجلَى إلى زوجها، وجعلت تَتأملُ عَينِيه، فقال لها: ماشَأُ نِكَ؟ فقالت:

(١) المراء: الجدال وترى عبقرياتهم في المراء في كتاب العلم والأدب

(٢) الحق (٣) عرب جمع عرب وهي المرأة الحسنة المتحبة إلى زوجها

المطبعة له، أو العاشقة، أو المعتلة، أو الغنجة. والأتراب: الأماثل

أخبرني رسول الله أن في عيدك بيضا ، فقال : أما ترين بياض عيني  
أكثر من سوادهما !

وقال صلوات الله عليه لُبَيْبٍ كَانَ لِأَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَكَانَ لَهُ  
نُغْرٌ<sup>(١)</sup> فَتَات : مَا قَعَلَ النُّغَيْرُ يَا أَبَا عُمَيْرٍ ؟

وقالوا : النَّاسُ فِي سَبِينٍ مَا لَمْ يَتَمَازَحُوا .

وقال رجلٌ لِأَبِي عُيَيْنَةَ . الْمُرَاحُ سُبَّةٌ ، فَقَالَ : بَلِ سُنَّةٌ لِمَنْ يُحْسِنُهُ .

يَا سَاعِي فِي مَجُونِي قَدْ طَبْتُ فِيكَ وَطَبْتُ

إِنِّي إِذَا ضَاقَ صَدْرِي قَطَمْتُ بِالسُّخْفِ وَقَتِي

وقال سعيد بن العاص لِأَبْنَيْهِ : أَقْتَصِدْ فِي مِرَاحِكَ فَالْإِفْرَاطُ فِيهِ يَذْهَبُ

الْبَهَاءُ وَيُجَرِّئُ عَلَيْكَ السُّفْهَاءَ ، وَتَرَكُهُ يَقْبِضُ لِلْوَارِسِينَ وَيُوحِشُ الْمُخَاطِبِينَ

### نهيهم عن الغضب في المزح

قال ابن سيرين : ليس من حُسنِ الخُلُقِ الغُضبُ من المَزْحِ

### الممدوح بأن فيه الجِدُّ والهزل

قال شاعر :

أخو الجِدِّ إِنْ جَادَدْتَ أَرْضَاكَ جِدَّهُ

وَدُوٌّ بَاطِلٌ إِنْ شَدَّتْ أَلْهَاكَ بَاطِلُهُ

وقال أبو تمام :

الجِدُّ شِيَمَتُهُ وَفِيهِ فُكَاهَةٌ سُجِّحٌ وَلَا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ<sup>(٢)</sup>

(١) النغر : البلب (٢) السجح : اللين السهل



عذر من يضحك وهو محزون

❖ وقد يَضْحَكُ المَوْتورُ وهو حزين ❖

وقال آخر :

ورُبَّمَا ضَحِكِ المَكْرُوبِ من عَجِبِ السَّنِّ أَضْحَكُ والأَحْشَاءُ تَضْطَرِّمُ

نهيهم عن كثرة الضحك

في الآثار : إِيَّاكَ وكثرة الضحكِ فَإِنَّهَا تُمَيِّتُ القلبَ وتُورِثُ اللسيانَ .  
وفيه أيضاً : وَيَلُلهُ الذي يُحَدِّثُ فيكَ كَذِبُ لِيُضْحِكَ به القومُ ،  
وَيَلُلهُ ، وَيَلُلهُ .

وقال عمرُ بن الخطاب : مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ

وقال علي : إذا ضحك العالم ضحكةً مَجَّ من العِلْمِ بَجَّةً .

وقالوا : كثرة الضحك تُورِثُ الرُّعونةَ .

وقيل لأبي العيَّان : فلانُ يضحكُ منك ا فقال : إن الذين أجزموا

كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وهذا من الأجوبة المسكتة ، وكان

أبو العيَّان ذا نوادر .

إيراد جدِّ في مسلك هزل

قال خالد بن صفوان : رَماني بأصلبَ من الجندل ، ونَشَقني بأحرَّ من

الخردل ، ثم قال إني أمازحك !

لي صاحبٌ ليس يخلو لسانه من جراحی

يُجِدُّ تمزيقَ عرضي على سبيل المزاح

## صدر من عبقرياتهم في الغيبة والنميمة

ولأن الغيبة والنميمة مدرجتان غالباً للعداء بادرنا بإيراد صدر من عبقرياتهم في هاتين الخلتين الذميتين .

### حقيقة الغيبة والنميمة

الغَيْبَةُ الاسم من الاغتيال وهو : أن يتكلم خلفَ إنسانٍ مَسْتُورِ بِسُوءٍ أو بما يَفْهَمُه لو سمعته وإن كان فيه ، فإن كان صدقاً فهو غَيْبَةٌ وإن كان كذباً فهو البُهْتُ والبُهْتَانُ . كذلك جاء عن سيدنا رسول الله صلوات الله عليه . وقال بعضُ الفقهاء : الغَيْبَةُ : أن تذكرَ الإنسانَ بما فيه من العيب غير أن تُحَوِّجَ إلى ذلك ، وفي هذا احترازٌ مما يقوله الشاهد عند الحاكم . والنميمة : نقلُ الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر ، ونمَّ الحديثُ يَنْمُوهُ وَيَنْمُوهُ نَمًّا : نقله ، والاسمُ النَمِيمَةُ ؛ والنَّمْتُ : نَمَامٌ ، ويقال للنمَّامِ : القَتَاتُ يقال : قَتَّ : إذا مشى بالنميمة ، ويقال له : قَتَّاسٌ ودرَّاجٌ وغَمَّازٌ وهَمَّازٌ ومَمَّاسٌ .

### ذم الغيبة والنميمة

قال الله جل شأنه : وَلَا يَغْتَبِ بَمَعْضِكُمْ بِمَعْضًا ، يُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ نَيْمًا فكَرِهْتُمُوهُ . « قوله سبحانه : يُحِبُّ أَحَدَكُمْ ... الآية تمثيلٌ وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أنظع وجهه وأخفشه ، قال الإمام الزمخشري : وفيه مُبَالَغَاتٌ شتى : منها الاستهزام الذي معناه التقرير ، ومنها جعلُ ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة ، ومنها إسنادُ الفعل إلى

أجدمك والإشعار بأن أحداً من الآخدين لا يحب ذلك ، ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخصاً ، وحتى جعل الآخ ميتاً . قال قتادة : كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها فآكره لحم أخيك وهو حي .

وفي الحديث : « إن الغيبة أشد من الزنا » قيل : كيف ذلك ؟ قال : « لأن الرجل يزني فيتوب ، فيتوب الله عليه ، وصاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه ، وفي الحديث المرفوع : أن امرأتين صامتا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وجعلتا تغتابان الناس فأخبر النبي بذلك فقال : صامتا عما أحل لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما . واغتاب رجل رجلاً عند قتيبة بن مسلم فقال قتيبة : أمسك أيها الرجل ، فوالله لقد تسلطت بمضغة طالما لفظها الكرام .

وقال علي بن الحسين رضي الله عنه : إياك والغيبة فإنها إدام كلاب النار « وهذا تمثيل جميل ، وقال الشاعر :

لا تهتكن من مساوي الناس ما سترتوا      فيهتك الله ستراً من مساويك  
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا      ولا تعب أحداً منهم بما فيك  
وقالوا : الغيبة مرمى اللثام وجهد العاجز .

وقال تعالى « همازي مشاء بنميم »

وقال سيدنا رسول الله : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفقن إلينا عورة أخيه المؤمن ... وقال صلى الله عليه وسلم : لا يراخ القنات رائحة الجنة . والفتات : النمام ،

من سمحت نفسه بأن يكون في حلِّ

ومن لا تسمح نفسه

كان أبو الدرداء رضى الله عنه إذا خرج يقول : اللهم إني قد تصدقتُ  
بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ .

وقال كثيرُ عزة :

هَيْئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ  
« خاتمه الداء : خالط جوفه »

وقيل لرجل : فلان شتمك واغتابك ، فقال : هو في حلِّ . فقيل : أتجملُ  
مِنْ اغْتَابِكَ وَبِهِ يَنْفُلُ مِيزَانُكَ ؟ فقال : لأحب أن أتقبل ميزاني  
بأوزار إخواني .

وقال رجل لابن سيرين : قد نأتُ منك فاجعلني في حلِّ ، فقال : لأحلِّ  
ما حرم الله عليك . أما ما كان إلى فهو لك .

من قلت مبالاته بمن اغتابه

قيل للحكيم : فلان يشتمك بالغيب ، فقال : لو ضربني بالسياط في  
الغيب لم أبال به .

وقال شاعر قديم وأنشد هذا الشعر لسيدنا رسول الله العلاء بن الحضرمي :  
حَتَّى ذَوَى الْأَضْغَانِ تَسْبِ قُلُوبِهِمْ تَحِيَّتِكَ الْقُرْبَى فَقَدْ تَرَفَعُ النَّعْلُ  
وإن دَحَسُوا بِالشَّرِّ فَأَعْفُ تَكْرَمًا وَإِنْ خَلَسُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسَلْ  
فإن الذي يُؤذيك منه سَمَاعُهُ وَإِنْ الذي قالوا وَرَأَيْكَ لَمْ يُقَلْ

«دحس بين القوم : أفسد بينهم ، وخذسوا : أخفقوا ، يريد : إن فعلوا الشر من حيث لا تعلمه » وقد تقدمت هذه الآيات  
وقال المتوكلُ الخليفة العباسي لأبي العيناء : ما بقىَ أحدٌ إلا آغتابك ا  
فقال :

إذا رَضِيتَ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي      فلا زالَ غَضبانًا عَلَيَّ لئامها  
وقيل لرجلٍ : فلانٌ يَغتابُكَ : فقال : دَعْنِي يَسْتَرْفَعُنِي اللهُ بِذلك ، فمن  
أَكثَرَتِ النَّاسُ فِيهِ الوَقِيعَةَ رَفَعَهُ اللهُ ، وإن بنى أُمَّيَّةَ ما زالوا يَشْتِمُونَ عَلَيَّ  
ابن أبي طالب سَتَيْنَ سَنَةً فلم يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا رِفْعَةً . وقيل لآخر ذلك فقال :  
\* ولم يَمَحُ من نورِ النبيِّ أبو جهل \*  
وقيل لآخر مثله فقال : لا ضيرَ ، إني أَرادُ أن يَمْتَحِنَ وُدِّي ...

### ذم ناقص يعتاب فاضلا

قال المتنبي :

وإذا أتتك مَدْمَتِي من نائِصٍ      فهِيَ الشَّهادَةُ لي بأني كائِل  
وقبله يقول أبو تمام :  
لقد آسف الأعداءَ فَضْلُ ابنِ يوسُفَ  
وذو النَّقِصِ في الدُّنيا بِذِي الْفَضْلِ مُوَلِّعُ  
وقبل أبي تمام يقول مروان بن أبي حفصة :  
ما ضَرَّنِي حَسَدُ اللَّثَامِ ولم يَزَلْ      ذو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذُو النَّقِصِ  
وأصل هذا المعنى من قول الطَّرامِحِ بنِ حَكِيمٍ :  
لقد زادني حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي      بغيضٌ إلى كُلِّ امرئٍ غيرِ طائِلِ

وَأَنْتَى شَقِيٌّ بِاللثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ  
وقد تقدم .

وقالوا : كفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً وهو يقع في الصالحين .  
وبلغ الأحنف بن قيس أن رجلاً يفتابه فقال : عُثَيْثَةُ تَقْرُضُ جِلْدًا  
أَمْلَسًا ... « عثيثة تصغير عثه وهي دوية تلحس الثياب والصوف وأكثر  
ما تكون في الصوف ، وهذا مثل قد يضرب للرجل يجتهد أن يؤثّر في  
الشيء فلا يقدر عليه »

وَمَا يَتَّصِلُ بِهَذَا قَوْلُهُمْ :

✽ وَمَا زَالَتِ الْأَشْرَافُ تُهَجِّي وَتُمَدِّحُ ✽

✽ إِنَّمَا الْغَيْبَةُ تَلْقِيحُ الشَّرْفِ ✽ وقولهم :

من رمى غيره بعينه

من هذا قولهم : رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلْتُ <sup>(١)</sup>

وقولهم : عَيْرٌ بُجَيْرٌ بُجْرَةٌ وَنَيْسَى بُجَيْرٌ خَيْرَةٌ . ، قال المُفَضَّلُ الضَّبِّي :  
بُجَيْرٌ وَبُجْرَةٌ كَانَا أُخْوَيْنِ فِي الدَّهْرِ الْقَدِيمِ وَلَهَا قِصَّةٌ ذَكَرَهَا ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ  
بُجَيْرٌ تَصْغِيرُ الْأَبْحَرِ وَهُوَ النَّاتِي السُّرَّةَ وَالْمَصْدَرُ : الْبُجْرُ فَلَمَعْنَى : أَنْ ذَا  
بُجَيْرَةٍ فِي سُرَّتِهِ عَيْرٌ غَيْرُهُ بِمَا فِيهِ « وَقَوْلُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ مَا مَعْنَاهُ : أَتُبْصِرُ  
الْقَدَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَتَدَعُ الْجِدْعَ الْمُعْتَرِضَ فِي حَنْقِكَ !

اغتياب المرء غيره يدل على عيبه

قُلُوا : مَنْ وَجَدْتُمُوهُ عَيَابًا وَجَدْتُمُوهُ مَعِيًّا ، لِأَنَّهُ يَعْيبُ النَّاسَ

(١) إذا أردت الوقوف على أصل هذا المثل فإلى أمثال الميداني

بفضل عَيْبِهِ . وفي هذا المعنى يقول الشاعر :  
 وَيَأْخُذُ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ مُرَادٌ لَعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبُ  
 وَقَالُوا : أَعْرِفُ النَّاسَ بِعُورِ النَّاسِ الْمُعُورِ . « العُور : العيب ،  
 والمُعُور : ذو العيب القبيح السريرة »

واعتابَ رجل آخر عند بعض الأشراف ، فقال له : يا هذا ، أَوْحَشْتَنَا  
 مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَيَّسْتَنَا مِنْ مَوَدَّتِكَ ؛ وَدَلَلْتَنَا عَلَى كَثْرَةِ عُيُوبِكَ بِمَا تَذَكَّرُ مِنْ  
 عُيُوبِ النَّاسِ ، لِأَنَّ الطَّالِبَ لِلْعُيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا  
 وَقَالَ شَاعِرٌ :

وَأَجْرًا مِنْ رَأَيْتُ بَطَّهْرٍ غَيْبٍ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذُورِ الْعُيُوبِ  
 يَقُولُ : أَجْرًا النَّاسَ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ بَطَّهْرِ الْغَيْبِ هُمْ ذُورِ الْعُيُوبِ ،  
 وَالظَّهْرُ : مَا غَابَ عَنْكَ ،

ومما يذكر هنا قول بعض الحكماء : الأشرارُ يَتَّبِعُونَ مَسَارِيئِ النَّاسِ  
 وَيَتْرَكُونَ مَخَاسِنَهُمْ ، كَالذُّبَابِ يَتَّبِعُ الْمَوَاضِعَ النَّاسِدَةَ مِنَ الْجَسَدِ وَيَتْرَكُ  
 الصَّحِيحَةَ .

### تشهى الغيبة واستطابتها

قالوا في ذلك : الغيبة فاكهة اللُّسَاكِ والقُرَاءِ ...  
 وَقَصَدَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ مُسْتَرْفِدًا ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ سُئِلَ ،  
 فَقَالَ : مَتَعَنَى التَّلَذُّذَ بِالْغَيْبَةِ وَالشُّكُورَى .

وقال رجلٌ لِبَلِيهِ : إِذَا اجْتَمَعْتُمْ فَعَلَيْكُمْ حَدِيثَ أَنْفُسِكُمْ وَدَعُّوا  
 الْإِغْتِيَابَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : نَحْنُ نَحْتَاجُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى كَذَا وَكَذَا ، وَنَفْعَلُ  
 وَنَصْنَعُ كَذَا وَكَذَا ، فَقَدْ فَرَعْنَا مِنْ حَدِيثِنَا ، فِيمَاذَا نَشْتَغِلُ !

## من اغتاب فاغتاب

قيل : مَنْ رَوَى النَّاسَ بِمَا فِيهِمْ رَمَوْهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ  
 وَقِيلَ : بِحُكْمِكَ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ يَدْعُو إِلَى بَحْثِهِمْ عَنْ عُيُوبِكَ .  
 وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ  
 وَقَالَ شَاعِرٌ ظَرِيفٌ :

تَحَلَّلْتَ بِالسَّبِّ لِمَا رَأَيْتَ      أَدِيمَكَ صَحَّ وَمَنْ سَبَّ سُبَّ  
 فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِيكَ مِنْ مَغْمَزِ      سَلَكْنَا إِلَيْكَ طَرِيقَ السَّكَّابِ

## نهيم عن الإصغاء إلى المغتاب

قالوا : إِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ فَاجْهَدْ جُهِدَكَ أَنْ لَا يَمِرَّ فِكَ ، فَأَشَقَّ  
 لِلنَّاسِ بِهِ مَعَارِفَهُ .

وقال عمرو بن عبيد لرجل يستمع إلى آخر يغتاب : وَيَلِكُ ، نَزَهُ أُوذُنَكَ  
 عَنْ اسْتِمَاعِ الْخُتَا كَمَا نَزَهُ لِسَانُكَ عَنِ التُّنْقِ بِه .

وقالوا :      \* وَالسَّمْعُ الذَّامُ شَرِيكَ لَه \*

وقال بعض المتصوفة : الرَّجُلُ يَقُولُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَأَخْشَى عَلَيْهِ بِذَلِكَ  
 النَّارَ ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَمِدُّ بِذَلِكَ الْغَيْبَةَ إِذَا سَمِعَهَا ...

## الممدوح بصيانة مجلسه عن الغيبة

مدح بعضهم رجلا فقال : يَنْزَهُ بِجَارِسِهِ عَنِ الْغَيْبَةِ وَمَسَامِعَهُ عَنِ الْغَيْمَةِ .  
 وقال الشاعر :

إِذَا مَا تَرَاهُ الرِّجَالُ تَحْفَظُوا      فَلَمْ تُنْطَقِ السُّورَاءُ وَهُوَ قَرِيبٌ



« العوراء : الكلمة القبيحة »

حشهم على التثبت فيما يسمع من السعاية

وُشِيَ بِرَجُلٍ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ ، فَلَمَّا أَتَى بِهِ قَالَ : قَدْ أَتَاكَ كِتَابٌ  
 مِنَ اللَّهِ فِي أَمْرِنَا ، فاعمل به ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا  
 أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » ، فَقَالَ : صَدَقَتْ .  
 وَأُبْلَغَ أَحَدُ الْمُلُوكِ عَنْ رَجُلٍ مَنْكَرًا ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ : إِنْ قَتَلْتَنِي  
 وَمَنْ سَعَى بِي كَاذِبٌ يَعُظُّمُ وِزْرُكَ ، وَإِنْ تَرَكْتَنِي وَهُوَ صَادِقٌ قَلَّ وِزْرُكَ  
 وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ مَا تَرِيدُ ، وَالْعَجَلَةُ مُوَكَّلَةٌ بِهَا الزَّلَلُ ، فَأَمَرَ بِإِبْقَائِهِ .  
 وَقَالَ كَثِيرٌ عَزَّةً :

وإن جاءك الواشون عنى بكذبة فروها ولم يأتوا لها بحويل (١)  
 فلا تعجلى يا عَزَّ أَنْ تَتَفَهَّمِي بِنُصْحِ أُنَى الْوَاشُونَ أَمْ بِحُبُولِ (٢)

وقال عبدة بن الطبيب من أبيات يعظ فيها بنيه :

وَأَعْصُوا الَّذِي يُزِجِي النَّمَائِمَ بَيْنَكُمْ مُتَّصِحًا وَهُوَ السَّامُ الْمُنْفَعُ (٣)  
 يُزِجِي عِقَارِيهِ لِيَتَّبِعَتْ بَيْنَكُمْ حَرْبًا كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقَ الْأَخْدَعُ (٤)  
 حَرَانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فُؤَادِهِ عَسَلٌ بِمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشْعَشِعُ (٥)

(١) فروها من الفرية ، والحويل : المحاولة

(٢) الحبول : الدواهي

(٣) يزجي : يسوق ، والسام : السم ، والمنفع : المرئي

(٤) الأخدع : عرق في العنق في موضع الحجامة

(٥) مشعشع : مزوج

لأن آمنوا قوماً يَشِبُّ صِدْيَهُمْ بين القبائل بالعداوة يُنْشَعُ (١)  
 إن الذين تُرَوُّهُمْ إِخْوَانَكُمْ يَشْفِي غليل صدورهم أن تُصَدَّعُوا (٢)  
 فَضَلَّتْ عداوتُهُمْ على أحلامِهِمْ وَأَبَتْ ضبابُ صدورهم لا تُنْزَعُ (٣)  
 قومٌ إذا دَمَسَ الظلامُ عليهمُ هَدَجُوا قنَافِدَ بالنَمِيمَةِ تَمْرَعُ (٤)

وسعى رجل بالإمام الليث بن سعد إلى والى مصر ، فأحضره ، فقال  
 الإمام : إن رأيتَ أن تسأله : أَسِرَّ آتَمَّتْهُ عليه خفائه ، أم كذبُ افتراه ؟  
 والخائن والكاذب لا يُقْبَلُ قولها ...

وَوَشَى وَاشٍ إلى بعض الأمراء وقال : إن فلاناً هجأك ، فأحضره  
 وأعلمه ، فقال الرجل : كلا ، فقال : أَخْبَرَنِي بذلك الثقة ، فقال : الثقة  
 لا يكون تماماً .

وكان الفضل بن سهل الوزير يُبْفِضُ السُّعَاةَ ، فإذا أتاه ساعٍ يقول :  
 إن كنت صادقاً لم ينفَعَكَ ذلك عندنا ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن  
 شئت أفلناك .

(١) ينشع من نشع فلان بكذا : أولع به

(٢) هذا البيت من شواهد المسند إليه في علم المعاني والشاهد فيه تنبيه المخاطب  
 على الخطأ في ظنه ، إذ في قوله : إن الذين من التنبيه على الخطأ ما ليس في قولك  
 إن القوم الفلانيين ، وترونيهم : تظنونهم

(٣) الضباب جمع ضب ، والمراد به : الغل المعمر في الصدر إمعان الضب  
 في جحره

(٤) دمس الظلام : اشتدت ظلمته ، وهدجوا : هشوا مشية الشيوخ الراجفة  
 المتقاربة الخطى ، وهو الهدجان ورواية المفضليات : هدجوا قال شارحها حدجوا :  
 رحلوا : أراد : أنهم يسهرون بالنميمة والاحتيال في الشر كما يسهر التنفد لأنه يسير  
 ولا ينام ليله أجمع ، وتمزع ، تسرع

وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخَلْوَةَ ؛ فقال لأصحابه : إذا شئتم <sup>(١)</sup>  
 فلما تها الرجل للكلام قال له : إياك وأن تمدحني ، فإنني أعرف بنفسى منك  
 أو تكذبني فإنه لا رأى لكذوب ، أو تسعى بأحدٍ إلى ، وإن شئت  
 أن أقيلك أقبلتك ، قال : أظنى :

وَوَسَّى إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَشْرَفَ فِي أَحَدِ الْكُتُبِ ، فَرَفَعَ :

أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لَا يَيْبِكُمْ

وَمِنَ اللَّوْمِ أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُوا <sup>(٢)</sup>

وقال الواثق لأحمد بن أبي دواد القاضي : مازال القوم في تملكك إلى  
 الساعة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ،  
 والله ولي جزائه ، وعقابك من ورائه ، فما الذى قلت لهم ؟ قال :  
 قلت :

وَسَعَى إِلَى بَصْرَمَ عَزَّةَ نِسْوَةٌ جَمَلِ الْمَلِكِ خُدُودَهُنَّ نَعَالَهُنَّ <sup>(٣)</sup>

صعوبة التخلص من اغتياب الناس

سأل بعض الأنبياء ربّه عز وجل أن يدفع عنه السنة الناس فلا  
 يفتابوه ، فقال عز وجل : هذه خصلة لم أجمعها لنفسى فكيف  
 أجمعها لك !

وقالوا : ليس إلى السلامة من السنة الناس سبيل . فانظر إلى ما فيه  
 صلاحك فالزمه .

(١) تلك كانت عادته إذا أراد انصراف أصحابه بقول : إذا شئتم

(٢) للحطبة

(٣) لكثير عزة

وقال شاعر :

إذا كنت مَلْحِيًّا مَسِينًا وَمُحْسِنًا      فَغَفِشِيَانُ مَا تَمَوَّى مِنَ الْأَمْرِ أَكْبَسُ  
« مَلْحِيًّا : ملوماً ، وَمَسِينًا وَمَحْسِنًا : حالان ، »

### ذم ناقلِ الغيبة

قالوا : من بَلَغَكَ فقد شتمك . وفي هذا المعنى يقول شاعر :

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوَّهُ      وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْمُبَلِّغُ  
وقيل لحكيم : فلان عابك بكذا ، فقال : لقد رأيتك تَفَفَّحْتَنِي بِمَا  
اسْتَحَى الرَّجُلُ مِنْ اسْتِقْبَالِي بِهِ .

### الموصوف بالنيمة

قال سبحانه : ( وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ مَهْمَا زَعَمَ )  
وقال بعضهم لآخر : فلان نئم بك ، فقال : إن فلاناً لو كان بينك  
وبين الله واسطة لَسَعَى بِكَ إِلَيْهِ .

وقال السري الرفاء :

أَنَّمْ بِمَا اسْتَوْدَعْتُهُ مِنْ زُجَاجَةٍ      تَرَى الشَّيْءَ فِيهَا ظَاهِرًا وَهُوَ بَاطِنُ  
وقال العباس بن الأحنف :

أُنَاسٌ أَمِنَّا فَنَمُّوا حَدِيثَنَا      فَلَمَّا كُنِمْنَا السَّرَّ عَنْهُمْ تَقَوَّلُوا

من اغتاب غيره فرآه

اغتاب أعرابي رجلاً ، فالتفت فرآه ، فقال لو كان خيراً ما حضرته .

## من لا يحرم اغتيابه

قال الحسن البصرى : لا غيبة في ثلاثة : فاسقٍ مجاهر ، وإمامٍ جائر ،  
وصاحب بدعة .

## حشهم على التحرز

بما يقتضى الغيبة

قال الحسن البصرى : من دخل مداخِلَ التُّهْمَةِ لم يكن له أجرُ الغيبة .  
وقالوا : من عَرَّضَ نفسه للتُّهْمَةِ فلا يلومنَّ مَنْ أساءَ به الظنَّ  
واغتابه .

# الباب السادس

## في التواضع والكبر

وما إليهما

ولما كان التواضعُ مجلبةً للدودة ، والكبرُ مَدْرَجَةً العداء ، حتى قال بعضهم — وقد قيل له : ما التواضع ؟ فقال : اكتساب المودّة ، فقيل : ما الكبر ؟ فقال : اكتساب البغض — لما كان ذلك كذلك ألحقنا عبقرياتهم فيهما بباب الحلم وما إليه .

## حدّ التواضع والكبر

التواضع فضيلة بين الضعة والكبر ، قال الراغب : التواضع مُشْتَقٌّ من الضعة وهو : رضا الإنسان بمنزلةٍ دون ما يستحقه فضلُهُ ومنزلتُهُ ، وهو فضيلة لا تكاد تظهر في أفتاء الناس ، لانحطاط درجاتهم ، وإنما يتّبين ذلك في الملوك وأجلاء الناس وعلماهم . وهو من باب التفضل ، لأنه يتركُ بعض حقّه ، قال : وهو بين الكبر والضعّة : فالضعّة : وضعُ الإنسان نفسه بمحلّ يُزرى به ، والكبر : وضعُ نفسه فوق قدره ، أو هو : ظنُّ الإنسان أنه أكبر من غيره ، والتكبر : إظهار ذلك . وهذه صفةٌ لا يستحقها إلا الله عز وجل ، ومن ادعاها من المخلوقين فهو فيها كاذب ، وكذلك صار مدحاً في البارئ تعالى ، وذما في البشر ، وإنما شرف المخلوق في إظهار العبودية كما قال تعالى : لن يُسْتَنْكِفَ المسيحُ أن يكون عبداً لله

ولا الملائكة المقربون ، تنبيها على أن ذلك لهم رفعة لا ضعة : قال : والتكبر يتولد من الإعجاب ، والإعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن ، والجهل رأس الانسلاخ من الإنسانية ، ومن الكبر الامتناع من قبول الحق ، وأقبح كبر ما كان معه بُخلٌ ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : خَصَّامَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ : الكبر والبخل ، واستحسن قول الشاعر :

جَمَعَتْ أَمْرَيْنِ ضَاعَ الْحَزْمُ بَيْنَهُمَا      نَفْسُ الْمُلُوكِ وَأَخْلَاقُ الْمَمَالِكِ  
ومن تكبر لرياسة نالها دل على دناءة عُصْرِهِ ، ومن تكبر لِقَدَيْتِهِ جهل أن ذلك ظلُّ زائل وعاريةٌ مُسْتَرَدَّةٌ ، ومن تفكَّرَ فِي ذَاتِهِ فَعَرَفَ مَبْدَأَهُ وَمُنْتَهَاهُ وَأَوَاسِطَهُ عَرَفَ نَفْسَهُ وَرَوْضَ كِبَرِهِ ، وقد نبه الله على ذلك بقوله : ( فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ، خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الثُّلُوبِ وَالتَّرَائِبِ ) (١) ، وقال : ( قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ ) ، وقال : ( إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ أَمْشَاجٍ ) (٢) ، ثم قال : وأما العِزَّةُ فهي : الترفع بالنفس عما يابحته منه غَضاضة ، والعزة منزلة شريفة ، وهي نتيجة معرفة الإنسان بقدر نفسه وإكرامها عن الضراعة للأعراض الدنيوية ، قال الله تعالى : ( وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ) ، وفي الحديث : « لَا يَفْبَغِي الدُّوْمَنُ أَنْ يُذَلَّ نَفْسُهُ » ولذا قالوا : التكبر على الأغنياء تواضع ، تنبيها على أن هذا التكبر عِزَّةٌ

(١) الترائب موضع الفلادة من الصدر ، وقيل : الترائب : أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته وقال الفراء : يعني صلب الرجل - العظم من لدن الكاهل إلى العجب - وترائب المرأة

(٢) الامشاج : الاخلاط : ماء الرجل وماء المرأة أو النطفة

نفس ، وقال ابن مسعود : من خضع لغني فوضع نفسه عنده طمعاً فيه ذهب نُلتنا دينه وشَطْرُ مُرْوَةٍ . أقول ولهذا باب سيمر عليك .

### حشهم على التواضع

قال سيدنا رسول الله : « طُوبَى لمن تواضع في غير مَنْقَصَةٍ ، وذلك في نفسه في غير مسكنة . » في غير منقصة : بأن لا يضع نفسه بمكان يُزرى به ، ويُودى إلى تضييع حق الحق — الله سبحانه — أو الخلق ، فإن القصد بالتواضع خفضُ الجناح للثومنين مع بقاء عزة الدين . روى أن رجلاً مر على عمر وقد تخشع وتذلل وبالع في ذلك ، فقال عمر : ألسنتُ مُسليماً ؟ قال بلى ، قال : فارقع رأسك وامتدّد عنقك فإن الإسلام عزيز منيع ؛ أما كلمة طوبى فللعلماء فيها كلام كثير فمن ذلك قول بعضهم : طوبى : اسم الجنة بالهندية ، قال الصاغاني : فعلى هذا يكون أصلها توبى ، بالتاء ، فإنه ليس في كلام العرب طاء ، وقال قتادة : طوبى كلمة عربية تقول العرب : طوبى لك إن فعلت كذا وكذا ؛ قالوا : ومعنى طوبى لفلان : الحسنى والخير له . وكان رسول الله صلى عليه وسلم مثلاً أعلى للتواضع ، قال أبو أمامة رضى الله عنه : خرج علينا رسول الله مُتَّكئاً على عصا ، فقمنا له ، فقال : لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يُعظَّمُ بعضهم بعضاً ، وقال : إنما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد<sup>(١)</sup> وكان صلوات الله عليه يركب الحمار ويردف خلفه ،

(١) اختلف العلماء في القيام للتعظيم المعناد ، فقيل : مكرهه استدلالاً بهذا الحديث ونظائره ، وذهب بعضهم إلى حرمة وقال بعض الأئمة : إنه مستحب لأهل العلم والصلاح



ويعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويجيب دعوة العبد ، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم ، حينما انتهى به المجلسُ جلس... ومن حديث عمر عنه صلى الله عليه وسلم : لا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ <sup>(١)</sup> ، إنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عبدُ الله ورسوله .

وعن عائشة رضی الله عنها : أنه صلوات الله عليه كان في مهنة أهله - خدمتهم - يَفْلِي ثوبه ، وَيَحْلِبُ شاتِه ، وَيَرْتَقِعُ ثوبه ، وَيَخْصِفُ نَعْلَه ؛ وَيُقِمُّ البيت - يَكْنَسُه وَيَزِيلُ قِمامته - وَيَخْدُمُ نفسه ، ويعقل البعير - يربطه من رجله بالعقال - ويملف ناضحه - الجمل الذي يُسْتَقَى عليه الماء - ويأكل مع الخادم ، وَيَعِجِنُ معها ، ويحمل بضاعته في السوق . وأخباره في تواضعه صلوات الله عليه كثيرة متوافرة تراها في كتب الشرائع والحديث .

وفي المثل : تواضعُ الرُّجُلِ في مرتبته ذبٌ للشَّيْطَانَةِ عند سَقَطَتِهِ .

وقال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصائد الشرف ، وفي لفظ :

« سُئِلَ الشَّرْفُ »

وقال عبد الله بن المعتز : مُتَوَاضِعُ الْعُلَمَاءِ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا ، كَمَا أَنَّ الْمَكَانَ

الْمُنْخَفِضَ أَكْثَرُ الْأَمَاكِنِ مَاءً .

وللحكام العدول ، بل قد يجب إذا خشى من تركه ضرر كجسارة الملك ، ويستحب لمن قدم من سفر ولذوى الأرحام تكريماً لهم وبراً بهم ، والمنهى عنه إنما هو ما كان على سبيل الرياء والتكبر ، وإنما نهام صلوات الله عليه لئلا يظنوه سنة

(١) الاطراء : مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه وبذلك فسر الحديث وفي

معنى الحديث قال الأبوصيري :

دَعَّ مَا دَعَّتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ وَأَحْكَمُ بِمَا شِدَّتْ مَدْحًا فِيهِ وَأَحْتَكِمُ

وقالوا: من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره، ومن رفعها عن حده وضعه الناس دون قدره .

وقال جعفر بن محمد: رأس الخير التواضع، فقليل له: وما التواضع؟ فقال أن ترضى من المجلس بدون شرفك، وأن تُسَلِّمَ على من لقيت، وأن تترك المرآة وإن كنت مُحِقًّا، وأن تكره الرياء والسُّمعة .

وقالوا: التواضع نِعْمَةٌ لَا يَفِطُنُ لَهَا الْخَالِدَ .

وقالوا: التواضع كالوَهْدَةِ يَجْتَمِعُ فِيهَا قَطْرُهَا وَقَطْرُ غَيْرِهَا .

وقال عمر: أريدُ رجلاً إذا كان في القوم وهو أميرهم كان كبعضهم، فإذا لم يكن أميراً فكأنه أميرهم .

وقال رضى الله عنه حين نظر إلى بض المرأة مُبْتَدِلاً لِأَصْحَابِهِ: هَذَا رَجُلٌ يَفِرُّ مِنَ الشَّرْفِ وَالشَّرْفُ يَتَّبِعُهُ .

وقد مدح الشعراء المتواضعين فمن ذلك قولُ أبي تمام:

مُتَبَدِّلٌ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ مُبَجَّلٌ مُتَوَاضِعٌ فِي الْحَيِّ وَهُوَ مُعْظَمٌ

وقال آخر:

مُتَوَاضِعٌ وَالنُّبْلُ يَحْرُسُ قَدْرَهُ وَأَخُو النَّبَادَةِ بِالنَّبَاهَةِ يَنْبُلُ

وقال البحتري:

دَنَوْتَ تَوَاضِعًا وَعَلَوْتَ بَجْدًا فَسَأْنَاكَ انْحِدَارٌ وَارْتِفَاعٌ  
كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى وَيَدْنُو الضُّوءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ

وقال أبو محمد التيمي:

تَوَاضِعٌ لِمَا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً وَكُلُّ رَفِيعٍ قَدْرُهُ مُتَوَاضِعٌ

وقال أبو بكر الخوارزمي :

عَجِبْتُ لَهُ لَمْ يَلْبَسِ الْكِبْرَ حُلَّةً وَفِينَا إِذَا جُرْنَا عَلَى بَابِهِ كَبْرُ

### ذمهم التكبر

قال الله تعالى : إنه لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ . وقال سبحانه : كذلك نَطْبَعُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ . وقال : فادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ . وقال : سأصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ .

ودخل الفضل بن يحيى ذات يوم على أبيه وهو يتبختر في مشيته ، فقال له يحيى : يا أبا عبد الله ، إن البخلَ والجهلَ مع التواضع ، أزينُ بالرجل من الكبر مع السخاء والعلم ، فيالها من حسنة غَطَّتْ على عيين عظيمين ، وبالها من سيئة غَطَّتْ على حسنتين كبيرتين ، ثم أوماً إليه بالجلوس وقال : احفظه يا أبا عبد الله فإنه أدب كبير أخذناه عن العلماء ...

وهذا كما قال حكيم : وَجَدْنَا التَّوَّاضِعَ مَعَ السَّخَاةِ وَالبُخْلَ أَمَحَدَ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ مِنَ الْكِبْرِ مَعَ الْأَدَبِ وَالسَّخَاءِ ، فَأَنْبِلُ بِحَسَنَةِ غَطَّتْ سَيِّئَتَيْنِ ، وَأَقْبِحُ بِسَيِّئَةِ غَطَّتْ عَلَى حَسَنَتَيْنِ !

وقال علي بن أبي طالب : عَجِبْتُ لِلتَّكَبُّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نَظْفَةً

وهو غداً جيفة . وقال بعض الشعراء :

يَا مُظْهَرَ الْكِبْرِ إِعْجَاباً بِصُورَتِهِ      أَنْظِرْ خَلَاءَكَ إِنْ السَّنَّ تَشْرِبُ  
لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِيمَا فِي بُطُونِهِمْ      مَا اسْتَشَعَرَ الْكِبْرَ شُبَاباً وَلَا شَيْبُ  
هَلْ فِي ابْنِ آدَمَ غَيْرَ الرَّأْسِ مُكْرَمَةٌ      وَهُوَ بِخَمْسٍ مِنَ الْأَذْيَانِ مُشْرِبُ

أَنْفٌ يَسِيلُ وَأُذُنٌ رِيحُهَا سَهْلُكَ وَالْعَيْنُ مُرْمَصَةٌ وَاللِّغْزُ مَلْعُوبٌ  
يَابِنُ الثَّرَابِ وَمَا كَوَلُ التَّرَابِ غَدًا أَقْصِرُ فَإِنَّكَ مَا كَوَلُ وَمَشْرُوبٌ  
وَقَالُوا : دَعِ التَّكْبِيرَ ، فَتَى كُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّبْلِ لَمْ يَضُرْكُ التَّبْدُلُ ، وَمَتَى  
لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ لَمْ يَنْفَعَكَ التَّبْدُلُ .

### بعض دواعي التكبر

قال المأمون : ما تكبر أحدٌ إلا لِنَقْصِ وَجَدِهِ فِي نَفْسِهِ .  
وقال حكيم : ما تعظم أحدٌ على مَنْ دونه إلا تصاعَرَ مَنْ فَوْقَهُ  
وقالوا : ما تاة إلا وَضِيعٌ ، ولا فَاخَرَ إلا سَقِيطٌ ، ولا تَعَظَّمَ إلا  
لِقَيْطٍ . « السقيط : الأحمق الناقص العقل ، واللقيط : الطفل الذي يُوجَدُ  
مَرِيئاً على الطُّرُق لا يُعَرَفُ أبوه ولا أمه ،  
وقال يحيى بن خالد بن برمك : لَسْتُ تَرَى أَحَدًا تَتَكَبَّرُ فِي إِمَارَتِهِ  
إِلَّا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي نَالَ هُوَ فَوْقَ قَدْرِهِ ، وَلَسْتُ تَرَى أَحَدًا يَضَعُ  
نَفْسَهُ فِي إِمَارَةٍ إِلَّا وَهُوَ فِي نَفْسِهِ أَكْثَرُ مِمَّا نَالَ .  
وقيل لبعضهم : فُلَانٌ غَيَّرَتْهُ الْإِمَارَةُ فَقَالَ : إِذَا وَلِيَ الرَّجُلُ  
وِلَايَةً فَرَأَاهَا أَكْثَرَ مِنْهُ تَغْيِيرًا ، وَإِذَا وَلِيَ وِلَايَةً يَرَى أَنَّهُ أَكْثَرُ مِنْهَا  
لَمْ يَتَغَيَّرْ .

وقالوا : مَنْ نَالَ مَنزِلَةً فَأَبْطَرَتْهُ دَلَّ عَلَى رِدَاةِ أَصْلِهِ وَعُغْصِرِهِ .  
وقال بعض المتصوفة : اللثام إذا تَمَوَّلُوا اسْتَطَالُوا ، وَإِذَا افْتَقَرُوا تَوَاضَعُوا  
وَالْكَرَامُ إِذَا تَمَوَّلُوا تَوَاضَعُوا ، وَإِذَا افْتَقَرُوا اسْتَطَالُوا .  
وقال الجاحظ من كلمة له : والكبر في الأجناس الذليلة أرسخ ، ولكن

الِقِلَّةَ وَالذَّلَّةَ مَانَعَتَانِ مِنْ ظَهْوَرِ كِبَرِهِمْ ، وَمَنْ قَدَرَ مِنَ الْوَضْعَاءِ أَدْنَى قَدْرَةَ  
ظَهَرَ مِنْ كِبَرِهِ مَا لَا خِفَاءَ بِهِ ، وَلَمْ أَرَ ذَا كِبَرٍ قَطُّ عِلَا مَن دُونِهِ إِلَّا وَهُوَ  
يَبْدُلُ لِمَنْ فَوْقَهُ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ وَوَزْنِهِ ...

### متكبر ذنى أو فقير

قالوا: أبغض الناس ذو عُسْرِ يَخْطُرُ فِي رِءَاءِ كِبَرِهِ .  
ومن قولهم في ذلك : أَنْفٌ فِي السَّمَاءِ وَأَسْتُ فِي الْمَاءِ

مدحهم معرفة الرجل قدر نفسه

وذمهم الصلف

وبعض نوادر المزهوين

قال علي بن أبي طالب : لَنْ يَمْلِكََ امْرؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ .  
وقال المتنبي :

وَمَنْ جَهِاتَ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى  
وقال سيدنا رسول الله : ثَلَاثٌ مَهْلِكَاتٌ : شَحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ ،  
وإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ .

وقالوا : عَجِبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حَسَادِ عَقْلِهِ .

وقال أعرابي لرجل مهجَّبٍ بِنَفْسِهِ : يَسُرُّنِي أَنْ أَكُونَ عِنْدَ النَّاسِ مِثْلَكَ  
فِي نَفْسِكَ ، وَعِنْدَ نَفْسِي مِثْلَكَ عِنْدَ النَّاسِ ...

وكان رجل يسمى أبا ثَوَابَةَ أَقْبَحَ النَّاسِ كِبَرًا ، مَعْنَى فِي الصَّلْفِ ،

رَوَى أَنَّهُ قَالَ لِغُلَامِهِ : آسَقِنِي مَاءً ، فَقَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : لِمَا يَقُولُ « نَعَمْ » ،

من يقدر على أن يقول «لا»، وأمر بضربه... ودعا أكاراً فكلمه، فلما فرغ دعا بماء وتمضمض، استنظاراً لمخاطبته...

ومن المعجبين بأنفسهم المغالين في العزة وإن كان إلى ذلك من الشخصيات الضخمة الكريمة النديلة المحترمة عمارة بن حمزة<sup>(١)</sup>، روى: أنه دخل على المهدي الخليفة العباسي، فلما استقر به الجلوس، قام رجلٌ كان المهدي قد أعد له إيتهمٌ به، فقال: مظلومٌ يا أمير المؤمنين قال: من ظلمك؟ قال: عمارة غصبتني ضيعتي، وذكر ضيعةً من أحسن ضياع عمارة وأكثرها خراجاً، فقال المهدي لعمار: «قم فاجلس مع خصمك»، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هو لي بخصم، إن كانت الضيعة له، فلست أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ولا أقوم من مجلسٍ شرفني به أمير المؤمنين، فلما انصرف المجلس سأل عمارة عن صفة الرجل، وما كان لباسه، وأين كان موضع جلوسه... وكان من تبهه أنه إذا أخطأ يمر على خطئه، تكبراً عن الرجوع ويقول: نقض وإبرام في ساعة واحدة! الخطأ أهون من ذلك...

ومن المفرطين في الكبر رجل يسمى عميد الله بن زياد بن طبيان، قال له رجل من قومه وقد رأى منه ما أعجبه: كثر الله فينا مثلك، فقال: لقد كلفتم الله شططاً...

وهناك من نوادر المتكبرين المستطرقة ما لا يتسع له معجمنا هذا.

(١) ترجم له ياقوت في معجم الادباء ترجمة وافية

## معتذر لعجبه وعزته

قيل لإياس بن معاوية<sup>(١)</sup> : ما فيك عيب غير أنك مُعَجَّبٌ ، فقال :  
أُيَعِجِبُكُمْ ما أقول ؟ قالوا : نعم ، فقال : فأنا أحتق أن أُعَجَّبَ به ...  
وقال بعض المعجبين :

يقولون : ذو كِبَرٍ ولو خُصَّ بعضهم ببعضِ خِصَالِي ما استفاق من الكبر  
وقال رجل لبعض المزهّوين : ما أعظمك في نفسك ! فقال : لست  
بعظيم ؛ ولكنني عزيز ، لقوله تعالى : والله العزةُ لرسوله وللمؤمنين . وفي  
هذا المعنى يقول بعضهم :

وما أنا مَزْهُوٌّ ولكنني فتى أبت لي نفسٌ حُرّةٌ أن أذيلها  
« أذيلها : أهينها » وهذا من قبيل قول القائل :  
وأكْرِمُ نفسي أني إن أهنتها وحقك لم تكْرُم على أحدٍ بعدي  
ولمثل هذا المعنى باب سنستوعب عقرياتهم فيه .

## التكبر على ذوى الكبر

سُئل الحسن البصرى عن التواضع ، فقال : هو التكبر على الاغنياء  
« يريد : الترفع وعدم التذلل لهم طمعاً في ما لهم أو جاههم »  
وأنشد المبرد :

إذا تاهَ الصديقُ عليك كبراً فتهُ كِبْرًا على ذاك الصديق

(١) الذى يضرب به المثل فى الذكاء والفتنة ، ولاءه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة ، ترجم له ابن خلكان .

فإيجابُ الحقوقِ إغيرِ راعٍ حُقُوقَكَ رأسُ تضييعِ الحقوقِ  
وقال الأصمعي : قال رجل : ما رأيتَ ذا كبرٍ قط إلا تحولَ داؤه  
في . « يريد : أنى أتكبر عليه » ، وقال آخر : ماتاه أحدٌ قط علىَّ مرتين  
« يريد : أنه إذا تاه مرة لم أعاوده وتركته وأعرضت عنه »  
وقال عدى بن أرطاة وهو أمير لو كعب بن الأسود : سَوَّ علىَّ ثيابي ،  
فقال : \* ذَكَرْتَنِي الطعنَ وَكُنْتُ ناسِياً <sup>(١)</sup> فِي خَفِيّ ضَيْقِ فَلَيْمَدَهُ الأَمِيرُ حَتَّى  
أَنْزِعَهُ ، فقال له عدى : إن الجليسَ لَيَلِي من جليسه أكثرَ من هذا ، فقال  
باعدى ، إذا عُرِزْتَ عَنَّا فَكَلَّفْنَا أَكثَرَ من هذا ، أمّا وأنت ترى لك علينا  
بسطة فلا ...

### ذمهم الإفراط في التواضع

قالوا : مِنَ التواضع ما يَضَعُ .  
وقال عبد الله بن المقفع : الإفراط في التواضع يوجب المذلة ، والإفراط في  
المؤانسة يوجب المهانة .

### حمد تعظيم الكبار

قَدِمَ قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ سيد أهل الوبر على النبي صلى الله عليه

(١) قال الميداني - وأورده في أمثاله - : أصله أن رجلاً حمل على رجل ليقته ،  
وكان في يد المحمول عليه رمح ؛ فأنساه الدهش والجزع ما في يده ، فقال له الحامل :  
ألقِ الرمح ، فقال الآخر . وأن معي رمحا لا أشعر به ؛ ذكرتني الطعن ... المثل وحمل  
على صاحبه فطعنه حتى قتله . يضرب في تذكّر الشيء بغيره .



وسلم ، فبسط له رداءه ، ثم قال : إذا أتاكم كريمٌ قومٍ فأكرموه .  
وروى أن مجوسياً دخل على رسول الله . فأخرج صلوات الله عليه  
من تحته وسادةً حشوها ليف ، وطرحها له ، وأقبل عليه يحدّثه ، فلما نهض  
قال عمر : إنه مجوسى فقال عليه الصلاة والسلام : قد علمت ، واسكن  
جبريل يأمرنى أن أكرم كل كريم قوم إذا أتى ، وهذا سيد قومه .  
وركب زيد بن ثابت رضى الله عنه <sup>(١)</sup> ، فدنا منه عبد الله بن عباس  
بأخذ بركابه ، فقال : ماتفضل يا ابن عم رسول الله ؟ فقال . هكذا أمرنا  
ن فعل بأمرائنا <sup>(٢)</sup> ، فقال زيد : أرني يدك ، فأخذها وقبّلها ، وقال : هكذا  
رنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

(١) هو الصحابي العالم الجليل ، كاتب الوحي ، وجامع القرآن في عهد أبي بكر  
وقال فيه أبو بكر : إنك شاب عاقل لا تهتك ، وكان أحد فقهاء الصحابة الجلة  
الفراض — علماء المواريث — مات في عهد مروان بن الحكم  
(٢) ورد أن النبي صلوات الله عليه ، سلم زيد بن ثابت الراية في إحدى الغزوات  
وأمره على الجيس فيها

# الباب السابع

في الشجاعة وعقرياتهم فيها

وفي الصبر في القتال

وسائر ما يتصل بالحرب

ودونك ما وقع عليه الاختيارُ من عقرياتهم في الشجاعة والصبر في الحروب، وسائر ما ينعطف على هذه المعاني وينشعب به القول فيها وأنت فقد علمت مما أسلفنا عليك في باب الصبر أن الشجاعة لون من ألوانه . ومن ثم أردفنا القول على الأبواب السابقة — وهي جميعاً من ألوان الصبر — بالقول على الشجاعة وما إليها .

## حقيقة الشجاعة

قالوا : الشجاعة : فضيلةٌ بين التهور والجبن .

وفي الأثر : الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن يشاء من عباده .

وسُئِلَ بعضهم عن الشجاعة فقال : جِيلةٌ نفسٍ أبيةٌ .

وقيل لبعضهم : ما الشجاعة ؟ فقال : صبر ساعة .

وقال بعض المجريين : الرجال ثلاثة : فارس ، وشجاع ، وبطل ؛ فالفارس

الذي يُشَدُّ إذا شَدُّوا ، والشجاع : الداعي إلى البراز والمُجيب داعيته ،

والبطل : الحامى لظهور القوم إذا ولّوا ...

ويروى أن زياد بن أبيه كتب إلى ابن عباس : أن صف لي الشجاعة والجن والجد والبخل ، فكتب إليه : كتبت تسألني عن طبائع رُكبت في الإنسان تركيب الجوارح ، أعلم أن الشجاع يقاتلُ عن لا يعرفه ، والجبان يفرُّ عن عرسه — زوجه — وأن الجواد يُعطى من لا يلزمه وأن البخيل يمسكُ عن نفسه .

### الأسباب المشجعة

قال الجاحظ : الأسباب المشجعة قد تكون عن الغضب ، والشراب<sup>(١)</sup> والهوج<sup>(٢)</sup> ، والغيرة ، والحمية ، وقد تكون مرقوة النفج<sup>(٣)</sup> وحب الأحدوث ؛ وربما كان طبعاً ، كطبع الرحيم ، والسخي ، والبخيل ، والجزوع والصبور ؛ وربما كان للدين ، ولكن لا يبأع الرجل للدين ما لم يشيعة بعض ما تقدم ، لأن الدين يجتلب مكتسب ، ولا يكاد يبأع الطبيعة . وقالوا : لا يصدق القتال إلا ثلاثة : مُتدين ، وعيران ، ومتمعض من ذل .

(١) المراد : الخمر

(٢) الهوج : الطيش والحق والتسرع

(٣) النفج : اقتحار المرء بما ليس فيه .

## حثهم على الثبات والإقدام

ونهيهم عن الإحجام والفكر في العواقب

قال الله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتمُ الذين كفروا زَحْفًا فلا تُؤاؤمهم الأديبار ) ... « زحفاً حال من الذين كفروا ، والزحف : الجيش الكثير الذي يُرى لِكَثْرَتِهِ كأنه يَزْحَفُ ، : أى يدبُ ديباً ، من زَحَفَ الصبي : إذا دب على آسته قليلا قليلا ؛ سُمِّيَ بالمصدر ، والجمع : زُحُوف ، والمعنى : إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير متوافرون وأنتم قليل فلا تَفِرُّوا ، فضلا أن تُدَانُوا في العَدَد ، أو تُسَارُواهم » ... وقال سبحانه : ( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتمُ فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تُفْلِحُونَ ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ) ... « إذا لقيتمُ فئة : إذا حاربتهم جماعة ، فاثبتوا : لا تَفِرُّوا ، واذكروا الله كثيرا : اذكروه سبحانه في مواطن الحرب ، مُسْتَظْهِرِينَ بِذِكْرِهِ مُسْتَرَقِّبِينَ لِنَصْرِهِ ، وفي هذا إشعارٌ بأن على الإنسان أن لا يَفْتُرَ عن ذكرِ ربه أشغلَ ما يكون قلباً وأكثرَ ما يكون هماً ، وأن تكون نفسه مُجْتَمِعَةً لذلك وإن كانت مُتَوَزَّعَةً عن غيره ، وفشل يفشل : ضَعْفَ وَجْبِينَ وَذَهَبَتْ قُوَاهُ ؛ يقول سبحانه : إذا اختلفتم ضعفتُم وإذا اتفقتم كنتم أقوىاء ، والريح : الدولة ، سُبِّهَتْ في نفوذ أمرها وتمشِّيهِ بالريح وهبوبها ، ومن ذا يقال : هبَّتْ ريح فلان : إذا دالت له الدولة ونفَذَ أمره »

وقال أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد حين وجهه لقتال أهل الردة :

أَحْرِصْ عَلَى الْمَوْتِ تُوَهَّبْ لَكَ الْحَيَاةَ .

وقالوا : من فَكَّرَ فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَشْجَعْ .

وقالوا : السَّلَامَةُ فِي الْإِقْدَامِ ، وَالْحَمَامُ فِي الْإِحْجَامِ .

وتقول العرب : الشَّجَاعُ مَوْتِي . وَأَيُّ تَنْهَيْبِهِ الْإِقْرَانُ فَيَتَحَامُونَهُ

فَيَكُونُ ذَلِكَ وَفَايَةَ لَهُ «

وَأَسَدُ شَيْبَرَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ فِي حَرْبٍ أَرَادُوهَا فَمَقَالَ : أَقْلُوا الْخِلَافَ

لَأَمْرَائِكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصَّيَاحِ مِنَ الْفِشْلِ ، وَالرَّمْيُ يَعْجِزُ لِأَمْحَالَةٍ (١)

وَأَدْرِعُوا اللَّيْلَ فَإِنَّهُ أَخْفَى لِلرَّيْلِ .

وقال هانئ بن مسعود الشيباني يرمي ذي قار يُحَدِّثُ قَوْمَهُ : إِنْ الْحَدَرَ

لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدْرِ ، وَالصَّبْرُ مِنْ أَسْبَابِ الظُّفْرِ ، وَالْمَنِيَّةُ وَاللَّذَنِيَّةُ ، وَاسْتِقْبَالَ الْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِدْبَارِهِ ، وَالطَّعْنَ فِي مُنْعَرِ النَّحُورِ أَكْرَمُ مِنْهُ فِي الْأَعْجَازِ وَالظُّهُورِ ، وَهَالِكٌ مُعْذَرٌ خَيْرٌ مِنْ نَاجٍ فَرُورٌ ...

وقال أبو مسلم الخراساني لبعض قواده : إِذَا عَرَضَ لَكَ أَمْرٌ نَازَعَكَ

فِيهِ مَنَازَعَانِ ، أَحَدُهُمَا يَبْعَثُ عَلَى الْإِقْدَامِ وَالْآخَرُ عَلَى الْإِحْجَامِ ، فَاقْدُمْ ، فَإِنَّهُ أَدْرَكَ لِلنَّارِ ، وَأَنْفَى لِلْعَارِ .

وقالت الخنساء :

نُهِنَ النَّفُوسَ وَهَوَّنَ النَّفُوسَ فِي يَوْمِ الْكَرْبِيَّةِ أَوْقَى لَهَا

وقيل للمهلب بن أبي صفرة : إِنَّكَ كَلَّمْتَنِي نَفْسَكَ فِي الْمَهَالِكِ ، نَقَالَ :

إِنْ لَمْ آتِ الْمَوْتَ مُسْتَرِيلاً ، أَنَا فِي مُسْتَعْجِلًا ، إِنِّي لَسْتُ آتِي الْمَوْتَ مِنْ

(١) مثل معناه : لا تضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز ، والمحالة :

حُبِّهِ وَإِنَّمَا آتَيْهِ مِنْ بُغْضِهِ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْحُصَيْنِ بْنِ الْحَمَامِ الْمُرِّيِّ (١) :  
تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أُجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدِّمًا  
« وَهِيَ آيَاتٌ مَشْهُورَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كَلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا  
نُفْلَقُ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْتَى وَأَظْلَمًا

« وَمَعْنَى تَأَخَّرْتُ ... أَلْبَيْتِ : لَمَّا تَأَخَّرْتُ طَمَعْتُ فِي الْعَدُوِّ ، وَظَنَنْتِي

جَبَانًا فَاجْتَرَأْتُ عَلَيَّ ، لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَطْمَعُ فِي الْجَبَانِ ، وَمَنْ ثُمَّ كَانَ الْقَتْلَ

إِلَى الْجَبَانِ أَسْرَعُ ، فَتَقَدَّمْتُ ، فَكَانَ التَّقَدُّمُ أَنْجَى لِي ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

الْمَعْنَى : أَحْجَمْتُ مُسْتَبْقِيًا لِحَيَاتِي ، فَلَمْ أُجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً كَمَا يَكُونُ فِي الْإِقْدَامِ

وَذَلِكَ أَنَّ الْأُحْدُوثةَ الْجَمِيلَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِالتَّقَدُّمِ لَا بِالتَّأَخُّرِ . وَمَعْنَى فَلَسْنَا

عَلَى الْأَعْقَابِ ... أَلْبَيْتِ : نَحْنُ لَا نُؤَلِّي فَنُجْرَحُ فِي ظَهْرِنَا فَتَقْطُرُ دِمَاؤُنَا

عَلَى أَعْقَابِنَا ، وَلَسْنَا نَسْتَقْبِلُ السِّيفَ بِوُجُوهِنَا ، فَإِنَّ أَصَابَتَنَا جِرَاحٌ

قَطَرَتْ دِمَاؤُنَا عَلَى أَقْدَامِنَا ، وَقَوْلُهُ نَفْلَقُ هَامًا ... أَلْبَيْتِ فَالْحَمَامُ جَمْعُ هَامَةٍ ،

وَهِيَ : الرَّأْسُ يَقُولُ : تُشَقُّ هَامَاتٌ مِنْ رِجَالِ يَكْرُمُونَ عَلَيْنَا ، لِأَنَّهُمْ مَنَا

وَهُمْ كَانُوا أَسْبَقَ إِلَى الْعُقُوقِ : وَيُقَالُ : عَقَّ الرَّحْمُ كَمَا يُقَالُ : قَطَعَهَا .

وَقَالَ الْكَلْبَجِيُّ الْيَرْبُوعِيُّ — شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ — :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْشَ الْكِرْبَةَ أَوْشَكَتْ جِبَالُ الْهُوَيْنِيِّ بِالْقَيْ أَنْ تَقْطَعَنَا

« الْغَشْيَانُ : الْإِتْيَانُ ، وَالْكِرْبَةُ . الْحَرْبُ ، وَقِيلَ : شِدَّتْهَا ، وَقِيلَ

النَّازِلَةُ أَوْ أَوْشَكَتْ : قَارَبَتْ وَدَنَتْ ، وَالْجِبَالُ جَمْعُ جَبَلٍ ، بِمَعْنَى : السَّبَبُ ،

اسْتَعْبِيرَ لِكُلِّ شَيْءٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ ، وَالْهُوَيْنِيُّ : الْخَفِضُ وَالرَّاحَةُ

(١) شاعر فارس جاهلي كان يقال له : مانع الضيم

والباء في بالفتى : للدصاحبة فيكون حالا ، أو بمعنى عن فيتعلمني بها بعدما  
 وجاز لأنه ظرف ، وتقطعا بحذف إحدى التاءين والفاعل ضمير جبال ،  
 وقوله : بالفتى فقد كان يجب أن يقول بدل الفتى : به ، أو : بالمرء واسكنه  
 عدل عن المضممر والمظهر إلى لفظ آخر لأنه أشبه المضممر ، وقال ابن  
 رشيقي : قوله بالفتى حشو وكان الواجب أن يقول : به لأن ذكر المرء قد  
 تقدم ، إلا أن يريد بالفتى معنى الزراية والأطنوزة — السُّخْرِيَّة — فإنه  
 محتمل . وهذا تحيُّلٌ دقيق من ابن رشيقي ،

### المبادر إلى الحرب غير مبال بها

قال البُحْتَرِيُّ :

تَسْرَعُ حَتَّى قَالِ مَنْ شَهِدَ الْوَعْيَ لِقَاءِ أَعَادِ أُمَّ لِقَاءِ حَبَائِبِ

وقالوا : أَشْجَعُ بَيْتِ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسِ :

أَشْدُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَنِ فِيهَا أُمَّ سِوَاهَا

ووصف أعرابي قوماً فقال : ما سألوا قطُّكم القومُ ؟ وإنما يسألون :

أين هم ؟

وسأل رجلٌ يزيدَ بنَ المهلبِ فقال : صف لي نفسك ، فقال : ما بارزت

أحدًا إلا ظننتُ أن رُوْحَهُ في يدي ...

ولما بلغ قَتَيْبَةُ بنُ مُسْلِمٍ حدودَ الصينِ قيلَ له : قد أوغلت في بلاد

الترك ، والحوادثُ بين أجنحةِ الدهرِ تُقْبِلُ وتُدْرِي فقال : بثقتي بنصر

اللهِ توغلتُ ، وإذا انقضتِ المدةُ لم تنفعِ العُدَّةُ ، فقال الرجلُ : آسألكُ حيث

سئتُ ، فهذا عزمٌ لا يفلهُ إلا اللهُ ...

## حث من دعى إلى المبارزة على الإجابة

قال علي بن أبي طالب لبعض بنيه : لا تدعون أحداً إلى المبارزة ،  
ولا يَدْعُوْكَ أَحَدٌ إِلَّا أَجَبْتَهُ ، فالداعى باغ ، والباغى مصروع .  
وقال طرفة بن العبد :

إذا القوم قالوا : من قتي ؟ خلت أني

عنيت فلم أكسل ولم أتبلد<sup>(١)</sup>

وقال بشامة بن حزن النهشلي - شاعر إسلامي - :

إننا لمن معشر أفتى أوائلهم قول الحكمة : ألا ابن المحامونا ؟  
لو كان في الآف مننا واحد فدعوا من فارس خالهم إياه يعنوننا

## المنازل وقت المنازلة

قال زهير بن أبي سلمى من قصيدة يمدح هريماً :

ليثٌ يثمر يضطاد اللبث إذا

ماللث كذب عن أفرانه صدقاً

يظفونهم ما ارتموا حتى إذا أطمسوا

ضارب حتى إذا ما صاربوا أعتقاً

« عثر : ، وضع باليمن ، وقيل : مأسدة بناحية تبالة . وقوله : كذب

أى لم يصدق الجملة ، يقال : كذب الرجل عن كذا : إذا رجع عنه ،

(١) من تعلقت ، يقول : إذا القوم قالوا : من قتي يكفى مهما أودفع شراً ؟ خلت

أنى المراد بقولهم ، فلم أكسل في كفاية المهم ودفع الشر ، ولم أتبلد فيهما



يقول : إذا رجح الشجاع عن قرنه ولم يصدّق الحلة عليه فهذا الممدوح يصدّقها . واعتق : التزم قرنه ، يقول : إذ ارتمى الناس في الحرب بالنبل دحل هو تحت الرمي فيملا يطاعنهم ، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف ، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتمنى قرنه والتزمه ، أى أنه يزيد عليهم في كل حال من أحوال الحرب »

### صدر من عبقرياتهم في الصبر

من أحسن ما قيل في الصبر يوم اللقاء قول نهمشل بن حرى بن ضمرة (١) :

ويوم كان المصطابين بحره - وإن لم تكن نار - قيام على الجمر  
صبرنا له حتى يبوخ وإنما تفرج أيام الكريهة بالصبر  
« باخت الحرب والنار تبوخ بوخا وبووخا وبوخا : سكنت وقبرت  
وكذلك الحر والغضب والحوى »  
وقال من لا أذكر اسمه :

بكي صاحبي لما رأى الموت فوقنا مُطلاً كإطلال السحاب إذا اكفهر  
فقلت له : لا تبك عينك إنما يكون غداً حُسنُ الثنا لمن صبر  
فما أحر الإحجام يوماً مُمجلاً ولا عجل الإقدام ما أحر القدر

(١) شاعر شريف مشهور من المخضرمين بقى إلى أيام معاوية وكان مع علي في حروبه ، وأبوه شاعر شريف وجده ضمرة ضخم الشرف وكان من خير بني دارم ، دخل على النعمان بن المنذر فقال له : من أنت ؟ قال : أنا حمزة ، قال النعمان : تسمع بالمعدي لا أن تراه فقال : أبيت اللعن ، إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، إن نطق نطق ببيان وإن قاتل قاتل بجهان الخ .

فَأَسَى عَلَى حَالٍ يَقِلُّ بِهَا الْأَسَى  
وَكَرَّ حِفَاطًا خَشِيَّةَ الْعَارِ بَعْدَمَا  
وَقَالَ قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ: (١)

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شِعَاعًا  
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ  
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا  
وَلَا تَوْبُ الْبَقَاءِ بِثَوْبِ عَزِيٍّ  
سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ  
وَمَنْ لَا يُعْتَبِطُ بِسَأْمٍ وَيَهْرَمُ  
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ

مِنَ الْإِبْطَالِ: وَيُحَكِّ لَنْ تُرَاعِي  
عَلَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَنْ تُطَاعِي  
فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعٍ  
فِيُطَوِّى عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْبِرَاعِ  
فَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي  
وَتُسَلِمُهُ الْمُنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ  
إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

« أقول لها ، أى للنفس ، والشعاع : المتفرق ، وهذا مثل ، ومعناه المبالغة  
في الفرع ، ولن تراعى من الروح ، وهو : الفرع . يذكر تشجيعة نفسه  
وتعريفه إياها — بعد ما استشعرت الفرع — أن الاجل مُقدَّر وأن الزيادة  
لا تلحقه كما بين ذلك في البيت التالى . وأخو الخنع : الذليل ، والخنوع :  
الذلة ، ولا يكاد الخنوع يُستعمل إلا في ذلة في غير موضعها ، واليراع :  
القصبة التى لا جوف لها ، والرجل الجبان لا قلب له ؛ فكأنه لا جوف له ،  
فوضع اليراع مكان الجبان ، لأنه بمعناه . والاعتباط : الموت من غير علة  
يقول : مَنْ لَمْ يَمُتْ شَابًا مَاتَ هَرَمًا ، وبسأم : أى يسأم ما يعتره من تكاليف

(١) فارس شاعر مشهور ، وشخصية ضخمة فى الإسلام ، كان رأساً من رؤس  
الخوارج ، وسلم عليه بالخلافة ثلاث عشرة سنة .

الحياة ولا بُدَّ أن تُسَلِّمَهُ المَنُونُ يوماً إلى الانقطاع، أى لا بد في النهاية من الموت،

وقال عَمْرُو بْنُ الإِطَنْبَةِ - شاعر جاهلي، والإطنابة: أمه - :

أَبْتُ لِي عَفَّتِي وَأَبِي بِلَاتِي وَأَخَذِي الحِمْدَ بِالشَّمَنِ الرِّيحِ (١)

وإِقْدَامِي عَلَى المَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرَبِي هَامَةَ البَطَالِ المُشِيحِ (٢)

وقولي كَلِمَا جَشَّاتُ وَجَاشَتْ مَكَانَكَ تُحَمِّدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي (٣)

لِإِدْفَعِ عَن مَأْتَرِ صَالِحَاتٍ وَأُحْمِي بَعْدُ عَن عَرِيضِ صَحِيحِ.

يُرَوَّى أَنَّ مَعَاوِيَةَ قَالَ : اجْمَعُوا الشُّعْرَ أَكْبَرَ هَمِّكُمْ وَأَكْثَرَ آدَابِكُمْ فَإِنَّ

فِيهِ مَأْتَرُ أَسْلَافِكُمْ وَمَوَاضِعُ إِرْشَادِكُمْ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي لَيْلَةَ الهَرِيرِ وَقَدْ عَزَمْتُ

عَلَى الفِرَارِ فَهَارَدَنِي إِلا قَوْلُ ابْنِ الإِطَنْبَةِ ، وَأَنْشَدَ الآيَاتِ .

\*\*\*

وقيل لبعض بني المهلب : بِمَ نَلْتُمُ مَا نَلْتُمُ ؟ قَالَ : بِصَبْرِ سَاعَةٍ

(١) بِلَاتِي : بأسي في الحروب ، واستعار الثمن لما يبذله في المكارم على طريق

التصريح ، والرَّيحُ الزائد منه

(٢) وإِقْدَامِي يُرَوَّى : وإِجْشَامِي ، وَيُرَوَّى بِدَلِّ هَذَا السُّطْرِ

• وَإِعْطَانِي عَلَى الإِعْدَامِ مَالِي •

والهامة : الرأس ، والمشيح : المبادر المنكش الجاد في القتال ،

(٣) وقولي كَلِمَا جَشَّاتُ وَجَاشَتْ يُرَوَّى • وقولي كَلِمَا جَشَّاتُ لِنَفْسِي •

وهي رواية جيدة ومعنى : جَشَّاتُ وَجَاشَتْ : كَلِمَا تَطَلَعَتْ وَنَهَضَتْ جِزْعًا وَفِرْعًا وَعَنْ

بَعْضِهِمْ : جَاشَتْ نَفْسُهُ : غَشَّتْ أَوْ دَارَتْ لِلغَيْثَانِ : فَإِنَّ أَرْدَتْ أَنَّهَا ارْتَفَعَتْ مِنْ حِزْنٍ

أَوْ فِرْعٍ قَلَّتْ جَشَّاتُ . وَمَكَانَكَ اسْمُ فَعْلٍ أَيْ : الزَّمِي يَأْنِفُ مَكَانَكَ بِحَمْدِكَ النَّاسِ

أَنْ ظَفَرَتْ أَوْ تَسْتَرِيحِي إِنْ مِتَّ

## الخدعة والحيلة والتحرز في الحرب

قال سيدنا رسول الله : ( الحرب خدعة ) « خَدَعَةٌ وَخُدْعَةٌ ، والفتح أفصح ، وَخُدْعَةٌ مثل هُمَزَةٍ ، قال علماءنا : ورُويَت عن النبي صلى الله عليه وسلم : خَدَعَةٌ ، ومعناها : من خُدِعَ فيها خَدَعَةٌ فزَلَتْ قَدَمُهُ وَعَطِبَ فليس لها إقالة ؛ قال ابن الأثير : وَخَدَعَةٌ . أفصح الروايات وأصحها ، ومن قال خُدْعَةٌ أراد . هِيَ تُخَدَعُ ، كما يقال : رجلٌ لَعْنَةٌ : يُلَعَنُ كثيراً ، وإذا خُدِعَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ صَاحِبُهُ في الحرب فكأنما خُدِعَت ؛ ومن قال : خُدْعَةٌ أراد أنها تُخَدَعُ أهلها ، كما قال عمرو بن مَعْدِيكَرِب <sup>(١)</sup>

الحربُ أولَ ما تكونُ فِتْيَةً تُسَعَى بِزِيَدَتِهَا لكلِّ جهول  
حتى إذا استعمرت وشبَّ ضرامُها

عادت عجوزاً غيرَ ذاتِ خليلٍ

شمطاءً جَزَتْ رأسها وتَنَكَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ والتَّقْيِيلِ

وقالوا : إذا لم تَنْلِبْ فَأَخْلُبْ « أي إذا أعيك الأمرُ نُغَالِبُهُ فَاطْلُبْهُ

نُخَادَعُهُ » .

وقال بعضهم : كُنْ بِحِيلَتِكَ أَوْفَقَ مِنْكَ بِشِدَّتِكَ ، وبِحَدْرِكَ أَفْرَحَ

مِنْكَ بِتَجَدَّتِكَ ، فإن الحربَ حَرْبٌ لِلْمَتَهَوِّرِ وَغَنِيمةٌ لِلْمَتَحَدِّرِ

وقالوا : حازمٌ في الحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ فِارِسٍ ، لأنَّ الفِارِسَ يَقْتُلُ

عَشْرَةَ وَعِشْرِينَ ، وَالْحَازِمَ قَدْ يَقْتُلُ جَيْشاً بِحَرْبِهِ وَتَدْبِيرِهِ .

(١) هو الفارس المشهور صاحب الغارات والوفائع في الجاهلية والإسلام وهو

صالح رضى الله عنه .

وقالوا: القائد العظيم ينبغي أن تكون فيه خصالٌ من أخلاق الحيوان:  
شجاعة الديك، وتحنن الدجاجة، وقلب الأسد، وحملة الخنزير، وورغان  
الثعلب، وختل الذئب، وجمع الذرّة، وبكور الغراب.

وقال المهلب بن أبي صفرة لبيده: عليكم في الحرب بالمكيدة فإنها  
أبلغ من النجدة... وسئل بعض أهل التمرس بالحروب: أي المكائد  
فيها أحزم؟ فقال: إذكاء العيون، — بث الجواسيس — وإفشاء الغلبة  
واستطلاع الأخبار، وإظهار السرور، وإماتة الفرق — الخوف —  
والاحتراس من البطانة، من غير إقصاء المستنصح ولا استنصاح  
لمستغش، وإشغال الناس عما هم فيه من الحروب بغيره.

وكان مالك بن عبد الله الحثعمي وهو على الصافية — الجماعة تُقام  
وتُصَفُّ للحرب — يقوم في الناس — إذا أراد أن يرحل — فيحمد الله  
ويثني عليه، ثم يقول: لئن دأرت بالعداة درب كذا: فينفرق الجواسيس  
عنه بذلك، فإذا أصبح سلك بالناس طريقاً غيرها، فكانت الروم تُسميه:  
الثعلب...

وقال حكيم: اللطف في الحيلة، أجدى للوسيلة.

وقالوا: من لم يتأمل الأمر بعين عقله لم يقع سيف حيلته إلا على مقاتله  
والثبث يُسهل طريق الرأي إلى الإصابة، والعجلة تُضمن العثرة.

وبعد، فإن هذا الباب متسع جداً، ومن أحب التوسع فيه والوقوف  
على أخبارهم في المكائد، وأساليبهم العجيبة فيها فعليه بالموسوعات — مثل  
نهاية الأرب للتويري، وعيون الأخبار لابن قتيبة، وبكتب التاريخ،  
فتلك مجالاتها.

ما ينبغي أن يتصف به

أمرأء الجيوش

من أجود ما قيل فيما ينبغي أن يتصف به أمرأء الجيوش قول لقيط ابن يعمر الإيادي - وهو شاعر جاهلي قديم مقلد - كان كاتباً في ديوان كسرى سابور بن هرمز الملقب بندي الأكتاف - وكانت إياد غلبوا على سواد العراق ، وقتلوا من كان به من الفرس ، فلما بلغ خبرهم سابور أجمع على غزو إياد فكتب إليهم لقيط قصيدة ينذر قومه غزو سابور إياهم ، فوقع الكتاب بيد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إيادا وهي قصيدة جيدة جداً يقول فيها :

أبلغ إياداً وخللٌ في سراتهم إن رأيت الرأي إن لم أعص قد نصعاً<sup>(١)</sup>  
 يالحنف نفسي إن كانت أموركم شتى وأحكمت أمر الناس فاجتمعا  
 إنني أراكم وأرضاً تُعجبون بها مثل السفينة تغشى الوعث والطبعمتا<sup>(٢)</sup>  
 ألا تخافون قوماً لا أبالكم أمسوا إليكم كأمثال الدببا سراً<sup>(٣)</sup>

(١) خلل في سراتهم : خصص يقال : خلل في دعائه ، أي خصص ، قال :

كأنك لم تسمع ولم تك شاهداً غداة دعى الداعي فعم وخللا

والسراة جمع سري ، وقيل : اسم جمع والجمع سرواه وأسرياه . وهم الأشراف أولوا المروءة ، ونصعاً : وضع من نصع اللون نصوعاً ونصاعة : اشتد بياضه

(٢) الوعث من الرمل : ما غابت فيه قوائم الدواب . والطبع في الأصل : ما يغشى

السيف من الصدأ ، استعاره لما يعلو الماء من الغشاء والزبد ، شبه سرورهم وهم بأرضهم غير مفكرين فيما يحوطها وفيما يحفظها من العدو بالسفينة تغشى - وهي سائرة - ما يمنع حركتها ويصد جريتها

(٣) الدبب : الجراد قبل أن يطير : وسرعا : مصدر سماعي لسرع سراعاً وسرعة :

أبناء قوم تآيؤكم على حنّي  
لا يشعرون أضلّ الله أم نفعا<sup>(١)</sup>  
أحرار فارس أبناء الملوك لهم  
من الجوع جموع تزدهي القلعا<sup>(٢)</sup>  
إلى أن يقول :

خزر عيونهم كأنّ لحظهم  
لا الحزّت يشغلهم بل لا يرون لهم  
حريق غاب ترى منه السنّا قطعاً<sup>(٣)</sup>  
من دون بيضتكم ريباً ولا شبعاً<sup>(٤)</sup>  
وأتمّ تحرّتون الأرض عن سقه  
في كل معتمّل تبغون مزرعا<sup>(٥)</sup>  
وتلبسون ثياب الأمن ضاحية  
لا تفزعون وهذا الليث قد جمعا<sup>(٦)</sup>

إذا عجل ، يريد : أمنوا مسرعين

(١) تآيؤكم : تعمدوكم وقصدوكم ، يقال : تآيتته برزن تفاعلته ، وتآيته - بالتشديد - إذا تعمدت آيته ، وآيته : شخصه .

(٢) تزدهي : تستخف ، وقد زهاه زهواً وازدهاه : استخفه وتهاون به . والقلع جمع قلعة - بالتحريك - : صخرة عظيمة صعبة المرتقى تتقلع عن الجبل

(٣) خزر عيونهم من الحزر - بالتحريك - وهو : ضيق الجفون لتحديد النظر ، والقاب جمع غابة وهي . أجمة القصب أو ذات الدجر المتكاثف ، سميت بذلك لأنها تغيب من فيها ، والسنّا : ضوء النار ولعان البرق

(٤) بيضتكم : مجتمعكم وموضع عزمكم ، على المثل بيضة الدجاجة إذا سلمت سلم ما فيها من طعم أو فرخ ، وفي الحديث : ولا تسلط عليهم عدواً فيستبيح بيضتهم ، يريد : موضع سلطانهم ومستقر عزمهم ، واستباحتها : استصلها

(٥) معتمّل : موضع اعتمال ، وهو أن يعمل الرجل لنفسه كاختدم إذا خدم نفسه وأنشدوا :

إن الكريم وأبيك يعتمل إن لم يجد يوماً على من يتكل  
و أراد من يتكل عليه لحذف عليه هذه وزاد على مقدمة أي أنه يعتمل إن لم يجد  
من يتكل عليه

(٦) ضاحية : علانية

مالي أراكم نياماً في بلهنية وقد ترون شهاب الحرب قد سَطَمًا (١)  
 فاشفروا غليلي برأى منكم حصيدٍ يُصْبِحُ نَوَادِي له رِيَانٌ قد نَقَعَا (٢)  
 ولا تكونوا كمن قد بات مَكْتَنَعَا إذا يُقَالُ له : افْرُجْ غُمَّةً كَنَعْنَا (٣)  
 يسعى ويحسب أن المالَ مُخْلِدُهُ إذا استفادَ طريقاً زادَه طَمَعَا (٤)  
 فاقتوا جِيَادِكُمْ واحموا ذِمَارَكُم

واستشعروا الصبرَ لاتستشعروا الجزعا (٥)

إلى أن قال :

لأنهم لم يلبسوا لئلا يستلذوا لكم إبلٌ إن العدوَّ يعظم منكم قرعاً (٦)  
 لا تشمروا المالَ الأعداءِ لأنهم إن يظهروا يحثوكم والبلاءَ معاً

(١) بلهنية : رخاء وسعة عيش وغفلة من حوادث الدهر

(٢) الغليل في الاصل : شدة العطش وحرارته ، أراد : شدة الحزن وحرارته  
 وحصيد - بكسر الصاد - : محكم ، من الحصيد - بالتجريك - وهو في الاصل : اشتداد  
 قتل الحبال واستحكام الصناعة في الاوتار والدرع ، وكذلك رأى حصيدو مستحصد ،  
 ونقع الماء العطش : أذهب وسكته ، محثهم على توحيد الرأي لا تختلف بهم الاهواء  
 (٣) مكتنعاً : منقبضاً مجتمعاً ، وكنع الرجل : قبض واجتمع ، وقال ابن الأثير :  
 جبن وهرب .

(٤) الطريف من المال : ما استطرفته واستحدثته كالطارف ، خلاف التليد  
 والتلاد والتالد ، وهو : ما ورثته عن الآباء قديماً

(٥) فاقتوا جيادكم : الزمواها ، والذمار : ما يلزم حفظه وحمايته من مال وأهل  
 وعسيرة ، واستشعروا الصبر : مستعار من استشعر الثوب : لبسه على شعر جسده ،  
 وهو الشعار دون الدثار ، يقول : وطنوا أنفسكم على الصبر ولا تضمروا الجزع  
 في أنذتكم

(٦) إن العدو الخ يريد : إن قرع العدو عظمكم ، والقرع : الضرب ، كنى  
 بذلك عن إذلالهم وإهانتهم



والله ما انفكت الأموال منذ أبدٍ لأهلها إن أُصيبوا مرةً تبعاً  
يا قوم إن لكم من إرث أوليكم مجداً قد آشفقتُ أن يفنى وينقطعاً  
ماذا يرُدُّ عليكم عزُّ أوليكم إن ضاع آخره أو ذلَّ واتضعا  
يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيراً على نسائكم كسرى وما جمعاً<sup>(١)</sup>  
يا قوم بيضتكم لا تفجعن بها إلى أخاف عليها الأزلم الجذعا<sup>(٢)</sup>  
هو الجلاء الذي يجتث أصلكم فمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمياً<sup>(٣)</sup>  
قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعاً<sup>(٤)</sup>

ثم قال يصف أمير الجيش — وهو شاهدنا — :

وَقَلَدُوا أَمْرَكُمْ لَللَّهِ دَرُّكُمْ رَحْبَ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلَعاً<sup>(٥)</sup>

(١) غير - بضمين - جمع غير ، من الغيرة وهي : الحمية والانفة  
(٢) تقدم معنى البيضة آنفاً ، والأزلم الجذع في الأصل : الوعل ، وهو تيس  
الجليل ، وذلك أن له زلمتين . وهما هتان معلقتان في حلقة ، وهو مادام حياً جذع  
لا تسقط له سن . استعير ذلك للدهر الشديد ، وذلك أن البلايا منوطة به تابعة له  
وأنه باق على حاله لا يتغير على طول إناه كأنه قتي لم تفسط له سن ، ومن كلاهم :  
أودى به الأزلم الجذع يريدون : أهلكه الدهر

(٣) يجتث أصلكم : يقتله ويستأصله ، ومعنى اجتث في اللغة : أخذت جثته  
(٤) أمشاط جمع مشط - بضم الميم - وهي : سلاحيات ظهر القدم ، وهي  
العظام الرقاق المفرشة فوق القدم دون الأصابع ، وقوله : ثم افزعوا يريد : هبوا  
وانتهبوا كما يفزع النائم ، وكأنه من الفزع - الخوف - لأن الذي يهب وينتبه لا يخلو  
من فزع ما

(٥) رحب الذراع كناية عن إطاقته وسعة قوته ، ومضطلع مفتعل من الضلعة  
وهي قوة الأضلاع ، وقد اضطلع بحمله : قوى عليه ونهض به

لا مُتْرَفًا إِنْ رَخَاءُ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ      ولا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهُ بِهِ خَشَعًا <sup>(١)</sup>  
 لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَبَيْتَ بَيْعَتَهُ      هَمٌّ يَكَادُ شَبَاهُ يَفِصْمُ الضَّلْعَا <sup>(٢)</sup>  
 مَسْهَدُ النَّوْمِ تَعْنِيهِ أُمُورُكُمْ      يرومُ منها إلى الأعداءِ هُطَلَعَا  
 ما زال يَجْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ      يكونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبِعًا <sup>(٣)</sup>  
 حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرِّ مَرِيرَتِهِ      مُسْتَحْكِمِ الرَّأْيِ لَا قَهْمًا وَلَا ضَرَعًا <sup>(٤)</sup>  
 وليس يَشْغَلُهُ مَالٌ يُشْمَرُهُ      عنكم ولا وَلَدٌ يَبْغِي لَه الرِّفْعَا  
 إلى أن قال :

(١) المترف : المتنعم المتوسع في ملاذ شهواته

(٢) ريث بيعته : مقدار ما بيعته ، يقول : لا يطعم النوم إلا يسيراً حتى بيعته  
 الهم الماضي ، والشبا جمع شباة وهى حد كل شىء وطرفه كحد السيف والسنان ، نخيل  
 أن لهما حداً ، ويفصم من الفصم - بالفاء - وهو أن ينصدع الشىء من غير أن يبين  
 خلاف القصم - بالقاف - وهو كسر الشىء الشديد حتى يبين ، والضلع والضلع لغتان  
 وهى : محنية الجنب

(٣) يجلب هذا الدهر أشطره يريد : خبر ضروبه ، يعنى أنه مر به خيره وشره  
 وشدته ورخاؤه : تشبيهاً بجلب جميع أخلاف الناقة ما كان فيها حفلاً وغير حفلاً وداراً  
 وغير دار ، وأصله من أشطر الناقة ، ولها خلفان قدامان وآخران كأنه حلب القادمين  
 وهما الخيرو والآخريين وهما الشر ، وكل خلفين شطر ، وجعل الأشطر موضع - الشطرين  
 كما تجعل الحواجب موضع الحاجبين ، وقوله : يكون متبعاً طوراً ومتبعاً ، أى قد  
 اتبع الناس فعلم ما يصلح به أمر الناس ، واتبع فعلم ما يصلح الرئيس ، كما قال عمر بن  
 الخطاب رضى الله عنه : قد أئنا وإبل علينا ، أى : سسنا وسيس علينا فأصلحنا أمور  
 الناس وأصلحت أمورنا ، وكل ذلك كناية عن جودة الرأى وإحكام الأمر

(٤) المريرة من الحبل : ما طال واشتد قوته واجمع المرائر ، واستمرت : استحكمت  
 والشزر : القتل ، ضرب ذلك مثلاً لاستجماع قوته واستحكام عزيمته ، والقهم : الكبير  
 المسن ، والضرع هنا : الصغير السن الضعيف

لقد بذلتُ لكم نُصِيحِي بلا دَخَلٍ فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعًا  
 هذا كتابي إليكم والنذيرُ لكم لمن رأى رأيه منكم ومن سَمِعَا  
 ولما أوفد المهَّابُ بن أبي صُفْرَةَ كعبَ بن معَدان الأشقريَّ حين  
 هزم عبد ربه الأصغرَ وأجلى قطريَّ بن الفجاءة حتى أخرجَه من كِرمَانَ  
 نحو أرض خراسان إلى الحجاج بن يوسف ، قال له الحجاج : كيف كانت  
 مُحاربةُ المهَّابِ للقوم ؟ قال : كان إذا وجد الفرصة سار كما يسور الليث ،<sup>(١)</sup>  
 وإذا دَهَمَتْهُ الطَّخْمَةُ<sup>(٢)</sup> راغ كما يروغ الثعلب ، وإذا مادَّه القومُ صبرَ صبرَ  
 الدهر . قال : وكيف كان فيكم ؟ قال : كان لنا منه إشفاقُ الوالدِ الحَرَبِ  
 وله منا طاعة الولدِ البرِّ . قال : وكيف أفلتكم قطريُّ ؟ قال : كادنا ببعض  
 ما كدناه به ، والأجلُ أحصنُ جُنَّةً وأنفذُ عُدَّةً . قال : فكيف اتبعتُم  
 عبد ربه وتركتموه ؟ قال آثرنا الحدَّ على الفلِّ<sup>(٣)</sup> ، وكانت سلامةُ الجُنْدِ  
 أحبَّ إلينا من شَجَبِ العدو<sup>(٤)</sup> . فقال له الحجاج : أكننتَ أعددتَ هذا  
 الجوابَ قبلَ لقائي ؟ قال : لا يعلمُ الغيبَ إلا الله ...

### حشهم على التفكير قبل التقدم

قالوا : من قاتل بغيرِ نَجْدَةٍ ، وخاصَمَ بغيرِ حُجَّةٍ ، وصارع بغيرِ قوَّةٍ  
 فقد أعظمَ الخطرَ ، وأكبرَ الفررَ ... الفرر : الخطر ،

(١) سار : وثب وثار

(٢) الطخمة : جماعة الناس ، يربد جند العدو

(٣) الفل : القوم المنزومون

(٤) الشجب : الهلاك

وقالوا :

إذا ما أردت الأمر فأذرعهُ كُلَّهُ      وقِسهُ قِياسَ التَّوْبِ قبلَ التَّقَدُّمِ  
لعلَّكَ تَنجُو سألماً من نَدَامَةٍ      فلا خَيرَ في أمرٍ أتى بالتَّندُمِ

## من يُوثر الموت في العز على الحياة في الذل

قال المتنبي :

عِشْ عَزيزاً أو مُتاً وأنتَ كَرِيمٌ      بينَ طَعينِ القِنا وخَفِقِ البَنودِ  
فَرُوسُ الرِّماحِ أَذْهَبُ لِلغَيبِ      يَظُّ وأُشْفَى لِغَيلِ صَدْرِ الحَقودِ  
لا كما قد حَيتَ غيرَ حَميدِ      وإذا مُتَّ مُتٌ غيرَ فَقيدِ  
فأطُلبُ العِزَّ في لَظَى وذَرِ الذِّ      لَ ولو كانَ في جِنانِ الخلودِ

وقال أبو تمام :

يَرَى العَلَمَ المأدومَ بالعِزِّ أَرِيَّةً      يَمَانِيَّةً والأَرِيَّ بالضِّيمِ عَلقَمًا<sup>(١)</sup>  
ونظر عبد الله بن علي العباسي إلى فتى عليه أبهة الشرف وهو يقاتل  
مُستَبسِلًا<sup>(٢)</sup> ، فناداهُ : يا فتى ، لك الأمانُ ولو كنتَ مَرُوانَ بنِ مُحَمَّدٍ - آخر  
الدولة الأموية - فقال : إلا أكنهُ ، فليستُ بِدُونِهِ ، قال : فَلكَ الأمانُ  
مَنْ كنتَ ؛ فأطرقَ نِمَ قال :

(١) المأدوم : المخلوط ، والأرية : واحد الأري ، وهو : العسل ، وقلباتستعمل  
واحدة ، ووصفها باليمانية لأن النحل تعسل في جبال الشراة وهي باليمن  
(٢) المستبسِل الذي يطرح نفسه في الحرب : يريد أن يقتل أو يقتل لا محالة

أَذَلَّ الحَيَاةِ وَكُرَّهَ المَمَاتِ      وَكَلَّأَ أَرَاهُ طَعَامًا وَوَيْلَا  
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ إِحْدَاهُمَا      فَسِيرًا إِلَى المَوْتِ سِيرًا جَمِيلًا  
ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ؛ قَالَ : فَإِذَا هُوَ ابْنُ مَسْكِينَةَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ  
مِرْوَانَ .

### نهيهم عن مخافة القتل

وَحَثَّهُمْ عَلَى تَصَوُّرِ المَوْتِ

وَتَمْدِحِهِمْ بِذَلِكَ

قِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : أَتُقَاتِلُ أَهْلَ الشَّامِ بِالْغَدَاةِ وَتَظْهَرُ بِالعَشِيِّ  
فِي نَوْبٍ وَرَدَاءٍ ؟ فَقَالَ : أَبِالمَوْتِ أَتَخَوِّفُ اللهَ ، مَا أَبَالِي أَسَقَطْتُ عَلَى  
المَوْتِ أَمْ سَقَطَ المَوْتُ عَلَىَّ وَكثِيرًا مَا كَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَتَمَثَّلُ :  
أَيُّ يَوْمِي مِنَ المَوْتِ أَفْزَى      يَوْمَ لَمْ يُقَدَّرْ أَمْ يَوْمَ قُدِّرَ (١)

(١) هذا البيت من أبيات نسبه السيوطي في شواهد المغني لشاعر اسمه الحارث  
ابن منذر الجرمي ونسبها ابن سيده - اللسان مادة عفر - لشاعر آخر اسمه ضباب بن  
واقد الطهوي وقد أورد السيوطي بعده هذه الأبيات :

إِنَّ أَخْوَالَ جَمِيعًا مِنْ شَقِيرٍ      لَيْسُوا لِي عَمَّاسًا جِلْدَ النَّمِيرِ  
تَحْتَوُوا أَنُتَلِّتْنَا بَغِيًّا وَلَمْ      يَرْهَبُوا غَبَّ الوَبَالِ المُسْتَعِيرِ  
فَلَيْنَ طَاطَأَتْ فِي قَلْبِهِمْ      لَتَهَاضَنَّ عِظَامِي عَنْ عَفْرِ  
وَلَيْنَ غَادَرْتُهُمْ فِي وَرْطَةٍ      لِأَصِيرَنَّ نَهْرَةَ الذَّبِّ القَفِيرِ  
وَلَيْنَ أَعْرَضْتُ عَنْهُمْ بَعْدَمَا      أَوْهَنْتَنِي لِتَصِيبَنِي بِقُرِّ

أورد ابن هشام وغيره هذا البيت هكذا :

يَوْمَ لَمْ يُقَدَّرَ لَأَرْهَبُهُ وَمِنَ الْمَقْدُورِ لَا يُنْجِي الْحَذَرُ  
وقال المتنبي :

إِذَا غَامَزْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَفْتَحْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ  
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ صَغِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ

« يقول : إذا حاولت الشرف وخاطرت بنفسك في سبيل الحصول عليه فلا تفتح بما دون أعلاه ، ولا ترض باليسير منه ، فإن طعم الموت في الأمر الهين كطعمه في الأمر الصعب ، وإذن فلا سبيل للبالغام إلا أن يقصد إلى أسمی الامور »  
وقال :

بِرَى الْجُبْنَاءُ أَنَّ الْعَجْزَ عَقْلٌ وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبَعِ اللَّثِيمِ

في أى يومى من الموت أفر أَيَوْمَ لَمْ يُقَدَّرَ أَمْ يَوْمَ تُدِرُّ

بفتح راه يقدر شاهدا على أن لم قد ينصب بها المضارع في لغة وأورد ابن هشام كلاماً لأئمة النحاة في تخریج البيت على نصب يقدر « راجع في المغنى في الكلام على لم ، وفي اللسان مادة قدر ، والآن لنشرح هذه الآيات الجميلة فنقول : قوله : لبسوا لى عمساً جلد الثمر ، فالعمس : الشدة يقول : أبطنوا لى العداوة ، وأئمة كل شىء : أصله ، ويقال : فلان ينحت أئمتنا : إذا قال في حسبه قبيحاً ، وطأطأ في قتلهم : أسرع واشتد ، وقوله  
\* لتهاضن عطامى عن عفر \*

أى : عن بعد من أخوالى لانهم وإن كانوا أقرباء فليسوا في القرب مثل الأعمام ، والورطة الامر تقع فيه من هلكة وغيرها أو هى الهلكة ، ونهزة : أى صيد وفى الأصل : اسم للشىء الذى هو لك معرض كالغنيمة ، والفرصة تجدها من صاحبك ويقال : نهزة المختلس أى : هو صيد لكل أحد ، والذئب القفر : المنسوب إلى القفر - المفازة لانبات بها ولا ماء - وقوله : لتصينى بقر فإنه يقال للشدة إذا نزلت : صارت بقر أى : صارت الشدة في قرارها ، وقال أبو عبيد : إنما هو مثل ، وربما قالوا : وقعت بقر . وقال ثعلب معناه : وقعت في الموضع الذى ينبغى

وقال : من قطعة جيدة نوردتها كُفَّها لبراعتها :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانِ وَعَنَانُهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَانَا  
وَتَوَلَّوْا بَعْضَهُ كُلُّهُمْ مِنْهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانَا  
رَبَّمَا نُحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَالِيهِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَ  
وَكَأَنَّمْ يَرِضُ فَيُنَابِرِيبُ الدَّهْرَ رَحَى أَعَانَهُ مِنْ أَعَانَا (١)  
كَلِمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاءَ رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاءِ سِنَانَا (٢)  
وَمُرَادُ النَّفْوِسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ تَعَادَى فِيهِ وَأَنْ تَتَفَانَا  
غَيْرَ أَنْ الْفَتَى يَلَاقِي الْمَنِيَا كَالْحِلَاتِ وَلَا يَلَاقِي الْهُوَانَا (٣)  
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيِّ لَعَدَدْنَا أَضْلَانَا الشُّجْعَانَا (٤)  
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدَّ فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا (٥)

(١) في « يرض » ضمير هو فاعل يرض يفسره « من أعانا » وأضمره قبل الذكر على شريطة التفسير ، أو تقول : إن « من أعانا » فاعل يرض وأعانه على التنازع ، يقول : هذا الذي أعان على الدهر كأنه لم يرض بما يصيبني من محنة حتى أعانه على كما قال الآخر :

أَعَانَ عَلَى الدَّهْرِ إِذْ حَكَ بَرَكُهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَلَّمْتُهُ بِي كَافِيَا

« البرك » : كل كل البعير و صدره الذي يدوك به الشيء تحت ،

(٢) القنأة : عود الرمح ، والسنان : زجه الذي يطعن به يقول : إذا انتدب الزمان للإساءة بما جبل عليه صارت عداوة المعادي مدداً لقصدته نحوك ، فجعل القنأة مثلاً لما في طبع الزمان وجعل السنان مثلاً للعداوة  
(٣) كالحات : عابسات .

(٤ و٥) يقول : لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذي يتعرض للقتل أفضل الناس ، يعني أن الحياة فانية وإن جبن الإنسان ولزم عقر داره وحرص على البقاء ثم أكد هذا بالبيت التالي يقول : إذا كان الموت لا يحيص عنه ولا ينجو منه شجاع ولا جبان فإن الجبن يكون من ضعف الهمة وعجزها .

كُلُّ مَالٍ يَكُنْ مِنْ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفِ

س سهلٌ فيها إذا هو كانا (١)

وبعثتُ بنو حنيفةَ بِالْفِنْدِ الزَّمَانِيَّ (٢) حين طلبت بكرُ بنُ وائلٍ إليهم  
يستنصرونهم، وقالوا - بنو حنيفة - : قد بعثنا إليكم ألف فارس - وكان  
يقال له : عديد الألف - فلما ورد قالوا له : أين الألف ؟ قال : أنا ، فلما  
كان الغدُ وبرزوا حمل على ألف فارس مُرَدِّفٍ فانتظَمَهُمْ ...

(١) كل : مبتدأ ومن الصعب خبرها وسهل خبر ثان ويكن تامة وكذا وكانا ،  
يقول : إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه فإذا وقع سهل وهان كما قال  
البحترى :

كَعَمْرُكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا ارْتَقَابُهُ وَأَبْرُحٌ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ

(٢) الفند الزماني - واسمه شهل بن شيبان بن ربيعة ... بن بكر بن وائل - شاعر  
جاهلي قديم ، وفارس من فرسان ربيعة المشهورين المعدودين ، شهد حرب بكر وتغلب  
وهو صاحب هذه الأبيات الخماسية المشهورة ، قالها في حرب البسوس وإنا لنوردها  
هنا على شهرتها :

صفحنا عن بني ذهلٍ	وقلنا : القومُ إخوان
عسى الأيامُ أن يَرجِعَ	منَ قومًا كالذي كانوا
فلما صرَحَ الشرُّ	فأمسى وهو عزيانُ
ولم يَبَقِ سِوَى العُدْوَا	نِ دِنَاهم كما دانوا
مَشِينًا مَشِيَّةَ اللَّيْثِ	عَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ
بِضَرْبٍ فِيهِ تَوْهِينُ	وَتَخْضِيعُ وَإِقْرَانُ
وَطَعْنِ كَفَمِ الرِّقِّ	عَدَا وَالرِّقُّ مَلَانُ
وبعضُ الجِلْمِ عند الجُه	لِ لِلذَّلَّةِ إِذْعَانُ



.....

### وفي الشر نجاةٌ حَينَ لا يُنجِيكَ إحسانُ

و الصّح : العفو ، ويقال : أعرضت عن هذا الأمر صفحا : إذا تركته ، ويقال : أصفحت عنه كما يقال : أضربت عنه ، ويقال : أبدى لي صفحته : إذا أمكنك من نفسه يقول : صفحتنا عنهم فلم نؤاخذهم بما كان منهم لأنهم إخواننا عطفنا عليهم الرحم . ويرجعن : يرددن ، يقال رجع فلان ورجعت فلانا يقول : صفحتنا عنهم للرحم فعسى أن تردم الأيام إلى ما كانوا عليه من قبل من التواذ . وصرح الشر : انكشف ويقال صرح الشيء : إذا كشفه وصرح هو ، كما تقول : بين الشيء وبين هو : أى تبين وقيل : صرح : خلص ، شبهه باللبن الصريح وهو الذى قد ذهب رغوته وإذا ذهب الرغوة فاللبن عريان ، وقوله : فأمسى وهو عريان : أى منكشف لاستردونه ، ويروى : فأضحى ، بدل فأمسى ، وهو أحسن وإن كان أصبح وأمسى وأضحى وظل يرادها فى مثل هذا الموضع معنى صار . وقوله : دنأهم كما دنأنا : جواب لما فى قوله : فلما صرح الشر : أى فعلناهم مثل فعلهم بنا . يقول : صفحتنا عنهم وقعدنا عن ضربهم وذكرنا الرحم والقراية بيننا وظننا أن حالهم ترجع إلى الحسنى فلما أبوا إلا الشر ركبناه معهم وقوله : مشينا مشية الليث يروى :

• شددنا شدة الليث • وعلى هذه الرواية يكون عدا بدل غدا وتوهين تفعيل من الوهن وهو الضعف ، ونخضيع تفعيل من الخضوع وهو الذل والأقران : اللين والاسترخاء ، والباء فى بضرب تتعلق بمشينا أى مشينا بضرب فى ذلك الضرب تضعيف للضروب وتذليل ، قال بعض النقاد . والأجود أن يقول ما معناه : بضرب يفلق الهام ويبتز العظم مثلا فأما أن يقول : ضرب يوهى ويرخى فإن أدنى الضرب يوجب هذا ، وإذن فمن الجائز أن يكون المعنى : فيه توهين وصوت فى القطع وكسر العظام ويكون معنى إقران : غلبة أو مواصلة لا فتور فيها ويكون تخضيع من الخضة وهو اختلاط الصوت فى الحرب ، ويروى الليث :

### بِضْرَبٍ فِيهِ تَفْجِيعٌ وَتَأْيِيمٌ وَإِرْنَانٌ

أى يفجع الإخ بالآخ والولد بالوالد ، والتأييم قتل الأزواج ، والإرنان : من الرنين وهو رفع الصوت بالبكاء . وغذا بالذال المعجمة : سال وصف الطعن بالسعة وذكر أن الدم يسيل من موضع الطعنة كما يسيل الماء من فم القرية .

## الجود بالنفس

وحب الموت في الوغى  
وأنفتههم من الموت على الفراش

قال أبو تمام :

يستهذبون منايهم كأنهم لا يأسون من الدنيا إذا قتلوا

وقال :

وحزنٌ للوت حتى ظنَّ مُبصرُهُ كأنه حنَّ مُشتاقاً إلى وَطَنِ  
لو لم يمُتْ تحت أسيافِ العدا كرمًا  
لمات إذ لم يمُتْ من شدَّة الحزن

وقال :

قومٌ إذا لبسوا الحديد حسبتهم لم يحسبوا أن المنيَّة مُحائقٌ  
انظر بحيث ترمى السيوف لوامعاً أبدأ وفوق رؤسهم تتأقق  
وقال بشامة بن حزن النهشلي :

إننا لنرخص يوم الروع أنفسنا ولو نسام بها في الأمن أغلينا (١)

(١) يقول : إذا كان يوم الروع قدما للقاه ، فإن ذهب أنفسنا ذهب رخيصة  
لأننا بذلناها بالاندام ولم نمنعها بالإحجام ، واكفها يوم الأمن غالية ، والالف في  
وأغلينا : للاطلاق ، والون ضمير النفس ، ومعنى أغلين وجدت غالية وليس يريد أنهم  
مع الغلاء يمكنون منها بل المراد قطع المقدرة عنها كما قال القائل :

نُعرضُ للسيرف إذا التقينا نفوساً لا تُعرضُ للسباب  
وكما قال الأجدع والمسروق للفقير .

وقال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة :  
 وإني من قوم كأن أنفهم بها أتفت أن تسكن اللحم والدماء  
 وقال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي — شاعر إسلامي — :<sup>(١)</sup>  
 ومات منا سيدٌ حَتَفَ أنفه ولا ظلَّ يوماً حيثُ كان قتيلُ<sup>(٢)</sup>

لقد عَليَتْ نِسوانُ همدانَ أذُنَ  
 لَهْنِ غَدَاةِ الرُّوعِ غَيْرُ بَدُولِ  
 وأبْدُلُ في الهيجاءِ وجهي وإني له في سوى الهيجاءِ غَيْرُ بَدُولِ  
 (١) تروى هذه الأبيات للسموأل بن عادي اليهودي الجاهلي ، قال الخطيب  
 التبريزي : وإذا كانت هذه الأبيات جاهلية - أي للسموأل - فتروى :  
 • وما مات منا سيد في فراشه •  
 أي بدل • وما مات منا سيد حَتَفَ أنفه • أي لأن النبي صلى الله عليه  
 وسلم هو أول من قال : مات حَتَفَ أنفه

(٢) قلنا : إن أول من قال : حَتَفَ أنفه هو سيدنا رسول الله ، قال ابن الأثير :  
 هو أن يموت على فراشه ، كأنه سقط لانه فمات ، والحَتَفَ : الهلاك ، قال : كانوا  
 يتخيّلون أن روح المريض تخرج من أنفه ، فإن جرح خرجت من جراحته ؛ وعبارة  
 غير ابن الأثير كما في اللسان : إنما قيل للذي يموت على فراشه : مات حَتَفَ أنفه  
 — ويقال : مات حَتَفَ أنفيه — لأن نفسه تخرج بنفسه من فيه وأنفه ، قال : ويقال  
 أيضاً : مات حَتَفَ فيه ، ومن قال : حَتَفَ أنفيه أراد سَمِيَ أنفه وهما : منخراه ، ويحتمل  
 أن يراد : أنفه وفمه ، فغلب أحد الاسمين على الآخر ، وعبارة الخطيب التبريزي :  
 والمعنى : كان حَتَفَ - أي هلاكه - بأنفه ، أي بالانفاس التي خرجت من أنفه عند  
 نزوع الروح ، لا دفعة واحدة ، قال : ويقال : خص الأنف بذلك لأنه من جهته  
 يتقضى الرمق وقوله :

• ولا ظل يوماً حيث كان قتيل •

فانه يقال : ظل دمه : إذا بطل ولم يطلب به يقول : لا يبطل دم قتيل منا وحاصل

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطُّبَاتِ نَفُوسُنَا      وَكَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الطُّبَاتِ تَسِيلُ<sup>(١)</sup>  
وقال عنترَةُ :

بَكَرَتْ تُنْخَوِّفُنِي الْخُتُوفَ كَأَنِّي      أَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الْخُتُوفِ بِمَعَزَلٍ  
فَأَجِبْتُهَا : إِنْ الْمَنِيَّةَ مَنَهَلُ      لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمَنَهَلِ  
فَأَنْتِي حَيَاءُكَ لَا أَبَالِكِ وَأَعْلَمِي      أَنِّي أَمْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ  
إِنْ الْمَنِيَّةَ لَوْ تُعْتَلُّ مُثَلَّتْ      مِثْلِي إِذَا نَزَلُوا بِضَنْكَ الْمَنْزَلِ

« الختوف : المكاره والمتألف ، و « عن عرض » أى ما يعرض منها  
وبمعزل ، أى فى ناحية منعزلة عن ذلك ، و : منهل : مورد ، وقوله :  
فأنتى حياءك ، أى احفظيه ولا تضيعيه ، والضنك : الضيق يقول : إن  
المنية لو تحلقت مثالا لكانت فى مثل صورتي ...



وقال خالد بن الوليد وهو فى مرض الموت : لقد آقيتُ كذا وكذا  
زَحْفًا ، وما فى جسدى موضعُ شِبْرِ إِلَّا وَفِيهِ طَائِفَةٌ أَوْ ضَرْبَةٌ أَوْ رَمِيَةٌ ،  
ثم ما أنا إذا أموت على فراشى حتف أنفى ! فلا نامت أعينُ الجبناء ...  
« وقد تقدم ذلك »

وقال المُفَضَّلُ بنُ المَهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ :

معنى البيت : نحن لأموت ولكن نقتل ، ودم القتل منا لا يبطل  
(١) نفوسنا : أرواحنا أو دماؤنا ، والظبات جمع ظبة : وهى حد السيف وفى  
إضافة الحد إلى الظبات إما أن يكون المراد بالظبات السيوف كلها ثم أضاف الحد  
إليها وأما أن تكون إضافة الحد إلى الظبات من إضافة البعض إلى الكل ويكون  
التقدير : يسيل على الحد من الظبات وتكون الظبات مضارب السيوف ، والمصراع  
الأول يدل على الشجاعة والثانى على العز والمنعة

هل الجود إلا أن تجودَ بأنفسِ      على كل ماضى الشفرتين قضيب  
 ومن هرأطراف القناخشيمة الردى      فليس لمجد صالح يكسوب  
 وماهى إلا رقة تورث العلى      لرهطك ماخنت روائم نيب  
 « هر أطراف القنا يقال : هر الشيء يهر - بالكسر والضم - هرا  
 وهريراً : كرهه يقال : هر فلان الكأس والحرب هريراً : أى كرهها قال  
 عنرة :

حلفنا لهم والخيل تردى بنا معاً      نزايلكم حتى تهرروا العوالي<sup>(١)</sup>  
 عوالي زرقاً من رماح ردينة      هرير الكلاب يتقين الأفاعيا  
 وقوله : وماهى إلا رقة ... أبيت قال المبرد : مأخوذ من قول  
 أخيه يزيد بن المهلب ، وذلك أنه قال فى يوم العقر ، وهو اليوم الذى  
 قتل فيه - : قاتل الله ابن الأشعث - عبد الرحمن بن الأشعث -  
 ما كان عليه لو غمض عينيه ساعة للوت ولم يكن قتيل نفسه ... وذلك  
 أن ابن الأشعث قام فى الليل وهو فى سطح للبول ، فزعموا أنه ردى  
 نفسه ، وغير أهل هذا القول يقولون : بل سقط منه بسنة النوم . وقوله  
 تورث العلى لرهطك ، فالمعنى : تورث العلى رهطك ؛ ومثله قوله تعالى :  
 ( إن كنتم للرؤبا تعبرون ) والذئب جمع ناب وهى : المستنة من الإبل  
 سموها بذلك حين طال نابها وعظم ، والروائم : العاطفات على أولادها »

(١) الرديان : ضرب من السير وهو أن يرحم الفرس الأرض رجماً بحوافره  
 من شدة العدو ، وقوله : نزايلكم دو جواب القسم أى لا نزايلكم خذف لا على  
 حد قولهم نائه أبرح قاعداً : أى لا أبرح ، ونزايلكم : نباحكم يقال : ما زابلته : أى  
 ما بارحته ، والعوالى جمع عالية : الرمح وهى مادون السنان بقدر ذراع

## من يخوض الحرب

لا بد أن يُوطن نفسه على الموت

قالت الخنساء :

ومن ظنَّ من يُلاقى الحروب بأن لا يصابَ فقد ظنَّ عجزاً  
وقالوا : \* إن الشجاعة مقرون بها العطبُ \* (١)

وقال تأبط شراً من آيات اختارها أبو تمام في حماسه :

ومن يُغزَّ بالأعداء لا بدُّ أنَّهُ سَيَلْقَى بهم من مَصْرَعِ الموت مَصْرَعاً

## في القتل حياة

قال المهلب بن أبي صفرة : ليس شيء أنتمى من سيف ! ولقد صدق  
فما نال السيف أنتمى عدداً وأكرم ولداً من ولد المهلب ... وقال الحجاج  
لا امرأة من الخوارج : والله لا حصدتكم حصداً ، فقالت : أنت تحصد  
والله يزرع ، فانظر أين قُدرة المخلوق مع قدرة الخالق !

ومما يصح أن يورد هنا وإن كان من وادٍ آخر قوله تعالى : « ولكم

(١) من أبيات لشاعر جبان يكنى أبا الغمر :

أضحت تشجعتى مندٌ وقد علمت أن الشجاعة مقرون بها العطبُ  
لا والذي منع الأبصار رؤيته ما يشتهي الموت عندي من له أربُ  
للحرب قوم أضلَّ الله سعيهم إذا دعيتهم إلى نيرانها وثبوا  
ولست منهم ولا أبني فإلهم لا القتل يُعجبنى منها ولا السلبُ

في القصاص حياةٌ يا أولى الألباب ،<sup>(١)</sup>

## تأثير الخوف والخوف منه

والموفى على الجماعة

قيل لعلي بن أبي طالب : بِمَ غَلَبْتَ الْإِقْرَانَ ؟ قَالَ : بِتَمَكُّنِ هَيْبَتِي فِي قُلُوبِهِمْ ... وَبَعَثَ أَمِيرٌ فِي طَلَبِ قَوْمِ رُجُلًا ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَهُ بِرَجُلٍ أَطْوَلَ مَا يَكُونُ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَمَكَّنْتَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : وَقَعَ فِي قَلْبِي أَنْ أَخْذَهُ ، وَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ ، فَصَرَفَنِي عَلَيْهِ خَوْفُهُ وَجُرْأَتِي ... وَنَظَرَ رَجُلٌ لِي عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ شَتَّى الْعَسْكَرَ ، فَقَالَ : قَدْ عَالَيْتُ أَنْ مَلَكَ الْمَوْتِ فِي الْجَانِبِ الَّذِي فِيهِ عَلِيٌّ .

ومن المأثور عن المصطفى صلوات الله عليه قوله : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ » ... قَالَ ابْنُ الْإِثِيرِ : كَانَ أَعْدَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَوْقَعَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ مِنْهُ ، فَإِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةَ شَهْرٍ هَابُوهُ وَفَزِعُوا مِنْهُ .

(١) قال الرُّمَيْشِيُّ : كَلَامٌ فَصِيحٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الْغَرَابَةِ ، وَهُوَ أَنَّ الْقَصَاصَ قَتْلَ وَتَفْوِيتَ لِلْحَيَاةِ وَقَدْ جَعَلَ مَكَانًا وَظَرْفًا لِلْحَيَاةِ ، وَمِنْ إِصَابَةِ مَحْزِ الْبَلَاغَةِ بِتَعْرِيفِ الْقَصَاصِ وَتَسْكِينِ الْحَيَاةِ لِأَنَّ الْمَعْنَى : وَلَكِنْ فِي هَذَا الْجِنْسِ مِنَ الْحُكْمِ الَّذِي هُوَ الْقَصَاصُ حَيَاةٌ عَظِيمَةٌ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ بِالْوَاحِدِ الْجَمَاعَةَ ، وَكَمْ قَتَلَ مَهْلَهُ بِأَخِيهِ كَلِيبِ حَتَّى كَادَ يَفْنَى بِكَرْبِنِ وَائِلٍ وَكَانَ يَقْتُلُ بِالْمَقْتُولِ غَيْرَ قَاتِلِهِ فَتَشَوَّرَ الْفِتْنَةَ وَيَقَعُ بَيْنَهُمُ التَّحَارُكُ ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ شَرَعَ الْقَصَاصَ كَانَتْ فِيهِ حَيَاةٌ أَى حَيَاةٌ ، أَوْ نَوْعٌ مِنَ الْحَيَاةِ وَهِيَ الْحَيَاةُ الْحَاصِلَةُ بِالْإِرْتِدَاعِ عَنِ الْقَتْلِ لَوْ قَوَّعَ الْعِلْمُ بِالْإِقْتِصَاصِ مِنَ الْقَاتِلِ ، لِأَنَّهُ إِذَا هُمُ بِالْقَتْلِ فَعَلِمَ أَنَّهُ يَقْتَصُ مِنْهُ فَارْتَدَعَ سَلْمٌ صَاحِبُهُ مِنَ الْقَتْلِ وَسَلْمٌ هُوَ مِنَ الْقَوْدِ فَكَانَ الْقَصَاصُ سَبَبَ حَيَاةِ نَفْسَيْنِ ...

وقال المتنبي : \* وَيَسْتَعْظُمُونَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتَ خَادِمُهُ \*  
 وقال سلم الخاسر : \* كَأَنَّ الْمَنَايَا جَارِيَاتٌ بِأَمْرِهِ \*  
 وقال الفرزدق :

تَلَدَّطَ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنَسٍ

فَالْمَوْتُ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَتَنَظَّرُ

أَظْلَهُ مِنْكَ حَتْفٌ قَدْ تَجَلَّاهُ حَتَّى يُؤَامِرَ فِيهِ رَأْيِكَ الْقَدْرُ (١)

وقيل الأسكندر : إن في عسكر دارا ألف مقاتل ، فقال : إن القصاب

الحاذق وإن كان واحداً لا يهوله كثرة الغنم ... وقال شاعر :

فَوَاحِدُهُمْ كَالْأَلْفِ بِأَسَا وَنَجْدَةٌ وَأَلْفُهُمْ لِلْحُجْمِ وَالْعُرْبِ قَاهِرُ

وقال أبو تمام يمدح أبا سعيد الطائي ويذكر ما صنع بالخرمية :

أَقْبَتَهُمْ وَالْمَنَايَا غَيْرُ دَافِعَةٍ لِمَا أَمَرْتَ بِهِ وَالْمَلْتَقَى كَبَدُ (٢)

فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ الْمَوْتُ الزُّوَامُ بِهِ

فَالْمَجْدُ يَوْجَدُ وَالْأَرْوَاحُ تُفْتَقَدُ (٣)

مُسْتَصْحَبًا نِيَّةً قَدْ طَالَمَا ضَمِنْتَ لَكَ الْخُطُوبَ فَأَوْقَتَ بِالذِي تَعِدُ

وَرُحْبَ صَدْرٍ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ

كَوَسْعِهِ لَمْ يَضُقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ (٤)

صَدَعَتْ جَرِيَتُهُمْ فِي عُصْبَةِ قُلُوبِ

قَدْ صَرَّحَ الْمَاءُ عَنْهَا وَأَنْجَلَى الزُّبْدُ

(١) يؤامره : يشاوره فيأتمر وينفذ رأيه ويروى بدل رأيك : ربه

(٢) الكبد : الشدة والمشقة

(٣) الزوام : الكريه أو السريع

(٤) رحب صدر : سعة صدر



مِنْ كُلِّ أَرْوَغٍ تَرْتَأَعُ الْمَنُونُ لَهُ

إِذَا تَجَرَّدَ، لَا يَنْكَسُ وَلَا يَجِدُ (١)

يَكَادُ حِينَ يُبْلَاقِي الْقِرْنَ مِنْ حَنَقٍ

قَبْلَ السَّنَانِ عَلَى حَوَابِيهِ يَرُدُّ (٢)

قَلُّوا وَلَكِنَّهُمْ طَابُوا فَأَنْجَدَهُمْ

جَيْشٍ مِنَ الصَّبْرِ لَا يُبْحَصِي لَهُ عَدَدُ

### المتبرم بالحرب والسخرية منه

قال سعد بن مالك أحد سادات بكر بن وائل في الجاهلية وفرسانها (٣)

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَا حُوا

وهو من أبيات جيدة اختارها أبو تمام في حماسته وبعده:

(١) النكس: الضعيف، والجحد: القليل الخير

(٢) الحوباء: النفس والجمع حوباوات

(٣) قال سعد — هذه الأبيات في حرب البسوس حين هاجت الحرب بين بكر وتغلب لقتل كليب واعتزل الحارث بن عباد وقال هذا أمر لاناقة لي فيه ولا جمل فعرض سعد في هذا الشعر بعود الحارث. وهذا الحارث بن عباد كان من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين، وكان قد اعتزل حرب ابني وائل ثم حدثت أمور أفضت به إلى خوضه هذه الحرب، وهو القائل من أبيات:

قَرَّبًا مَرَبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنِ حِيَالِ

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمَ اللَّهِ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِي

ولما فعل ما فعل قال لسعد بن مالك: أتراني ممن وضعته ا — يشير إلى قول سعد: التي وضعت أراهط — قال سعد: لا، ولكن لا نخبأ لعطر بعد عروس، ومعناه: إن لم تنصر قومك الآن فلن تدخر نصرك ...

والحربُ لا يَبْقَى لِحَا جِمِهَا التَّخْيِيلُ والمِرَاحُ  
 إِلا الفَقَى الصَّبَارُ فِي النَّجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الوَقَاحُ  
 مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لِابْرَاحِ  
 المَوْتُ غَايَتُنَا فَلَا قَصْرٌ وَلَا عَنْهُ جِمَاحُ  
 وَكَأَنَّمَا وِرْدُ المَنِيَةِ قَرِ عِنْدَنَا مَاءٌ وَرَاحُ

« قوله يا بُؤْسَ للحرب ، أصله : يا بُؤْسَ الحرب ، فأُقِحِمَت اللام  
 بين المتضايقين ، يدعو على الحرب وَيَذْمُ نكباتها سخريةً ؛ ومعنى وضعت  
 أراهط : حَطَّطَهُمْ وَأَسَقَطَهُمْ فلم يكن لهم ذكر ولا شرف في هذه الحرب  
 فاستراحوا من مكابدها كالنساء ، قال بعض الأعراب لرجل : إنه قد وضع  
 المكارم فاستراح ، وقال رجل للأخنف : لا أبالي أهجيت أم مُدِحت ،  
 فقال : استرحت من حيث تَعَبَ الكرام ، وأراهط إما جمع أرهط جمع  
 رهط وإما جمع ردهط على خلاف القياس ، والردط : نفر من ثلاثة إلى  
 عشرة ، والجاحم : المكان الشديد الحر ، من جَحَمَت النار فهى جاحمة :  
 إذا اضطربت ، ومنه الجحيم ، والتخييل : التكبر ، من الخيلاء . يقول :  
 إنما لا تُبْقَى على نخوة المنخو ، وذلك أن أولى الغناء يتكرمون عن  
 الخيلاء . ويختال المغرور فإذا جُرِبَ فلم يُحَمَّدَ أَفْتَضَحَ وسقط ، أو تقول  
 من كان ذا خيلاء ومرح ثم بُلى بالحرب شغَلَتْهُ عن خيلائه ومرحه .  
 والمراح بكسر الميم : النشاط ، أى أنها تكف حدة البطر النشط ، وهذا  
 تعريض بالحارث بن عباد بأنه صاحب خيلاء ومرح . والصبار مبالغة صابر  
 والنجدة : الشدة والبأس في الحرب ، والوقاح : الفرس الذى حافره صُلبٌ  
 شديد ، ومنه الوقاحة .

وقوله : فأنا ابنُ قيس لا براح ، أى : أنا المشهور فى النجدة كما سمعت  
وأضاف نفسه إلى جدّه الأعلى لشهرته به ، وجملة لا براح حال مؤكدة  
لقوله : أنا ابن قيس كأنه قال : أنا ابن قيس ثابتاً فى الحرب ، والبراح  
مصدر بَرِحَ الشيء بَرِاحاً : إذا زال من مكانه . وقوله : فلا تَصُرْ هناك  
ولا جماح فالقصر . الحبس ، والجماح مصدر جَمَحَ : إذا انفلت وهرب يريد :  
لا يمكن حبسُ نفس عن الموت ولا مهربَ عنه . والورد : الورد وهو دخول  
الماء ، وقيل : حضوره وإن لم تدخله .

وقال شاعر :

ما ذاقَ همّاً كالشجاعِ ولا خلاً بِمَسْرَةٍ كالعاجِزِ المِتَوَانِ

الممدوح بقوة نفسه دون جسمه

قال أبو تمام :

والصبرُ بالأرواحِ يُعرفُ فضلهُ صبرُ الملوكِ وليسَ بالأجسامِ

وقال شاعر :

وإني للَقَوِيُّ على المعالي وما أنا بالقوى على الصّراع

وقال معاوية رضى الله عنه : ما كان فى الشبان شىء إلا وكان فى منه

مُسْتَمْتَعٌ ، إلا أنى لم أكن نُكْحَةَ ولا صُرْعَةَ . « رَجُلٌ نُكْحَةٌ : كثير

النكاح — الوطء — ورجل صُرْعَةٌ : يصرع الناس ،

وأورد أبو تمام فى حماسته لبعض الشعراء :

لا قوتى قُوَّةُ الراعى فلائِصَهُ يَأْرِى فِياوِى إليه الكلب والرُبْعُ

مِنَّا الأناةُ وبعضُ القومِ يحسبنا أتا بَطَاءٌ وفى إبطائنا سَرَعُ

« يقول : ليس غَنَانِي فِي الْمُهَيَّمَاتِ غَنَاءَ الرَّعَاءِ الَّذِينَ سَعِيَهُمْ مَقْصُورٌ عَلَى ضَمِّ الْقَلَاصِ وَحَفْظِهَا فِي مِرَاعِيهَا فَإِذَا أَوَى إِلَى مَوْضِعٍ أَرَى إِلَيْهِ كَلْبَهُ الَّذِي يَحْرَسُهُ وَرُبْعَهُ ، وَهُوَ مَا نُتَبِّجُ فِي الرَّبِيعِ ، وَالسَّرْعُ : السَّرْعَةُ »

### القصد إلى العدى مجاهرة

قال السَّريُّ الرَّقَاءُ : من أبيات يمدح بها سيف الدولة بن حمدان :  
 وَيَجْعَلُ بَشْرَهُ نُذْرَ الْأَعَادِي قَبِيْعَتُهُ جَنُوبًا أَوْ شِمَالًا  
 وَلَمْ يُنْذِرْهُمْ مِقَّةً وَلَكِنْ تَرَفَعُ أَنْ يُصِيبَهُمْ اغْتِيَالًا (١)  
 وأشار على الإسكندر المقدوني أصحابه أن يُبَيِّتَ الفُرسَ (٢) ، فقال :  
 ليس من الإنصاف أن أجعل غَلْبَتِي سِرَّةً ...

### المقاتل عن حريمه

لِإِمِّ الْإِسْكَانْدَرُ عَلَى مُبَاشَرَتِهِ الْحُرُوبِ بِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : لَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ  
 أَنْ يَقْتُلَ قَوْمِي عَنِّي وَأَتْرُكَ الْقِتَالَ عَنْهُمْ وَعَنْ أَهْلِي وَنَفْسِي ...  
 وقيل للحسن البصري : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، إِنْ أَنْكَرْتُمْ فِي هَذِهِ الْبِعُوثِ  
 وَالسَّرَايَا فَنُصِيبُ الْمَرْأَةَ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَهِيَ ذَاتُ زَوْجٍ ، أَفْتَحِلُّ لَنَا مِنْ قَبْلِ  
 أَنْ يُطَلِّقَهَا زَوْجُهَا ؟ وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ حَاضِرًا ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : قَدْ قَلْتُ أَنَا

(١) المقة : المحبة

(٢) تبئيت العدو : أن يقصد في الليل من غير أن يعلم فيؤخذ بغتة ، والاسم :  
 الليات ، وأما قولهم : بيت الأمر فعناه : دبره بليل قال تعالى : إذ يبيتون ما لا يرضى  
 من القول ، قال الزجاج : كل ما فكر فيه أو خيض فيه بليل فقد بيت ، يقال : هذا  
 أمر دبر بليل وبيت بليل ، بمعنى واحد .

في مثل هذا شعراً، وأنشد :

وَذَاتِ حَلِيلٍ أَنْكَحَتْهَا رِمَاخُنَا حَلَالًا لِمَنْ يَبْنِي بِهَا وَلَمْ تُطَلِّقْ (١)  
 فقال الحسن : أَصَبْتَ ، كُنْتُ أَرَى أَنَّكَ أَشْعَرُ مِنِّي فَإِذَا أَنْتَ أَفْقَهُ  
 قال ابن رشيقي في العمدة : وما أظنُّ الفَرَزْدَقَ إِلَّا أَرَادَ مَذْهَبَ الْجَاهِلِيَّةِ فِي  
 السَّبَايَا ...

وقال زيادُ الأعمى من كلمته التي يرثي بها المغيرةَ بنَ المهلبِ بن  
 أبي صُفْرَةَ :

صَفْنَانِ مُخْتَلِفَانِ حِينَ تَلَايَا أَبَا بُوَيْجِهِ مُطَلِّقٍ أَوْ زَكِيحِ

### المستنكف من السلب

قال أبو تمام من بانيته المشهورة التي يبنى فيها المعتصم بفتح عمورية :  
 إِنَّ الْأُسُودَ أُسُودَ الْغَابِ هِمَّتْهَا يَوْمَ الْكُرْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ  
 وَقَتَلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا فَأَرَادَ قَبْرَهُ أَنْ يَأْخُذَ سَلْبَهُ ،  
 فقال : يَا غِلَامَ ، لَا تُعَرِّ فَرَايِي ... وقال عنتره في معلقته :

هَلَّا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنَّ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي (٢)  
 يُخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعَةِ أَنِّي أَغْشَى الْوَعْشَى وَأَعْفَى عَنِ الْمَنْعَمِ

ه جهاراً بأيدينا ولما تطلق

(١) يروي العجز هكذا :

(٢) الخيل يريد : الفرسان

## الشبان والكهول في الحرب

قال رجلٌ لآخر : لاغزوتك بمردٍ على جرد<sup>(١)</sup> ، فقال له : لالقيتك  
بكهول على فحول .

وقال المتنبي :

سأطلبُ حَقِّي بالقنا ومشايخٍ كأنهمُ من طولِ ما التَّشَمُّوا مُرد<sup>(٢)</sup>

يقال إذا لا قوا خفاف إذا دعوا

كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا<sup>(٣)</sup>

وطئن كأن الطعن لا طعن عنده

وضرب كأن النار من حره برُد<sup>(٤)</sup>

(١) الجرد جمع أجرد والاجرد من الخيل : السباق .

(٢) يقول : سأطلب حقى بالرماح وبصحب لى لا يفارقون الحروب فلا يفارقهم اللثام ولا ترى لحام فكأنهم مرد ، واللثام فى الحرب عادة العرب لثلا تسقط عما تمهم وقال الواحدى : كنى بالقنا عن نفسه وبالمشايخ عن أصحابه يعنى : أنه يطلب حقه بنفسه وبغيره ، وأراد : أنهم محنكون مجربون ولذلك جعلهم مشايخ

(٣) مراده بكونهم نفالا : شدة وطأتهم على العدو أو ثباتهم لدى اللقاء ، وكنى بالحفة عن سرعة الإجابة إذا دعوا للنجدة ، وبالكثرة عن سد الواحد مسد الجماعة أى أنهم على قلتهم فى العدد يغنون غناء السواد الاعظم

(٤) وطعن : عطف على القنا والضمير فى عنده يعود إلى الطعن الاول يقول : وأطلب حقى بطعن شديد كأن كل طعن غيره بالقياس إليه لا شىء ، وبضرب حاز كأن حر النار بالإضافة إليه برد

إِذَا سِئْتُ حَقَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِحٍ

رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فِئِهَا شَهِدٌ <sup>(١)</sup>

وهم يفضلون الثُّبَّانَ على السُّكَّهول في الحروب ، وقد أورد الراجب في محاضراته أبياتاً عزأها إلى طاهر بن الحسين ، في هذا المعنى <sup>(٢)</sup> ، والآيات وإن كانت في معناها تد أعباب مقطوع الحق والسداد بِيَدِ أَنْ مَضَاهَا لَيْسَ مِنَ الْجَمَالِ فِي شَيْءٍ وَمَنْ تَمَّ اسْتِحْسَانًا أَنْ نَشْرَهَا وَنُورَدَهَا عَلَيْكَ مَشْوَرَةٌ أَلْفَاظُنَا مَعَ الْمَحَافِظَةِ عَلَى الْمَعْنَى ، وَهَا كَمَا : مِنْ صَائِبِ الرَّأْيِ أَنْ تَسْتَظْهِرَ فِي تَدْبِيرِ حَرْبِكَ بِالشُّيُوخِ الْمُحَنِّكِينَ الَّذِي تَمَرَّسُوا بِالْأَيَّامِ حُلُومِهَا وَمُرَّهَا ، وَالَّذِينَ تُعْنِي آرَاؤُهُمْ غَنَاءَ الْعَمَلِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُغْشَى الْوَعْيَ إِلَّا بِحَدِيثِ السَّنِّ مُقْتَبِلِ الشَّبَابِ ، فَإِنَّ السُّكَّهول الَّذِينَ تَنْفَسُ بِهِمُ الْعُمُرَ وَاقْتَرَبُوا مِنْ مَنَهِلِ الْمَوْتِ تَرَاهُمْ يَتَمَثَّلُونَ الْمَوْتَ أَوَّلًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ خَوْفًا وَجَزَعًا ، وَمِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ يَجْبُنُونَ ، أَمَا حَدِيثُ السَّنِّ فَإِنَّ لَهُ شَأْرًا بَعِيدًا يُرِيفُهُ ، وَأَمَّا لِإِعْرَاضًا يَحَاوِلُ تَحْقِيقَهَا ، وَمِنْ هُنَا كَانَ جَرِيئًا طَمُوحًا بَعِيدًا مُرْتَقَى الْهَمَّةِ فَهُوَ لَا يَبَالِي أَسْقَطَ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ سَقَطَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ مِنْهُ عَلَى بَالٍ ...

\*\*\*

(١) في فئها أراد : في أفواهها فأوقع الواحد موقع الجماعة ، والسابح : الفرس

السريع الجرى كأنه يسبح

(٢) هو والد عبد الله بن طاهر ، وكان من أكبر أعوان المأمون وهو الذي

تولى محاربة الأمين حتى قتله وهو وإن كان أديباً يحب الشعر إلا أنه لم يرد له شعر

فلعل هناك تحريفاً في المحاضرات ولعل الآيات لابن عبد الله بن طاهر الذي كان له

شعر مليح .

## العاجز أعاديه عن إصلاح ما أفسده

وعكس ذلك

قال علي بن جبلة المعروف بالعكوك من أبيات يمدح بها أبا غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي :

يَرْتُقُ مَا يَفْتُقُ أَعْدَاؤُهُ      وليس يَأْسُو فَتَقَهُ آمِي (١)  
فالنَّاسُ جِسْمٌ وَإِمَامُ الْهُدَى      رأسٌ وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّاسِ

وقال الكُمَيْت :

لَا يَهْدِيُمُ النَّاسُ مَا تَنْبِي أَكْفُهُمُ      مِنَ الْفَعَالِ وَلَا يَبْنُونَ مَا هَدَوْا (٢)  
وقال أشجع السُّلَمِي من قصيدة يمدح بها جعفر بن يحيى البرمكي وزير

الرشيد :

وَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَن حَطَّهُ      وَلَا يَضْمُونَ الَّذِي يَرْفَعُ

وبعده :

تَرِيدُ الْمَلُوكَ مَبْدَى جَعْفَرٍ      وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ  
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى      وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

وهذا البيت الثالث من قول ابن زياد الأعرابي :

وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفَتِيَانِ مَالًا      وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعًا

(١) الرتق ضد الفتق وهو : لأم الفتق وإصلاحه ، وبأسوفتقه مجاز من أساء الجرح يأسوه : داواه . والآسي : الطيب المداوي  
(٢) الفعال : الفعل الحسن



وقال المتنبي :

لا يجبرُّ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ      ولا يهَيِّضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ<sup>(١)</sup>

### من تصحبه الطيور والسباع في القتال

أولُ من وَصَفَ المحارِبَ تَصَحَّبَهُ الطيورُ والسباعُ رِفْعَةً بانتصارِهِ ،  
وبالشَّبَعِ من فرائِسِهِ : النابغة الذبياني إذ يقول في قصيدة له يمدح بها عمرو  
ابن الحارث الأصغر من ملوك غَسَّان بالشام :

عصائبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ	إذا ما عَزَّوْا بِالجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ
مِن الضارياتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ	يُصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُغْرَنَ مُعَارَهُمْ
جلوسَ الشيوخِ فِي ثيابِ المراتِبِ	تَرَاهُنَّ خَلْفَ القَوْمِ خُزْرًا عِيُونَهَا
إذا ما التَقَى الجمعانِ أولُ غالبِ	جوانِحِ قَدْ أَيَقَنَنَّ أَنْ قَمِيْلَهُ
إذا عَرَّضَ الخَطِيءُ فوقَ الكواثِبِ	لَهْنٍ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْتَهَا

« العصائب : الجماعات . وقوله : يصاحبهم يقول : تسير جماعاتُ  
الطير معهم كأنما تغير بإغارتهم على الأعداء ، وهذه الطيور من المتدربات  
الضاريات المولعات بدماء القتلى . والخزر جمع أخزر وخزراء أي : ضيقة  
العيون خلقة ؛ أو أنها تتخازر ، أي تقبض أجفانها ، لتحدد النظر ، وقوله  
جلوس الشيوخ ، أي أنها لدى اشتداد القتال تقع على أعلى الأرض والهضاب  
كأنها في ريشها ووقوفها وتحديد النظر تترقب القتلى جالسة جلوس  
الشيوخ إذا التفوا بأكسيّة المراتب يحدّدون النظر إلى شيء بعيد ، والمراتب

(١) هاض العظم : كسره بعد الجور

جمع مَرَبَاتِي ، وهو الثوب المبطن بفراء الأرانب . وجوانح : مائلات  
للقوع . والخطى : أى القنا المنسوبة إلى الخط - بلد بالبحرين - والكواثب  
— بالثاء المثناة — جمع كائبة ، وهى من جسم الفرس ماتحت الكاهل . إلى  
الظهر بحيث إذا نُصِبَ عليه السرجُ كانت أمام القَرَبُوسِ يوضع الفارس  
عليها رُفْحَه مُسْتَعْرِضًا ، يقول : اعتادت الطير أن الرماح إذا عُرِضت على  
الكواثب كان ذلك لِرِزْقِ بُسَاقِ إِلَيْهَا .

وقال أبو تمام :

وقد ظَلَّمَتْ عِقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضَحَى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ (١)

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنهم لم تُفَاتِلِ

وقالت جنوبُ آختُ عمرو ذى الكلبِ تربيهِ :

تمشى الدورُ إليه وهى لاهيةٌ مَشَى العَذَارَى عَلَيْهِنَّ الجَلَابِبُ

« الجلابُ : ثوبٌ أوسعُ من الخمار دون الرداء تُغَطِّي به المرأةُ رأسها

وقيل : الملاءةُ التى تَشْتَمِلُ بها ، ومعنى قوله وهى لاهية : أن النسور

آمنةٌ منه لا تُفَرِّقُهُ لكونه مَيْتًا فهى تمشى إليه مَشَى العَذَارَى ، وأول هذه

المرثية :

كلُّ امرئٍ يُطَوِّالِ العيشِ مَكْدَرُ

وكلُّ من غابَ الأيامُ مغلوب

وقال المتنبى :

(١) العقبان الأولى جمع عقاب : الراية الضخمة ، والثانية جمع عقاب أيضاً :

تَرَكْتَ جَاجِمَهُمْ فِي النَّقَا وَمَا يَتَخَلَّصَنَّ لِلنَّاحِلِ (١)  
فَأَنْبَتَ مِنْهُمْ رِبْعَ السَّبَاعِ فَأَنْتَ يَا حَسَانِكَ الشَّامِلِ

وقال :

سَحَابٌ مِنَ الْعُقْبَانِ يَرْحُبُ تَحْتَهَا سَحَابٌ إِذَا اسْتَسَقَتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ

وقال في صفة جيش وقد ألم بهذا المعنى :

وَذِي لَجَبٍ لَا ذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ بِنَاجٍ وَلَا الْوَحْشُ الْمُتَارُ بِسَالِمِ (٢)

تَمْرٌ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ تُطَالَعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيَشِ الْقَشَاعِمِ (٣)

إِذَا ضَوْؤُهَا لَا قِيَّ مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةٌ

تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ (٤)

وقال :

يُطَمَعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طَوْلُ أَكْهَمُ حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ

(١) النقا: الكتيب من الرمل يقول: دست رؤسهم بحوافر الخيل فطحنها وامتزجت بالرمل حتى لو نخل الرمل لم يتخلص من رؤسهم شيء، ثم قال في البيت التالي: تركنهم جزراً للسباع فأخصبت بكثرة القتل فكانت أنبت لها ربيعاً فلو قدرت السباع لأنت عليك بما شملتها من إحسانك

(٢) اللجب: اختلاط الأصوات، والمثار: الذي أثاره الخوف من مكنه يقول إذا طار ذو الجناح وسايره فليس بناج لكثرة الرماة في الجيش، وإن نار وحش أخذ

(٣) القشاعم: النور يقول: تمر الشمس على هذا الجيش وهي ضعيفة من كثرة عقبانها التي تخيم عليه وتتبعه ولا ينفذ ضوءها إليه إلا في خلال النور كما ذكر في البيت التالي

(٤) البيض جمع بيضة وهي: الخوذة، شبه ما يتساقط من الضوء في فرج أجنحة الطير فوقعه بالدرهم يقول لكثرة اشتباك الطير لا يصل إليه ضوء الشمس إلا من منافذ ضيقة فوقع مستديراً

وقال أبو نواس :

تَنَائِيَا الطَّيْرُ عُذْرَتُهُ رِفْقَةً بِالشَّبْعِ مِنْ جَزْرِهِ  
« تَأْيَا الشَّيْءُ : قَصْدَ آيَتِهِ ، أَى شَخْصِهِ . وَالْجَزَرَ : قَطَعَ اللَّحْمَ »

### عذر من يلبس الدروع

ونحوها في الحرب والمستغنى بشجاعته ويقينه عنها

قال أبو تمام في المستغنى بجلادته عن الدروع :

إِذَا رَأَوْا لِلنَّيَا عَارِضًا لَبِسُوا مِنْ اليَقِينِ دَرُوعًا مَا لَهَا زَرَدُ  
وَسُسَيْلَ بَعْضِ الْإِبْطَالِ : فِي أَى الْجُنَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَلْقَى عَدُوَّكَ ؟  
قَالَ : فِي أَجَلٍ مُسْتَأْخِرٍ ... وَقِيلَ لِآخِرٍ : لَوْ احْتَرَسْتَ أَفَقَالَ : كَفَى  
بِالْأَجَلِ حَارِسًا ...

وما يؤثر في كثرة لبس الدروع والاستعداد للحرب أبدأ قول مسلم بن  
الوليد من تصيدته التي يمدح بها يزيد بن مزيد الشيباني وهو ابن أخي معن  
ابن زائدة :

تَرَاهُ فِي الْأَمْنِ فِي دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ  
لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ أَنْ يُدْعَى عَلَى عَجَلٍ

وبعده :

لَا يَتَّبَعُ الطَّيْبُ خُدَيْدَهُ وَفَرَقَهُ وَلَا يُسْحُ عَيْنِيهِ مِنَ السَّكَلِ  
يُرَوَّى أَنَّ عَمَّهُ مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ كَانَ يُقَدِّمُهُ عَلَى أَوْلَادِهِ فَعَاتَبَتْهُ امْرَأَتُهُ  
فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهَا : فَأَرِيكَ مَا تَبْسُطِينَ بِهِ عِذْرِي ، يَا غَلَامَ ، أَذْهَبَ فَادْعُ  
حَسَّاسًا وَزَائِدَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ وَفُلَانًا وَفُلَانًا حَتَّى آتَى عَلَى جَمِيعِ أَوْلَادِهِ لِمَ لَسْنَا

أن جاؤا في الغلائل المُطَيِّبة والنَّعال السَّنْدِيَّة ، وذلك بعد هُدَاةٍ من الليل ، فسَلَّوْا وجلسوا ، ثم قال مَعْن ، يا غلام ، ادع يزيد ، فلم يلبث أن دخلَ عَجِلًا وعليه سلاحه ، فوضع رُحْمَه بِيَابِ المجلس ، ثم دخلَ ، فقال مَعْنُ له : ما هذه الهيئة يا أبا الزبير ، فقال : جاءني رسولُ الأمير فسبق وَهَمِي إلى أنه يُريدني لِمُهْمٍ فَلَبِسْتُ سلاحي وقلت : إن كان الأمر كذلك مَضَيْتُ ولم أَعْرَجْ وإن كان غير ذلك فَتَزَعُ هذه الآلة عني من أيسر الأشياء ، فقال مَعْن : انصرفوا في حفظ الله ، فلما خَرَجوا قالت زوجته قد تَبَيَّنَ لي عُدْرُكَ ، فَأَنشُدْ مُتَمَثِّلًا :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامَا وَعَلِمَتْهُ الْكُرُّ وَالْإِقْدَامَا  
وَصِيرَتْهُ مَلِكًا هُمَامَا

وإلى ذلك أشار مسلم بالبيتين المذكورين : ويُروى : أن مُسَلِّمًا لما انتهى في إنشاد هذه القصيدة إلى البيت الأول قال له يزيد المددوح : هَلَا قَلْتَ كَمَا قَالَ أَعَشَى بَكْرَ بْنِ وَائِلٍ فِي مَدْحِهِ قَيْسِ بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ <sup>(١)</sup> وَإِذَا تَجِيءُ كَتَيْبَةُ مَلُومَةٌ شَهْبَاءُ تَجْتَلِبُ الْكَمَاةُ نِزَالَهَا <sup>(٢)</sup> كُنْتُ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لِابِيسِ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مَعْلِمًا أَبْطَالَهَا <sup>(٣)</sup>

(١) هذا قيس هو والد الأشعث بن قيس الكندي الصحابي

(٢) الكتيبة : القطعة العظيمة من الجيش ، وكتيبة ملومة : مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض ، وشهباء : لما فيها من بياض السلاح والحديد في حال الواد ، والكمأة : الأبطال مدججين بالسلاح

(٣) رحل معلم : يعلم مكانه في الحرب بعلامة جعلها لنفسه وهو شأن الشجعان وأبطالها مفعول تضرب .

فقال مسلم : قولي أحسن من قوله لأنه وَصَفَهُ بِالْحُرْقِ وَأَنَا وَصَفْتَهُ بِالْحَزْمِ . وَيُرْوَى مِثْلَ هَذَا الْعَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ مَعَ كَثِيرِ عِزَّةٍ ...

### تحريم الملاحى على المحارب

قال معاوية رضى الله عنه : مَاؤذْتُ أَيَّامَ صِفِّينَ <sup>(١)</sup> لِحَمَاءٍ وَلَا حَلَوَاءٍ بَلْ أَقْتَصَرْتُ عَلَى الْخَبِزِ حَتَّى فَرَعْتُ .

وَكَتَبَ عَامِلُ الْيَمَنِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي وَقْتِ مُحَارَبَتِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَ الْأَشْعَثِ : إِنِّي قَدْ وَجَّهْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِجَارِيَةٍ اشْتَرَيْتُهَا بِمَالٍ عَظِيمٍ ، وَلَمْ يَرِ مِثْلُهَا قَطُّ ، فَلَمَّا دُخِلَ بِهَا عَلَيْهِ رَأَى وَجْهَهَا جَمِيلًا وَخَلْقًا نَبِيلًا ، فَأَتَى إِلَيْهَا قَضِيْبًا كَانَ فِي يَدِهِ فَتَكَسَّتْ لِتَأْخُذَهُ ، فَرَأَى جَسْمًا قَدْ بَهَّرَهُ ، فَلَمَّا هَمَّ بِهَا أَعْلَمَهُ الْإِذْنُ أَنَّ رَسُولَ الْحِجَابِ بِالْبَابِ فَأَذِنَ لَهُ ، وَنَحَى الْجَارِيَةَ ، فَأَعْطَاهُ كِتَابًا مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ كِتَابًا ، ثُمَّ بَاتَ يُقَلِّبُ كَفَّ الْحَارِيَةِ وَيَقُولُ : مَاؤذْتُ فَائِدَةً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ ، فَتَقُولُ : فَمَا بِالْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا يَمْنَعُكَ ؟ فَقَالَ : يَمْنَعُنِي مَا قَالَهُ الْأَخْطَلُ ، لِأَنِّي إِنْ خَرَجْتُ مِنْهُ كُنْتُ أَلَّامَ الْعَرَبِ :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَا زَرَمَ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ ، فَمَا إِلَيْكَ سَبِيلٌ أَوْ يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوِّ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، فَلَمْ يَقْرَبْهَا حَتَّى قَتَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَوْلَ الْأَخْطَلِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ ،

(١) صِفِّينَ : مَوْضِعٌ بِقُرْبِ الرَّقَّةِ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ مِنَ الْجَنْبِ الْغَرْبِيِّ وَأَيَّامَ صِفِّينَ : أَيَّامَ الْحَرْبِ بَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَبَيْنَ مَعَاوِيَةَ وَكَانَتْ مَدَّتْهَا مِائَةٌ يَوْمٍ وَعِشْرَةٌ أَيَّامًا وَكَانَتْ وَقَائِعُهَا تِسْعِينَ وَقَعَةً وَكَانَتْ فِي سَنَةِ ٣٧ هـ .

يعنى : أنه يجتنبها في طهرها وهو الوقت الذى يستقيم له غشياً فيها  
 وفي هذا المعنى يقول الأعشى من كلمة له يمدح بها هُوَذَّة بن على الخنفي :  
 وفي كلِّ عامٍ أنتَ جاشِمٌ غزوةٍ تُشدُّ لأقصاها عَزِيمَ عَزائِمِكا  
 مُورِثَةٌ مالاً وفي الحى رِفْعَةٌ لِمَاضَاعٍ فيها من قُرورِ نِساءِ نِساِكا  
 « جاشم اسم فاعل جَشِمَ الأمر - بالكسر - تكلفه على مَشَقَّة ،  
 والعزيم كالعزيمة مصدر عَزَمَ على الأمر : جدَّ في عمَلِه ، والعزاء : الصبر  
 يقول الأعشى : أنت في كل عام تُكَلِّفُ نَفْسَكَ الغزوَ واقْتِحامِ مكارِهه  
 تُشدُّ وتُوَثِّقُ عزيمةَ صبرِكَ لأقصاها ، أى أبعديها وأغلاها ، أو غايتها  
 ومُنْتَهَهاها ، وهذه الغزوات تُورِثُكَ مالا كثيراً بغنائمها ، ورفعةً لك في  
 الحى . والقروء جمع قرء وهو : الطهر هنا ، وقوله تعالى : والمطلقات  
 يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ اختلف العلماء فقال الحجازيون القروء :  
 الأطهار ، وقال أهل العراق الحِيض ، أما في قول الأعشى فالقروء : الأطهار  
 لا الحِيض لأن النساء إنما يُؤْتَيْنَ في أطهارهنَّ لاني حِيضِهِنَّ فإنما ضاع  
 بفزوه وغلبته عنهن أطهارُهِنَّ . هذا واللام في قوله : لما ضاع فيها لام  
 العاقبة مثلها مثل اللام في قوله تعالى : وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلا  
 لِيَعْبُدُونِ ، وقوله تعالى : ليكون لهم عدواً وحزناً . هذا وقوله تعالى ثلاثة  
 قروء قال الأصمى : جاء هذا على غير القياس والقياس : ثلاثة أقروء ولا  
 يجوز أن يقال : ثلاثة فلوس ، إنما يقال : ثلاثة أُنس فاذا أكثرت فهي  
 الفلوس ، ولا يقال : ثلاثة رجال إنما هي ثلاثة رَجُلَةٍ ، ولا يقال ثلاثة  
 كلاب إنما هي ثلاثة أَكْلَبُ . وقال النحويون : في قوله تعالى : ثلاثة قروء  
 أراد : ثلاثة من القروء »

## طائفة من عبقرياتهم في الصلح

والتحذير من الحرب

قال عز وجل : « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا . » ( التلم : الصلح ، بفتح السين وكسرها ، وتذكر وتؤنث ، وقال : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتٍ أَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . » نزلت هذه الآية الكريمة في قتال حدث بين الأوس والخزرج في عهده عليه الصلاة والسلام بالسَّعْفِ والنَّعَالِ ، والجمع في اقتتلوا باعتبار المعنى فإن كل طائفة جمع ، وبغت : تعدت ، وتفيء : ترجع ، وأقسطوا : أعدلوا »

ومن كلامهم : الحربُ صعبةٌ مرةٌ ، والصلحُ آمنٌ ومسهرةٌ .  
ومنه : إياك والمعاداة ، فإنك لنْ تعدمَ مكرَّ حلِيم ، أو مُفاجأةً لئيم .  
ومنه : لا تستثيروا السباعَ من مرايضها فتندموا ، وداروا الناسَ في جميع الأحوال

ومنه : الفِتنَةُ نائمةٌ ، فن أيقظها فهو طعأها « الفتنه هنا : ما يقع بين الناس من القتال والحروب » .

وقال زهير بن أبي سلمى في معلقته :

وما الحرب إلا ما علبتم وذقتم      وما هو عنها بالحديث المرجم  
متى تبتغوها تبتغوها دميمةً      وتضّر إذا ضرّ يئتموها فتضرم  
فتغر ككم عرك الرّاحى يبقاها      وتلتح كشافاً ثم تلتج فتشم



فَنُلْتَجِّحُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كَأُهْمٍ      كَأُحْمَرِ عَادٍ ، ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمُ .  
فَتُغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تُقِلُّ لِأَهْلِهَا      قَرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيرٍ وَدِرْهَمِ .

إِنَّ أَنْ قَالَ :

وَمَنْ يَعِصِ أَطْرَافَ الرَّحَاجِ فَإِنَّهُ      يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْدِيمِ

« المرجم من الحديث : المقول بطريق الظن لا عن تحقيق ، يقول : وما حديثي عن الحرب وتخويفكم أهوالها بالحديث المفترى ، وإنما أنتم قد علمتم ويلات الحرب وذقتموها فلا تقرّبوها ؛ وضرى يضرى : اشتد حرصه والنضرية : الحمل على الضراوة . وضرمت النار تضرم : التهب يقول : متى تهيجوا الحرب تهيجوها مذبذومة ، أى تذمون على إثارتها ، ويشد حرصها إذا حملتموها على شدة الحرص فيشتد حرها وتلتهب نارها ، يحثهم على التمسك بالصالح وينذرهم بسوء عاقبة إيقاد نار الحرب . وقوله : فتعركم أبيت ، فالعرك : الدلك ، والثقال : الجلد أو الخرقفة توضع تحت الرحي ليقع عليها الطحين ، والباء في « بشفاها » بمعنى مع ، واللقاح : حمل الولد يقال : لقيحت الناقة تلقيح : إذا حملت ، وتلقيح كشافاً : أى تلقيح لقاحاً كشافاً ، بأن تحمل في عامين متواليين ، وتثيم : أى تأنى في كل مرة يتواءمين ، يقول : إذا هجمت الحرب طختنكم طحن الرحي الحب مع ثفلها وتطول شدتها وويلاتها وتتولد من جرائمها صنوف وضروب من الأهوال والشرور ، ومثلها في ذلك مثل الناقة تحمل حملين في عامين متواليين ثم لا تلد إلا توأمين ، جعل إفناء الحرب إياهم بمنزلة طحن الرحي الحب وجعل صنوف الشر تتولد من الحرب بمنزلة الأولاد الناشئة من الأمهات وبالغ في وصفها باستتباع الشر شيئين : أحدهما جملة إياها لاقحة كشافاً ،

والآخر إناؤها . وأشام مصدر من الشؤم ، على وزن أفعل ، أو صفة  
لحذوف ، واحمر عاد : لقب لعاقرة ناقة صالح عليه السلام نبيّ ثمود وأسمه  
قِدَار ، وكان عقره لهذه الناقة إشؤماً على قومه ، ويريد بعاد ثمود إما توهُما  
وخطأ وإما لأن ثمود من عاد ، يقول : إن هذه الحرب تطول ويلايتها  
وشرورها وتنتج لكم غلمان شؤم أو غلمان أب أشام شؤم قِدَار  
عاقرة الناقة ، ثم تعيش هذه الغلمان فتترضعهم الحرب وتقطمهم ، وكل  
ذلك كناية عن طول ويلات الحرب وطول شرورها . وقوله : فتغلل  
لكم ... ألبيت يقول : فتغلل لكم هذه الحرب ضرورياً من الغلات ليست  
كغلات قري العراق من الحلب الذي يكال بالقفيز ، أو من ثمن الغلة وهي  
الدرهم ، يعني : أن المضار المتولدة من هذه الحرب تُربى على المنافع المتولدة  
من هذه القري ، وكل هذا حث منه لهم على الاعتصام بعري الصلح وزجر  
عن إيقاد نار الحرب التي تلك أذاعيلها وأموالها . وقوله : ومن يعص ...  
ألبيت فالزجاج جمع زجاج وهو الحديد المركب في أسفل الريح ، واللهزم : السنان  
الطويل يقول : من يعص أطراف الزجاج أطاع عوالى الرماح التي ركبت فيها  
الأسنة الطوال الحادة والمعنى : من أبى الصلح ذلته الحرب ولينته ، وكانت  
العرب إذا التقت فبتان منهم سدّدت كل طائفة منهما نحو صاحبها زجاج  
الرياح وسعى الساعون في الصلح ، فإن أبنا إلا التماذي في القتال قلبت كل  
واحدة منهما الرماح واقتلتنا بالأسنة . ، وقال كثير :

رَمَيْتَ بِأَطْرَافِ الزَّجَاجِ فَلَمْ يُفِيقْ مِنْ الْجَهْلِ حَتَّى كَلَّمْتَهُ نِصَالُهَا  
وَخَطَبَ بَعْضُهُمْ خُطْبَةً طَوِيلَةً لِصُلْحِ أُمَّةٍ ، إِفْقَالُ لَهُ رَجُلٌ : أَنْتَ مُدْ  
اليوم ترعى في غير مرعاك ... أفلا أدلك على المقال؟ فقال : نعم ، فقال :

«أما بعد» فإن الصالح بقاء الآجال، وحفظ الأموال، والسلام. فلما سمع القوم ذلك تعانقوا وتواهبوا الديات.

وكتب سلم بن قتيبة بن مسلم إلى سعيد المهلبى لما تحاربا بالبصرة:  
خُدُوا حَظَّكُمْ مِنْ سَلْبِنَا إِنْ حَزَبْنَا

إذا زبنته الحرب : ناره تسعر (١)

وإني وإياكم على ما يسوءكم كمثلان أو أنتم إلى الصلح أفقر  
وقال حكيم : دافع بالحرب ما أمكن ، فإن النفقة في كل شيء من  
الأموال ، إلا الحرب ، فإن النفقة فيها من الأرواح ، علاوة على  
الأموال .

وقال النابغة الجعدي :

وتستلب المال الذي كان ربهما ضليلاً به والحرب فيها الحرائب  
وقد تبعه أبو تمام فقال :

\* والحرب مشتقة المعنى من الحرب \*

« الحرب : أن يسلب الرجل ما له »

وقال شاعر يسمى حاحلة بن قيس الكنانى (٢)

دعاني أشب الحرب بيني وبينه فقلت : لا ، بل هلم إلى السلم  
ومهلا عن الحرب التي لا أديمها صحیح وما تنفك تأتي على سقم  
فإن يظفر الحرب الذي أنت منهم وآبوا بدتهم من سباء ومن غنم

(١) زبنته : دفعته وصددمته ، وحرب زبون : شديدة يدفع بعضها بعضاً من الكثرة .  
(٢) هذه الايات تراها كاملة في حماسه البحرى

فَلا بُدَّ من قَتَلِي لَعَلَّكَ فِيهِمْ      وإِلا فَجَرَحُ لَيْسَ يَكْنِي عَنِ العَظْمِ<sup>(١)</sup>  
فَلَمَّا أبى أرسَلْتُ فَضْلَةَ نُورِيه      إليه فَلَم يَرْجِعْ بَعزمِ ولا حزمِ  
فَلَمَّا رَمَانِها رَمَيْتُ سِوَادَه      ولا بُدَّ أَنْ تَرِمِي سِوَادَ الَّذِي يَرِمِي  
فَمِئْتَنَا عَلى لَحْمِ من القومِ غَوَدِرَتْ      أَسِنْتُنَا فِيه وباتوا عَلى لَحْمِ-  
وَكانَ صَرِيحَ الجَهِلِ أَوَّلَ وَهَلَّة      فَبُعْدًا لَهُ مَخْتارَ جَهِلٍ عَلى عِلْمِ-

### الحرب تصيب جانبيها وغير جانبيها

العرب تقول : الحرب غشومٌ ، لأنها قد تنال غير جانبيها .  
وتقول : \* وليس يَصْلِي بنارِ الحربِ جانبيها \*  
\* وأصبحَ مَنْ لم يَجِنِ فيها كَذِي الذَّنْبِ \* .

وقال الحارث بن عَبَّاد :

قَرِبا مَرَبِطَ النَّمَامَةِ مَنِي      لَفِجَتْ حَرْبٌ وَأَثَلِ عَنِ حِيالِ  
لَمْ أَكُنْ من جُناتِها عَليمَ اللهُ      وإِنِّي بِحَرِّها اليَوْمَ صالِ  
قَرِباها بِإِنَّ كَفِي رَدِّنُ      أَرْتزولُ الجِبالِ قَبْلَ الرِجالِ  
النعامة : فرسه ، ولَفِجَتْ : حَمَلَتْ ، وحَرْبٌ لا يَمِيعُ ؛ مَثَلٌ بِالأنثى الحامِلِ ،  
وعَنْ حِيالِ : بَعْدَ حِيالِ ، أى بَعْدَ أَنْ لَمْ تَحْمِلِ ، وصالى بالنار : قاتى حَرَّها  
أو احترق بها .

وقال ابن الرومي :

رَأيتُ جُناةَ الحَرْبِ غيرَ كُفاتِها      إِذا اِختَلَفَتْ فيها الرِماحُ الشِواجِرُ

(١) ليس يَكْنِي عَنِ العَظْمِ لعله يريد : إن جروح الحرب ليست من الجروح  
المعروفة ولكنها جروح تصمى وتقتل

كذلك زناد النارِ عنها بِنَجْوَةٍ ولكنما يَصْلَى صِلَاحًا الْمَسَاعِرُ  
 « المساعر : جمع مسعر ، وهو : ما تحرك به النار من خشب ونحوه ، ومَسَعَرُ  
 الحرب : هُوَ قِدْحُهَا »

### الممتنع من الصلح

قال أبو زيد الطائي — شاعر مخضرم ، كان في الجاهلية مقبياً في أخواله  
 بنى تغلب بالجزيرة ، وفي الإسلام منقطعاً إلى الوليد بن عتبة بن أبي معيط  
 في ولاية الجزيرة وولاية الكوفة ، ولم يزل به الوليد حتى أسلم ، وقد كان  
 نصرانياً ، والأكثر على أنه مات على نصرانيته — :

بعثوا حرّبتنا إليهم وكانوا في مقام لو أبصروا ورخاء  
 ثم لما تشدّرت وأنافت وتصلّوا منها كربة الصلاء  
 طلبوا صاحبنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء  
 فلحنا الله طالب الصلح منا ما أطفأ الميس بالدهناء

« لو أبصروا فلنلتمنى ، ورخاء : عطف على مقام ، وتشدّرت يقال :  
 تشدّرت فلان إذا تمياً للقتال ، وتشدّرت القوم في الحرب : أى تطارقوا  
 واشترأبوا ، وأنافت : زادت ، وتصلّوا : من صلّى النار صلاً ، من باب  
 تعب : قاسى حرّها ، والصلاء ككتاب : حرّ النار ، وطلبوا صاحبنا :  
 جواب لما ، وقوله : ولات أوان فللنحويين في نحر يجرها كلام كثير  
 وأوجهها أن أصلها : ولات أوان صلح ، أخذت الجملة وبني أوان  
 على الكسر ، وليس حين بقاء : أى ليس الحين حين بقاء ، والبقاء :  
 اسم من قولهم أقيت على فلان إبقاء : إذا رحّمته وتلطّفت به ، والمشهور

أن الاسم منه ؛ البقياء والبقوى ، ولحا الله : أى قبيح الله ، وما أطاق :  
فما مصدرية ظرفية ، وأطاق وطاف : بمعنى دار على الشيء ، والمبس  
حادي الإبل ، وهو فى الأصل اسم فاعل من أبسنت الإبل : إذا زجرتها  
والدهناء : موضع فى بلاد بنى تميم «

وقال الزبرقان :

فلن أصالهم مادمتُ ذا فرسٍ واشتدَّ قبضاً على الأسيافِ إبهامى

### ضارع يطلب الصلح

قال المتنبي :

من أطاق التماسِ شيءٍ غلاباً واغتصاباً لم يَلْتَمِسْهُ سؤالا

التحذير من صغير يفضى إلى كبير

قال الفرزدق :

تَصْرَمَ عَنِّي وَدُّ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ وَمَا كَادَ عَنِّي وَدُّهُمْ يَتَصْرَمُ  
تَوَارِصُ تَأْتِينِي وَتَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمْلَأُ الْفَطْرُ الْإِنَاءَ فَيُفْعَمُ

« يفعم : يمتلئ ، والقوارص جمع قارصة : الكلمة المؤذبة »

وقال آخر :

ذروا الأمرَ الصغيرَ وزمّلوه فتلقيحُ الجليلِ من الدقيقِ

« زمّلوه : أخفوه »

وقال آخر :

قد يَحْقِرُ الْمَرْءُ مَا يَهْوَى فَيَرُكِبُهُ حَتَّى يَكُونَ إِلَى تَوْرِيظِهِ سَبِيحاً

وقال آخر:

لَمِ الْأُمُورَ دَقِيقَهَا مِمَّا يَبِيجُ بِهِ الْعَظِيمُ

ومن كلامهم : مَنْ الْحَبَّةِ تَنْبَتُ الشَّجَرَةُ الْمِيمَةَ ؛ وَمِنَ الْجُرَّةِ تَكُونُ  
النَّارُ الْعَظِيمَةَ . وَالتَّمْرَةَ إِلَى التَّمْرَةِ تَمْرٌ ، وَالذُّودَ إِلَى الذُّودِ إِبِلٌ .

و \* أَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرٌ ثُمَّ يَنْسَكِبُ \*

و \* كَمْ بِيَدِي الْأَثَلِ دَوْحَةٌ مِنْ قَضِيبٍ \*

طائفة من عبقرياتهم في التهديد والوعيد

قلة غناء الوعيد

من أمثالهم : الصَّدَقُ يُبَيِّئُ عَنْكَ لِالْوَعِيدِ ، أَيْ : إِذَا يُذَيِّئُ عَدُوَّكَ

عَنْكَ أَنْ تَصُدَّقَ فِي الْفِتَالِ ، لَا أَنْ تُوعِدَهُ وَلَا تُنْفَذَ مَا تُوَعِدُهُ بِهِ «

وقالوا : مِنْ عِلَامَاتِ الْعَاقِلِ تَرْكُ التَّهْدِيدِ قَبْلَ إِمْكَانِ الْفُرْصِ ، وَعِنْدَ

إِمْكَانِهَا الْوُثُوبُ مَعَ الثِّقَةِ بِالظَّفَرِ .

وقالوا : \* إِنْ أُوْعِدَ سِلَاحُ الْعَاجِزِ الْحَقِيقِ \*

« الْحَقِيقُ : الْأَحَقُّ »

وقالوا : \* إِنْ الْكُتَابِ لَا يُهْزَمَنَّ بِالْكِتَابِ \*

من يتهدد بظهور الغيب ولا يغني غناءً

قال عنبرة في معلقته :

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَكُنْ

لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنِي ضَمُّضَمٍ

الشاتمي عَرَضِي ولم أَشْتِهُمَا والناذِرِين إِذَا لمْ أَلْقَهُمَا دى  
« الدائرة : اسم للحادثة ، سميت بها لأنها تدور من خير إلى شر ومن  
شر إلى خير ، ثم استعملت في المكروهة دون المحبوبة ، والدائرة : الهزيمة  
والسوء يقال : عليهم دائرة السوء ، وفي الحديث : فيجعل الدائرة عليهم ،  
أى الدولة بالغبلة والنصر ، وقوله سبحانه : ويتربص بكم الدوائر . قيل :  
الموت أو القتل ، وقوله : والناذرين يقول : والموجبان على أنفسهما سفك  
دى إِذَا لمْ أَلْقَهُمَا ، يريد : أنهما يتوعدانه حال غيبته أما فى حال حضوره  
فلا يتجاسران على ذلك »  
وقال القَرْمَطِيُّ :

تَمَمَّنَانِي إِذَا لمْ تَرَنِي      فَإِذَا جِئْتُ قَطَعْتَ الفَنَطِرَةَ  
يَابْنِي العَبَّاسِي مَنْ يَنْصُرُكُمْ      أَصْبِيُّ أُمِّ خَصِيٍّ أُمِّ مَرَّةٍ

وقال آخر :

كَأَصْدَى يُسْمَعُ مِنْهُ صَوْتُهُ      فَإِذَا طَالَبْتَهُ لمْ يَسْتَبِينِ  
« الصدا : ما يُجِيبُكَ من صوت الجبل ونحوه بمثل صوتك »

من لا يبالي بتهديده

قال جرير :

زعم الفرزدق أن سَيَقْتُلُ مِرْبَعًا

أَبَشِرُ بِطُولِ سَلَامَةٍ بِأَمْرِ بَعِ

وقال مُقَاتِلُ بنِ مِسْمَعٍ لِعَبَّادِ بنِ الحَصِينِ : لولا شَيْءٌ لَأَخَذْتُ رَأْسَكَ

فقال : أَجَلُ ، ذلك الشيء سَيَبْنِي ...



وقال ابن أبي عيِّنة :

فَدَعَ الوَعِيدَ فَمَا وَعَيْدُكَ ضَارِي أَطِينُ أَجْنِحَةِ الذَّبَابِ يَضِيرُ

وقال الفرزدق :

مَاضِرًا تَغْلِبُ وَائِلٍ أَهْجَوْتَهَا أُمُّ بُلْتِ حَيْثُ تَنَاطَحَ البَحْرَانِ

وأبرق رجلٌ لآخر وأرعد فلما زاد أنشد :

قَدِ هَبَّتِ الرِّيحُ طُولَ الدَّهْرِ واخْتَلَفَتْ عَلَى الجِبَالِ فَمَا نَالَتْ رِوَاسِيهَا

### طائفة من عبقرياتهم

في الهزيمة والخوف وأن الفرار لا يبقى من الموت

قال جل شأنه : قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ

وَإِذَنْ لَا تُنْتَمِعُونَ إِلَّا قَلِيلًا . « يقول سبحانه : لن ينفع الناس الفرار فإنه

لا بد لكل شخص من حتف أنف أو قتل في وقت معين سبق به القضاء

وجرى عليه القلم ، ثم قال جل شأنه : وَإِنْ نَفَعَكُمْ الْفِرَارُ مِثْلًا فَمَتَّعْتُمْ بِالتَّأخِيرِ

لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ التَّمَتُّعَ إِلَّا تَمْتِيعًا وَزَمَانًا قَلِيلًا . وقال سبحانه : أينما تكونوا

يُذَرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ . « البروج : الحصون ،

والمشيَّدة المرتفعة . »

وقال عليُّ يوم الجمل : إن الموت طالبٌ حثيث ، لا يُعجزُهُ المقيم

ولا يفوته الهارب ، وإن لم تُقتلوا تموتوا ، وإن أشرَفَ الموتِ القتلُ .

ومن أمثال العرب : فلانٌ أجزأ من فارسِ خِصافٍ . « وخِصافٍ

كقطايمِ فرسٍ قال اللسبون : كان مالكُ بن عمرو الفسائي يُقال له : فارس

خِصافٍ ، وكان من أجبنِ الناسِ ، فغزا يوما ، فأقبلَ سَهْمٌ حتى وَقَعَ

عند حافرٍ فريسه فانغرزَ في الأرض وجعل يهتزّ حيناً فقال : إن لهذا  
السهم سبباً ينجّيه — يُحرّكه — فاخفى عنه ، فإذا هو قد وقع على نفق  
يربوع فأصاب رأسه ، فتحرّك اليربوع ساعةً ثم مات ، فقال : هذا في  
جوفٍ جُحِرَ جاءه سهمٌ فقَتَلَه ، وأنا ظاهرٌ على فرسٍ المارءُ في شيء  
ولا اليربوعُ ، ولا أُقتلُ إلا بأجلى ، ثم شدّ عليهم فأنكى في القوم ، فكان  
بعد ذلك من أشجعِ الناس ... وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيراً :

أكانَ الجبانُ يرى أنه سيقْتَلُ قبلَ انقضاءِ الأجلِ  
فقد تُدرِكُ الحادِثاتُ الجبانَ وَيَسْلَمُ منها الشجاعُ البطلُ

### تفضيل القتل على الهرب

قال سُقراط لرجل هرب من الحرب : الهرب من الحرب فضيحة !  
فقال الرجل : شر من الفضيحة الموت ، فقال سُقراط : الحياة إذا كانت  
صالحة فسلمٌ ، وإذا كانت رديئةً فالموت أفضلٌ منها .  
ولما قتل الاسكندرُ المقدونيُّ ملكَ الهند قال لحكائه : لِمَ مَنَعْتُمُ الملكَ  
من الطاعة ؟ قالوا : ليموتَ كريماً ولا يعيشَ تحت الذلِّ .

### الممتنع من الفرار

قالت امرأة من عبد القيس :

أبوا أن يفرّوا والقنا في نُحورِهِم ولم يبتغوا من خَشِيَةِ الموتِ سُلباً  
ولو أنّهم فرّوا لكانوا أَعزَّةً ولكن رأوا صبراً على الموتِ أكرماً

« ولم يبتغوا يروى : ولم يرتقوا ،

## المعير بانهرزاهه

من كلام الحجاج : وَلَيْسَ كَالِإِبْلِ الشَّوَارِدِ إِلَى أوطانها ، النوازِعِ إِلَى  
أعطانها ، لا يَلْوِي الشَّيْخُ عَلَى بنيه ، ولا يسألُ المرءَ عن أخيه ... وقال  
أبو تمام من قصيدته البائية التي يمدح بها المعتصم وبذكر فتح عمورية :  
وانهرام ملك الروم :

وَلَى وَقَدِ أَلْجِمَ الْخَطِيئَةَ مَنْطِقَهُ      بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَحْبِ (١)  
أَحَدَيَّ قَرَايِنَهُ صَرَفَ الرَّدَى وَمَضَى      يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرْبِ (٢)  
مَوْكَلًا بِيَفْسَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ      مِنْ خِيفَةِ الْخَوْفِ لِأَمِنْ خِيفَةِ الطَّرَبِ (٣)

وقال البحرى من أبيات يمدح بها أحمد بن طولون :

تَخَطَّى حُزُونَ الْأَرْضِ رَاكِبًا وَجْهَهُ      لِيَمْتَعَ مِنْهُ الْبُعْدُ مَا يَبْدُلُ الْقُرْبُ  
وَلَوْ كَانَ حُرًّا النَّفْسِ وَالْعَيْشُ مُدْبِرٌ      لِمَاتِ وَطْأَمُ الْمَوْتِ فِي فِئِهِ عَذْبُ

وقال أبو جعفر المنصور لبعض الخوارج : عَرَفْنِي : مَنْ أَشَدُّ أَصْحَابِي

إِقْدَامًا ؟ فقال : لا أعرفهم بوجوههم ، فإنى لم أرَ إلا أقباءهم ...

وقال ابن الرومى فى سليمان بن عبد الله بن طاهر :

قِرْنُ سُلَيْمَانَ قَدْ أَضْرَبَهُ      شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيُذْرِفُهُ  
لَا يَعْرِفُ الْقِرْنَ وَجْهَهُ وَيَرَى      قَفَاهُ مِنْ فَرَسِهِ قَيْمِرُهُ

وقال المتنبي لما أوقع سيف الدولة بينى عقيل وقشير وبنى العجلان

(١) ولى : أى ملك الروم ، وألجم الخطى منطقه : أخرسه السيف

(٢) أحدى : أعطى ، وقرايئه : المقربون له جمع قربان وهو جليس الملك

الخاص يقول : أن ملك الروم قدم المقربين إليه هدية للبوت وفر على أحسن مطاياها  
وأنجمها . (٣) البفاع ما ارتفع من الأرض ، ويشرفه : يعلوه

وبنى كلاب ويذكر إجحافهم من بين يديه :

فَلَزَّهُمُ الطَّرَادُ إِلَى قِتَالٍ أَحَدٌ سِلَاحِهِمْ فِيهِ الْفِرَارُ  
مَضَوْا مُتَسَابِقِ الْأَعْضَاءِ فِيهِ لِأَرْؤُسِهِمْ بَارٌّ جِلْهِمْ عِشَارُ

« لَزَّهُ إِلَى الشَّيْءِ : أَلْجَأَهُ إِلَيْهِ وَأَدْنَاهُ مِنْهُ يَقُولُ : أَحْوَجُهُمْ طَرَادُكَ  
إِيَّاهُمْ إِلَى قِتَالٍ شَدِيدٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ سِلَاحٌ يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ غَيْرَ الْفِرَارِ ، ثُمَّ قَالَ  
فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : لِإِسْرَاعِهِمْ فِي الْهَرَبِ وَالْهَزِيمَةِ خَوْفًا مِنَ الْقِتَالِ كَانَتْ  
أَعْضَاؤُهُمْ كَأَنَّمَا يَسَابِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، الْأَرْجُلُ تَسَابِقُ الرَّؤْسَ وَالرَّؤْسُ  
تَسَابِقُ الْأَرْجَلَ ، وَكَأَنَّ الرَّؤْسَ تَتَعَثَّرُ بِالْأَرْجَلِ حِينَ تَرِيدُ الرَّؤْسَ  
الْإِسْرَاعَ فَتَمْتَمَتِهَا الْأَرْجَلُ ، .

وقال زيد بن علي بن الحسين حين خرج من عند هشام مُغْضِبًا :

مَا أَحَبَّ أَحَدُ الْحَيَاةِ إِلَّا ذَلَّ ، وَتَمَثَّلَ :

شَرَدَهُ الْخُيُوفُ فَأَزْرَى بِهِ كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَ الْجِلَادِ  
قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ وَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ

« شَرَدَهُ : جَعَلَهُ شَرِيدًا طَرِيدًا وَيُقَالُ : شَرَدَبَهُ : إِذَا سَمِعَ بِهِ ، وَأَزْرَى بِهِ :  
قَصْرَبَهُ وَحَقَرَهُ وَهَوَّنَهُ ، وَحَرَ الْجِلَادَ : شَدَّتَهُ ، وَالْجِلَادُ : الْقِتَالُ بِالسُّيُوفِ ،

## ترك اتباع المنهزم

قيل لعلي بن أبي طالب : أنت رجل محربٌ وتركبٌ بغلة ، فلو اتخذت  
الخيال ا فقال : أنا لا أفر من كرت ولا أكر على من فر . « محربٌ  
شديد الحزب شجاع ، وكر على العدو يكر : عطف ،

وأوصى الإسكندر صاحب جيش له فقال : حَبِّبْ إِلَى أَعْدَائِكَ الْهَرَبَ .

قال : كيف أصنع ؟ قال : إذا ثبتوا جِدًّا في قتالهم وإذا انهزموا لا تتبّعهم .  
وعاتبَ الحجاج المهلبَ بنَ أبي صُفرةَ في تركه اتباعَ الخوارجِ لما  
انهزموا ، فكتب إليه : أما عَلِمْتَ أن الكلب إذا أجمر عقر ...  
« أجمر : دخل الجحر » ،

### الفازّ وقت الفرار والثابت وقت الثبات

قالوا : الحربُ في وقته خير من الصبر في غير وقته .  
وقالوا : من هرب من معركة فعرف مصيره إلى مستقره فهو سُجاع .  
وقال معاوية يوماً : لقد عَلِمَ الناسُ أن الخيل لا تجرى بمثلي ، فكيف  
قال النجاشي : (١)

ونجى ابنَ حربٍ سابقٍ ذو علالةٍ أجشٌ هزيمٌ والرماحُ دواني (٢)  
فقال عمرو بنُ العاص له : لقد أعياني أن أعلمَ أجبانُ أنت أم

سُجاع ؟ فقال :

سُجاعٌ إذا ما أمكنتني فُرصةٌ وإلا تكن لي فرصةٌ بجانٍ  
وقال المهلبُ بنَ أبي صُفرةَ : الإقدامُ على الهلكةِ تضییعٌ ، كما أن

(١) هو قيس بن عمرو بن مالك ... أحد بني الحارث بن كعب ، نسب إلى أمه  
وكانت من الحبشة ، وكان من أشرف العرب ، إلا أنه كان فاسقاً ، وهو الذي أتى  
به على رضى الله عنه وهو سكران في شهر رمضان ، فضربه ثمانين وزاد عشرين ،  
فقال : ماهذه العلاوة يا أبا حسن ؟ قال : لجرأتك على الله وشربك في رمضان ، ولأن  
ولدانا صيام وأنت مفطر . وبيته هذا من أبيات تراها في مجموعة المعاني طبع الجوانب  
(٢) يقال لأول جرى الفرس : بدايته وللذي يكون بعده : علالته وفرس  
أجش : غليظ صهيل وهو مما يحمده في الخيل ، والهزيم من الخيل : الشديد الصوت

الإحجام عن الفرصة عجز .

وقال المتوكل الخليفة العباسي لأبي العيناء : إني لَأَفَرِّقُ من أسائك ا  
فقال : يا أمير المؤمنين ، الكرم ذو فَرَقٍ وإحجام ، واللثيم ذو وقاحة وإقدام .  
وقال الشاعر :

أفَاتِلُ حتى لا أرى لي مُقاتِلا      وأنجو إذا غمَّ الجبانُ من الكَرْبِ

المتفادى من حضور الحرب

والمحتج لانتهزاه بالخوف من القتل

قيل لأعرابي : ألا تنزرو فإن الله قد أندرك ؟ فقال : والله إني لا بغض  
الموتَ على فراشي فكيف أضي إليه ركضاً ا  
ورأى المعتصم الخليفة العباسي في بعض متنزهاته أسداً ، فنظر إلى  
رجل أعجبه زينه وقوامه وسلاحه فقال له : أفيك خيرٌ ؟ فعلم الرجل  
مراده ، فقال : لا ، فقال : لا قبَّح الله سواك .

واجتاز كيمسرى في بعض حروبه برجل قد استظلَّ بشجرة وألقى  
سلاحه ورابط دابته فقال له : يانذل ، نحن في الحرب وأنت بهذه الحالة ا  
فقال : أيها الملك ، إنما بلغت هذه السنَّ بالتوقى ، فقال : زه ،  
وأعضاه مالا...

وقيل لرجل : إنك انهزمت اقال : غَضِبُ الأهيرِ على وأنا حتى خيرٌ من  
أن يرضى وأنا مئيت .

وقال أبو دلامة :

قالوا : تقدّم قلتُ : لستُ بفاعِلٍ      أخافُ على فِخارَتِي أن تحطَّها

فلو كان لي رأسان أتلفتُ واحداً ولكنّه رأسٌ إذا زال أعقها  
ولو كان مُبتاعاً لَدَى السُّوقِ مثله فقلتُ ولم أحفِظُ بأن أتقدّمَا  
وقال :

يقول لي الأميرُ بغير نُصحٍ : تقدّم حين جَدَّ بنا المرأس  
ومالي إن أطعتك من حياةٍ ومالي بعدَ هذا الراس رأس  
وقيل لـجبان : لِمَ لا تُقاتِلُ؟ فقال : عند النّطاحِ يُغلبُ الكبشُ الأجمَ  
والأجمَ : الذي لا قرَنَ له ، وهذا مثلُ يُضربُ لمن غلبه صاحبه بما أعدَّ له ،  
وقالوا : الشُّجاعُ مُلقَى والجبانُ مُوتَى ، وقال البديعُ الهمداني :  
ماذا قَ هَمَّا كالشُّجاعِ ولا خَلا بِمَسْرَةٍ كالعاجِزِ المُتَوَانِي  
وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون ف قيل له : قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُم  
الفرارُ إن فررْتُم من الموتِ أو القتلِ وإذا لا تُتمتَعون إلا قليلاً . فقال  
ذلك القليلُ تُريد .

هارب يعتذر عن هربه

بأنه نبوة أو قدر

قال زُفر بن الحارث وقد فرَّ يوم مَرَجِ رَاهِطٍ عن رَفِيقِهِ :  
أَيَذْهَبُ يَوْمٌ واحِدٌ إن أسأتهُ بِصَالِحِ أَيامِي وَحُسْنِ بِلَائِيَا  
فَلَمْ تَرَمِي زَلَّةٌ قَبْلَ هَذِهِ فِرَارِي وَتَرَكِي صَاحِبِيَّ وَرَائِيَا  
وقديماً قال عمرو بن معديكرب — وكان قد فرَّ من بني عبّس :  
وليسَ يُعابُ المرءُ من جُبنِ يَوْمِهِ إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الشُّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ  
وقد تقدّم قول الشاعر الجبان :

قَامَتْ تُشَجِّعُنِي هِنْدٌ فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطْبُ  
 لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَيْهِ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مَنْ لَهْ أَرْبُ  
 لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَعِيَهُمْ إِذَا دَعَّاهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَتَبَّوْا  
 وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ لَا الْقَتْلُ يُعْجِبُنِي مِنْهَا وَلَا السَّلْبُ  
 وَجَاءَ فِي كَلِيلَةِ وَدِمْنَةَ : إِنَّ الْخَازِمَ يَكْرَهُ الْقِتَالَ مَا وَجَدَ بَدَأَ مِنْهُ ،  
 لِأَنَّ النَّفْقَةَ فِيهِ مِنَ الْأَنْفُسِ وَالنَّفَقَةَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَالِ . وَفِي هَذَا الْمَعْنَى  
 يَقُولُ أَبُو تَمَّامٍ :

كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ إِذَا نَفَقَاتُهُمْ مَالٌ وَقَوْمٍ يُفِقُونَ نَفْسًا

### المتخلف عن قومه

قَالُوا : الشَّجَاعُ يُقَاتِلُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ ، وَالْجَبَانُ يَفِرُّ مِنْ عَرْسِهِ ، وَالْجَوَادُ  
 يُعْطَى مَنْ لَا يَسْأَلُهُ ، وَالْبَخِيلُ يَمْنَعُ مِنْ نَفْسِهِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :  
 يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ أُمَّ نَفْسِهِ وَيَحْمِي شَجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يُنَاسِبُهُ  
 وَيُرْزَقُ مَعْرُوفَ الْجَوَادِ عَدُوَّهُ وَيُحْرَمُ مَعْرُوفَ الْبَخِيلِ أَقَارِبُهُ  
 وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعَيِّرُ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ حِينَ  
 فَرَّ يَوْمَ بَدْرٍ :

إِنَّ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّتِي حَدَّثْتَنِي فَتَجَوَّزَ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ  
 تَرَكَ الْأَحْبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَجِلَامٍ  
 مَلَأَتْ بِهِ الْفَرَجَيْنِ فَاوَمَدَتْ بِهِ وَثَوَى أَحْبَبَهُ بَشَرٌ مُقَامِ  
 « الطَّمْرَةَ : الْفَرَسَ الْكَثِيرَ الْجَرَى ، وَالْفَرَجَانِ : مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا  
 وَمَلَأْتُهُمَا : مَلَأْتُهُمَا جَرِيًا . وَارْمَدَتْ : أَسْرَعَتْ ، وَثَوَى : أَقَامَ »



وقال أبو تمام من تصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر هزيمة بابك  
الخرمي :

ونجا ابنُ خائنةِ البُعولةِ لو نجا      بِمُهْفَهْفِ الكَشْحَيْنِ والآطالِ  
ترك الأحيبةَ سائياً لا ناسياً      عُذْرُ الدِّسِيِّ خِلافُ عُذْرِ السَّالِي

« خائنة البعولة : كناية عن الزانية ، والكشحان : جانبا البطن من  
ظاهر وباطن ، والمهفهف : الضامر الدقيق ، والآطال جمع إطل وإطل كإبل  
ولأبل : الخاصرة ، والدسي : النامي ،

من نجا وقد استولى عليه الخوف

قال أبو تمام من قصيدة يمدح بها أبا دؤف ويذكر هزيمة بابك  
الخرمي كذلك :

ظَلَّ القَا يَسْتَقِي من صَفِّهِ مُهَبِّجاً      إِمَّا تِمَاداً وإِما ثَرَّةً خُسُفَا  
مِن مُشْرِقِ دَمِهِ فِي وَجْهِهِ بَطْلٌ      وَوَاهِلِ دَمِهِ لِلرُّعْبِ قَدِ نُزِفَا  
فَذَاكَ قَدِ سَقَيْتَ مِنْهُ القَنَا جُرْعَاً      وَذَاكَ قَدِ سَقَيْتَ مِنْهُ القَنَا نُظْفَا

« من صفه : من صف بابك ، والمهيج جمع هيجة : دم القاب . والتماد :  
الماء القليل ، والثرة : من قولهم : بين ثرة : كثيرة الماء ، والخسف  
جمع خسيف وخسوف : البئر لا ينقطع ماؤها ، والواهل : الخائف جداً ،  
ونزف : ذهب دمه ، وبطل إما قرأته بالرفع على أن دمه مبتدأ وبطل خبر  
ولك أن تقرأه بالخفض على أنه مردود إلى مشرق ويكون دمه فاعل مشرق  
وقوله : فذاك ... أليت أراد أبو تمام أن يقول : البطل الذي دمه في  
وجهه سقيت الرماح منه جرعا ، أي كثيراً ، والجبان الذي طار دمه من

الفرع سقيت منه نطفاً أى قليلاً، وتد يدبر عن الكثير بالنطفة فيكون :  
الأولُ مراداً به الجبان والثاني مراداً به البطل ،

وقيل لرجل تعرّض له الأسد فأفلت منه : كيف حالك ؟ قال :  
سَلَيْتُ غير أن الأسدَ خَرَأَ في سراويلي ...  
وقالت امرأةٌ من بني المُهَلَّبِ :

فإن ثَبَّتُوا فَعُمُرُهُمْ قَصِيرٌ وإن هَرَبُوا فَوَيْلُهُمْ طَوِيلٌ

### تسليّة المنهزم

قال المتنبي يعتذر عن سيف الدولة في هزيمة وقعت لجماعة من جيشه  
قلْ لِلدُّمُسْتَقِ إِنَّ المُسْلِمِينَ لَكُمْ خَانُوا الأَمِيرَ جَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا  
وَجِدْتُمُوهم نِيَاهًا فِي دِمَائِكُمْ كَأَن تَتَلَامِكُمْ إِيَاهُمْ فَجَعُوا  
لَا تَحْسَبُوا مِن أَسْرَتِكُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ

فليس يأكل إلا الميت الصَّبْعُ

وإنما عَرَضَ اللهُ الجُودَ بِكُمْ لَسَكُنَى يَكُونُوا بِلأَفْسَلِ إِذَا رَجَعُوا  
فَكُلُّ غَزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَا فَهَلْهُ وَكُلُّ غَازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ

و الدمستق : قائد جيش الروم ؛ و : المسلمين — بفتح اللام — :

الذين أسلّمهم سيف الدولة للعدو لتخاذلهم عنه ، وقوله : وجدتموهم ... ألبيت

هو بيان لما صنعوا ، وقوله : في دمائكم : أى في دماء قتلاكم وذلك أنهم

تخلّوا قتلى الروم فتلطخوا بدمائهم ، وألقوا أنفسهم بينهم تشبها بهم خوفاً

من الروم ، ثم قال : كأنهم كانوا مفجوعين بقتلاكم فهم فيما بينهم يتوجعون

لهم . وقوله : لا تحسبوا من أسرتكم ... ألبيت ، يقول : ليس لكم أن تفخروا

بهؤلاء الذين أسرتم ولا تظنوم كان فيهم رَمَقٌ - بقيّة حياة - وإنما هم أموات، من الجبن والخوف، وأنتم إِيْحَسْتِكُمْ ودناءة نفوسكم لا تقدرون إلا على أمثالهم، كما أن الضيُّع لا تفترس إلا الجثث الميتة. وقوله: وإنما عَرَّضَ اللهُ ... ألبت يقول: إنما خذل الله هؤلاء الجنود وجملهم لكم عرضة ليطهر الله عسكر سيف الدولة من أمثالهم فيعود إليكم بجنود أبطال ليس فيهم قَسْلٌ ولا نذل. وقوله: فكل غزو إليكم ... ألبت يقول فكل غزوة إليكم بعد اليوم تكون له لا عليه لأن الأدياء من جنوده قد أسروا ولم يبق إلا المختارون من الأخيار، وكل غاز تبع له لأنه سيّد الغزاة . . .

ولما انهزم بعض القواد دخلَ عليه بعض الأفاضل فقال: الحمد لله الذي نظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا، فقد تقدّمت للشهادة بجهدك ولكن علم الله حاجتنا إليك فأبقاك لنا.

### صدر من عبقرياتهم في الجبن

قال سبحانه وتعالى: يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو ...  
وقالت عائشة رضی الله عنها: إن الله خلقاً قلوبهم كقلوب الطير، كلما خفقت الريح خفقت معها، فأف للجبناء، أف للجبناء.  
وعما قيل في الجبن من الشعر القديم قول القائل:  
ولو أنها عصفورة لحسبتّها مسومةً تدعو عبیداً وأرثماً  
يقول لو رأيت عصفورة لحسبتّها من جبنك خيلاً مسومةً؛ وعبيد  
وأرثم: قبيلتان،

ومثله قول عروة بن الورد :

وأشجعُ قد أدركتهم فرَجَدَتْهُمْ  
يخافونَ خَطْفَ الطيرِ من كلِّ جانبِ

وقال الآخر :

ملزمتَ تحسبُ كلَّ شيءٍ بعدهمُ  
خيلاً تَمَكَّرُ عليهم ورجالاً

وقال ابن الرومي :

وفارسٍ أجبَنَ من صِفْرِدِ  
يحولُ أو يغورُ من صَفْرَةَ

لو صاح في الليل به صاحُ  
لكانت الأرض له طَفْرَةً

يرحمهُ الرحمنُ من جُبْنِهِ  
فيرزُقُ الجندَ به النُصْرَةَ

« الصَّفْرِدِ : طائرُ جبانٍ يقال له : أبو المليح ،

وقال أبو تمام :

حيرانُ يحسبُ يحسبُ النقعِ من دَهْشِ

طَوْدًا يُحاذِرُ أن ينقضَ أو جُرْفًا

« السجف : الستر ، والنقع : غبار الحرب ، والطود : الجبل ، والجرف :

جانب الجبل الأملس ،

وقال دِعْبِل :

كَانَ نَفْسَهُ مِنْ طُولِ حَيْرَتِهَا  
مِنهَا عَلَى نَفْسِهِ يَوْمَ الْوَعَى رَصْدُ

وأنى الحجاجُ برجلٍ من أصحابِ ابنِ الأشعثِ ، فقال للحجاج : أسألك

أنا تَقْتُلَنِي وَتُخَلِّصَنِي ، فقال له الحجاج : لِمَ ؟ فقال : إني أرى كل ليلة

في المنام أنك تقتلني ، وِقْتَلَةٌ واحدةٌ خيرٌ ، فَضِحَكَ وَخَلَى سَبِيلَهُ .

من يظهر الشجاعة خارج الحرب

ويجبن فيها

قالوا: فلان يتعاب في الهجاء ويتنمر في الرخاء.

وقال دعبل:

أسود إذا ما كان يوم كرهية ولكنهم يوم القماء ثمالب

وقال:

غير رأى أسد العرين فراعهُ حتى إذا وتى تولى ينهق

وقال آخر:

يفر بحك تحت العوالى وإن يامن فذر كبير وتيه

عقريات شتى

في الشجاعة والحرب

قالوا: أحسن ما قيل في وصف الحرب والمتحاربين قول الأول:

كان الأفق محفوف بنارٍ وتحت النار أسادٌ نزر<sup>(١)</sup>

ومما يتصل بذلك ما قيل في ليالى صفين:

الليل داج والكباش تلتطح نطاح أسد ما أراها تظلمح

ف يقاتل في رعاها مانجا ومن نجا برأسه فقد ربح<sup>(٢)</sup>

(١) تصيح غضباً. وأصله مهموز من زار الأسد يزر ويزار: صاح وغضب

(٢) في أمثال الميداني: قال أبو عبيد: وهذا الشعر أراه قبل في ليالى صفين ثم

وكان يزيد بن عمر بن هبيرة والى العراقين من قبيل بنى أمية لا يمد  
نصر بن سيار والى خراسان من قبيله بالرجاء ، ولا يرفع ما يرد عليه  
من أخبار خراسان إلى مروان بن محمد آخر الدولة الأموية ، فلما كثر  
ذلك على نصر كتب إليه كتاباً وفيه هذه الآيات :

أرى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِضْرَ جَمْرٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ <sup>(١)</sup>  
فإنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكِّي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوْلَهَا الْكَلَامُ <sup>(٢)</sup>  
فإن لم يُطْفِئْهَا عُقْلَاءُ قَوْمٍ يَكُونُ وَفُودَهَا جُنُتٌ وَهَامُ  
فَقَمْتُ مِنَ التَّمَجِّبِ لَيْتَ شِعْرَى أَلْيَقَاطُ أُمِّيَّةُ أَمْ نِيَامُ  
« قوله : وإنَّ الحربَ أولها الكلام نحوهُ قول بعضهم : إنَّ الفِتْنَةَ تُلْقَى  
بِالنَّجْوَى وَتُنْتَجَى بِالشُّكْوَى ... »

ومما قيل في كثرة الجيش من قديم الشعر قول الأندلس بن شهاب  
التغلبى وهو ممن حضر حرب البسوس :

يَجْأَوَاءَ يَنْفِي وَرُدُّهَا سَرْعَانَهَا كَأَنَّ وَمِضْرَ الْبَرْقِ فِيهَا كَوَاكِبُ  
« الجأواء : السكتية يضرب لونها إلى السكيفة — اللون الكدر —  
وذلك من صدأ الحديد ، والسرعان : الأوائل ، يقول : إن المياة لا تسهمهم  
والأماكن تضيق بهم فكلما نزلت فرقة منهم رحل من تقدتهم ،  
وقول أوس بن حجر :

قال : وقوله « ومن نجا برأسه فقد ربح »  
هو مثل يضرب في إبطاء الحاجة وتعذرها حتى يرضى صاحبها بالسلامة منها .

(١) خلل الرماد : خلاله

(٢) تذكى : تلهب وتضرم

ترى الأرض منا بالفضاء مريضة

معضلة منا بجمع عزم

« عَضَلَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا : إِذَا ضَاقَتْ بِهِمْ لِكَثْرَتِهِمْ ، وَعَضَلَتِ الْمَرْأَةُ بَوْلِدَهَا تَعْضِيلًا : إِذَا نَشِبَ الْوَلَدُ فُجِرَ بِهِ، وَلَمْ يَخْرُجْ بَعْضُ فَبَقِيَ مُعْتَرِضًا ، وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

أَمَامَ تَحْيِيسِ أَدْجْوَانٍ كَأَنَّهُ قَيْصُ سَحُوكٍ مِنْ قَنَّا وَجِيَادِ  
« الْأَدْجْوَانُ : الْأَسْوَدُ ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الدُّجَى ، وَبُرُوقُ : أَرْجْوَانٍ ، وَهُوَ : الْأَحْمَرُ . »

وقال ابن الرومي :

فَلَوْ حَصَبْتَهُمْ بِالْفُضَاءِ سَحَابَةً لَطَلَّ عَلَيْهِمْ حَصْبُهَا يَتَدَخَّرُجُ  
وهو من قول قيس بن الخطيم :

لَوْ أَنَّكَ تُلْقَى حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنَا تَدَخَّرُجُ عَنْ ذِي سَامِهِ الْمَتَقَارِبِ

« الْبَيْضُ جَمْعُ بَيْضَةٍ : الْحُوذَةُ ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا عَلَى شَكْلِ بَيْضَةِ النَّعَامِ ، وَالْحَنْظَلُ ثَمَرٌ يَشْبَهُ الْبَطِيخَ لَكِنَّهُ أَصْفَرُ مِنْهُ جَدًّا وَيَضْرِبُ الْمِثْلَ بِمِرَارَتِهِ ، وَقَوْلُهُ : عَنْ ذِي سَامِهِ ، أَي عَلَى ذِي سَامِهِ ، فَمِنْ فِيهِ بِمَعْنَى عَلَى وَالْهَاءِ فِي سَامِهِ يَرْجِعُ إِلَى الْبَيْضِ الْمَمُوهِ بِهِ ، أَي الْبَيْضِ الْمَمُوهِ بِالسَّامِ ، وَالسَّامُ : عُرُوقُ الذَّهَبِ وَالنُّضَّةِ ، وَهُوَ هُنَا الطَّرَائِقُ الْمَذْهَبَةُ فِي الْبَيْضِ ، قَالَ الْإِمَامُ ثَعْلَبُ : مَعْنَاهُ : أَنَّهُمْ تَرَاثَمُوا فِي الْحَرْبِ حَتَّى لَوْ وَقَعَ حَنْظَلٌ عَلَى رُؤْسِهِمْ عَلَى إِمْلَاسِهِ وَاسْتَوَاءِ أَجْزَائِهِ لَمْ يَنْزِلْ إِلَى الْأَرْضِ ،

وقال أبو عمرو بن العلاء : أحسن ما قيل في صفة الجيش قول النابغة :

إِنِّي لِأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ بَفْضَائِكُمْ يَوْمٌ كَأَيَّامِ

أَوْ تَزْجُرُوا مُكْفَهَرًا لَا كِفَاءَ لَهُ كَاللَّيْلِ يَخْاطُ أَصْرَامًا بِأَصْرَامٍ  
تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ نُورًا بِنُورٍ وَإِظْلَامًا بِإِظْلَامٍ  
« أَوْ تَزْجُرُوا عَطْفَ عَلَى مَا قَبْلَهُ ، وَالْمُكْفَهَرُ : الْجَيْشُ الْعَظِيمُ ، وَلَا  
كِفَاءَ لَهُ : لِأَنْظِيرِهِ لَهُ ، وَيَخْاطُ أَصْرَامًا بِأَصْرَامٍ إِذَا جَعَلْتَهُ صِفَةً لِلَّيْلِ وَالْأَصْرَامُ  
جَمْعُ صَرِيمٍ وَهُوَ اللَّيْلُ الْمُظْلَمُ فَيَكُونُ الْمَعْنَى يَخْاطُ مُظْلِمًا بِمُظْلِمٍ ، وَإِذَا جَعَلْتَهُ  
صِفَةً لِلْجَيْشِ قَبْلَهُ كَمَا كَانَتْ الْمَعْنَى : يَخْاطُ كُلَّ حَتَّى بِقَبِيحَاتِهِ خَوْفًا مِنَ الْإِغَارَةِ عَلَيْهِ ،  
وَقَوْلُهُ : تَبْدُو كَوَاكِبُهُ ... الْبَيْتُ يَرِيدُ : شِدَّةَ الْهَوْلِ وَالْكَرْبِ ، وَهَذَا كَمَا  
تَقُولُ الْعَامَّةُ : أَرَيْتَهُ النُّجُومَ وَسَطَ النَّهَارِ .

قال الفرزدق : \* أَرَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسَ حَيَّةً \*  
وقال طرفة : \* وَتُرَيْكَ النُّجُومَ يَجْرِي بِالظُّهُرِ \*  
وفي هذا المعنى يقول جرير :

وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرُ  
يقول : إِنَّ الشَّمْسَ طَالِعَةٌ وَلَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ نَجُومَ اللَّيْلِ ، لِشِدَّةِ الْغَمِّ  
وَالْكَرْبِ الَّذِي فِيهِ النَّاسُ ، فَجَرَمَ مَفْعُولٌ كَاسِفَةٌ ،

قالوا : وَأَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ قَوْلُ زَيْدِ الْخَيْلِ :

بَنِي عَامِرٍ دَلَّ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَا أَبُو مَكْنَفٍ قَدَّ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَابِرِ  
يَجِيئُ تَضَلُّ الْبُلُقَى فِي حَجْرَاتِهِ تَرَى الْأُكْمَ مِنْهُ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ  
وَجَمْعُ كَثَلِ اللَّيْلِ مُرْتَجِسُ الْوَعَى كَثِيرٌ تَوَالِيهِ سَرِيعُ الْبَوَادِرِ  
« قَوْلُهُ : قَدَّ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَابِرِ أَرَادَ : شَدَّ دَوَابِرَ الْبَيْضَةِ — أَيْ  
مَآخِرِهَا — بِالذَّرْعِ لثَلَا تَسْقُطُ إِذَا رَكَضَ الْفَارَسُ : وَقَوْلُهُ : تَضَلُّ الْبُلُقَى  
فِي حَجْرَاتِهِ فَحَجْرَاتِهِ : نَوَاحِيهِ جَمْعُ حَجْرَةٍ يَقُولُ لِكَثْرَتِهِ لَا يُرَى بِهِ إِلَّا بُلُقَى



والأباق مشهور المنظر لاختلاف لونه — السواد والبياض — وكان رؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لثلاثين عليهم فيقتصدوا بشره، وقوله: ترى الآكم منه سجداً للحوافر يقول: لكثرة الجيش يطحن الآكم حتى يلبصقها بالأرض: \* يدع الآكام كأنهن صحارى \*  
وقوله: كمثل الليل يريد: ظلمة يكاد سواده لكثرتيه يسد الأفق، والوغي: الأصوات، والارتجاس: صوت الشيء المختلط العظيم كالجيش والرعد، والتوالي: اللواحق،

ومن بارع ما قيل في الكيد في الحرب قول أبي تمام:  
هَزَزْتَ لَهُ سَيْفًا مِنَ الْكَيْدِ إِنَّمَا تُجَدُّ بِهِ الْأَعْنَاقُ مَا لَمْ يُجَرِّدِ  
يَسْرُ الَّذِي يَسْطُو بِهِ وَهُوَ مُغَمَّدٌ وَيَفْضُحُ مِنْ يَسْطُو بِهِ غَيْرُ مُغَمَّدِ  
«يقول: إن أخفيت الكيد ظفرت وسررت، وإن أظهرته اقتضحت وخبت، وقال يصف أفاعيل رُخ المدوح في أعدائه:

أَنْهَيْتَ أَرْوَاحَهُ الْأَرْمَاحَ إِذْ سَرِعَتْ      فَمَا تُرَدُّ لِرَيْبِ الدَّهْرِ عَنْهُ يَدُ (١)  
كَأَنَّهَا وَهِيَ فِي الْأَوْدَاجِ وَالْعِقَّةُ      وَفِي السُّكَلَى تَجِدُ الْغَيْظَ الَّذِي تَجِدُ  
مِنْ كُلِّ أَرْزَقٍ نَظَارَ بِلَا نَظَرٍ      إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِي مَتْنِهِ أَوْدُ (٢)  
كَأَنَّهُ كَانَ خِدْنِ الْحَبِّ مُذْ زَمَنِ      فَلَيْسَ يُعْجِزُهُ فُلْبٌ وَلَا كَيْدُ

(١) أرواحه: أرواح بابك الحزى ومن معه، وقوله فما ترد الدهر عنه يد (١) الحزى يعد هذه الواقعة وما نزل به من أفاعيلك ستوالى عليه نوب الدهر فلا ترد يد لربب الدهر عنه (٢) أود: اعوجاج

## ماغزى قوم قط فى عقر دارهم

### إلا ذلوا

ومن خطبة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وقد انتهى إليه : (١)  
 أن خيلا معاوية (٢) وردت الأنبار فقتلوا عاملا له يُسمى حسان بن  
 حسان ، فخرج مُغضباً يجر ثوبه حتى أتى الأُخيلة (٣) ، واتبعه الناس فرقى رِبارة من  
 الأرض (٤) فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم  
 قال : «أما بعد ، فإن الجها بابٌ من أبواب الجنة ، فمن تركه رغبةً عنه ألَبَسَه  
 اللهُ الذلَّ ، وسيمَّ الخسفَ ، ودُيِّثَ بالصغار ، وقد دعوتكم إلى حربِ  
 هؤلاء القوم ليلا ونهاراً وسراً وإعلاناً وقلتُ لكم : أغزوم من قبل أن  
 يغزوكم فوالذى نفسى بيده : ماغزى قوم قط فى عقر دارهم إلا ذلوا ، فتخذا تم  
 وتواكتم وتقلَّ عليكم قولى واتخذتموه وراءكم ظهرياً ، حتى شدتُ عليكم  
 الغارات ، هذا أخو غامد قد وردت خيـلُه الأنبارَ وقاتلوا حسان بن  
 حسان ورجالا منهم كثيرا ونساءً ، والذى نفسى بيده : لقد بلغتُ أنه كان  
 يُدخِلُ على المرأة المسلمة والمعاهدة (٥) فتنتزع أحجالهما ورعتهما ثم أنصرفوا

(١) أنها إلى عالج من الأنبار ، وكان على يرمذ بالكوفة وقد تفرقت أصحابه  
 عنه بعد حرب صفين وحكومة الحكيم (٢) بروى أنه وجه سفيان بن عوف  
 ابن المغفل الغامدى فى ستة آلاف وأمره أن يتجدر إلى دهيت ، ثم إلى الأنبار ،  
 فيوقع بأهلها فقتل من أصحاب على حسان عامله عليها وثلاثين رجلا واحتمل ما فيها  
 من الأموال ؛ دهيت - بكسر الهاء - بلد على شاطئ الفرات ، والأنبار : مدينة  
 بالعراق كذلك على شاطئ الفرات غربى بغداد بينهما عشرة فراسخ

(٣) اسم موضع خارج الكوفة (٤) اسم لكل مرتفع من الأرض كالربوة

(٥) المرأة الذمية ذات العهد

مؤثورين لم يُكَلِّمُ منهم أحدَ كَلِّمًا ، فلو أن امرأً مُسَلِّمًا مات من دون هذا أسفًا ما كان فيه مَلُومًا بل كان به عندي جديرًا . يا عجبًا كلَّ العجب ، عَجِبْتُ يُمِيت القلبَ وَيَشْغَلُ القَومَ وَيَكْثِرُ الأَحْزَانَ ، من أَضَاوِرِ هَؤُلاءِ القومِ على باطِلِهِمِ وَفَسَلِيبِكُمْ عن حَقِّكُمْ حتى صَبَحْتُمْ غَرَضًا تُرَبُّونَ وَلَا تَرْمُونَ ، وَبُغَارُكُمْ وَلَا تُبْغِرُونَ ، وَيُعْصِي اللهُ عزَّ وجلَّ فيكُمْ وَلَا تَرْضُونَ ، إِذَا قُلْتُ لَكُمْ : اغزَوْهم في الشتاء قَلْتُمْ : هذا أَوْانٌ قُرُوضِرٌ ، وَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ : اغزَوْهم في الصيف قَلْتُمْ : هذه حَمَارَةٌ القَيْظِ أَنْظِرْنَا يَنْصَرِمُ الحَرُّ عَنَا ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الحَرِّ والبَرْدِ تَفْرُونَ فَأَنْتُمْ وَاللهُ مِنَ السَّيْفِ أَقْرُ : يَا أَشْبَاهَةَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالًا ، وَيَا طَغَامَ الأَحْلَامِ ، وَيَا عُقُولَ رَبَاتِ الحِجَالِ ، وَاللهُ لَقَدْ أَفْسَدْتُمْ عَلَى رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ ، وَلَقَدْ مَلَأْتُمْ جَوْفِي غَيْظًا ، حَتَّى قَالَتْ قَرِيشٌ : ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَإِنِّي لَأَرَأَى لَهُ فِي الحَرْبِ اللهُ دَرْتُهُمْ ، وَمَنْ ذَا يَكُونُ أَعْلَمَ بِهَا مِنِّي أَوْ أَشَدَّ لَهَا مِرَاسًا ! فَوَاللهُ لَقَدْ تَهَضَّتْ فِيهَا وَمَا بَلَغَتْ العِشْرِينَ . وَلَقَدْ نَبَّهْتُ اليَوْمَ عَلَى السِّتِينَ وَلَكِن لَأَرَأَى لِمَنْ لَا يُطَاعُ ... » وإليك شرح بعض ألفاظ هذه الخطبة الخالدة ، قوله : وَسِيمَ الحَسَفِ معناه : كُفِّفَ وَأَلْزِمَ وَجُشِّمَ قَالَ تَعَالَى : يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ . أَيِ يُجَشِّمُونَكُمْ أَشَدَّ العَذَابِ ، فَسِيمَ : كُفِّفَ وَأَلْزِمَ ، وَالْحَسَفُ : الذَّلُّ وَالهُوَانُ ، وَأَصْلُهُ أَنْ تُحْبَسَ الدَّابَّةُ عَلَى غَيْرِ عِلْفٍ ثُمَّ اسْتَعِيرَ فَوْضَعَ مَوْضِعَ الهَوَانِ : رُدِيَتْ : ذُلَّلَ . وَمِنْهُ اسْتِيفَاقُ الدَّيْرِثِ وَهُوَ : الرَّجُلُ الَّذِي لَا غَمِيرَةَ لَهُ . وَقَوْلُهُ : فِي عُقْرِ دَارِهِمْ : أَيِ فِي أَصْلِ دَارِهِمْ ، وَالْعُقْرُ : أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ . لِفُلَانٍ عَقَارٌ : أَيِ أَصْلُ مَالٍ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مِنْ مَنْزِلٍ وَضَيْعَةٍ وَنَخِيلٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ : وَتَوَاكَلْتُمْ يَقَالُ : وَكَلَّتْ

الامر إليك ورَكَتَهُ أَنْتِ إِلَى : أى لم يَتَوَلَّهُ واحد منا دون صاحبه  
ولكن أحالَ به كلُّ واحد منا على الآخر : وقوله : وانخذهموه ورائكم  
ظَهْرِيًّا : أى رَمَيْتُمْ به وراء ظهوركم ، أى لم تلتفتوا إليه ، ويقال فى المثل :  
لا تجعل حاجتى منك بَظْهر : أى لا تَطْرَحها غيرَ ناظِرٍ إليها ، وقوله : حتى  
سُدَّتْ عليكم الغارات : أى صُبَّتْ وُبُذَّتْ عليهم من كلِّ وجه . وقوله :  
فتتنزع أحبالهما يعنى : الخلاخيل واحدهما حِجَل . والرَّعْتُ : جمع رعاع  
جمع رَعْتة والرَّعْتة : الشَّنْف أى القُرْط الذى يوضع فى الأذن ؛ وقوله :  
وانصرفوا موفورين أى : لم يُرْزَوْا ، أى لم يُصابوا ولم يُنَلْ أَحَدٌ منهم  
فى بدنه ولا ماله . ولم يُكَلِّمْ أَحَدٌ منهم أى لم يُخَدِّش أَحَدٌ منهم خَدَشًا .  
وكلُّ جُرحٍ صَغُرَ أو كَبُرَ فهو كَلِم . وقوله : مات من دون هذا أَسْفًا يريد :  
تَحْشُرًا . وقوله : من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم أى : من تعاونهم  
وتظاهروهم . ويقال : نَشَل فلان عن كذا : إذا هابَهُ جُبْنًا وفزعاً فأحجمَ  
عنه وامتنع من المضى فيه . والقُرَّ — بضم القاف — البزد أما القَرَّ  
— بالفتح — فهو اليوم البارد . والصَّرَّ — بكسر الصاد — شدة البرد  
قال تعالى : كمثل رِيحٍ فيها صِرٌّ . والقيظ : الصيف ، وحرَّاتُه : اشتداد حرِّه  
واحتدائه . والطَّغام : من لا عقل له ولا معرفة عنده . وقوله : وباعقول  
رَبَّاتِ الحِجَال : فالحِجَال جمع الحِجَلَة وهى كالثَّبَّة ويديت للدروس يُزِين بالثياب  
والسُّتور ، يُنسُبُهُم إلى ضَعْفِ النساءِ ،

\*\*\*

ومن رائع الشعر القديم فى باب الحثِّ على الإقدام والذود عن الذَّمار  
ووصفِ الأبطال والمتخاذلين المتباطئين قول شاعر من بنى العنبر اسمه

قُرَيْطُ بْنُ أُنَيْفٍ — شاعر إسلامي — وكان ناس من بني شيبان قد أغاروا عليه فأخذوا له ثلاثين بعيراً فاستنجد قومه فلم يُنجدوه فأتى مازن تميم فركب معه نفرٌ فأطردوا لبني شيبان مائة بعير فدفعوها إليه فقال هذه الآيات التي افتتح بها أبو تمام حماسته :

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبجِ إبلي	بنو الشقيقة من ذهلِ بنِ شيبانا
إذا لقامَ بنصرى معشرٌ حُشنٌ	عند الحفيظةِ إن ذو لؤثةِ لانا
قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجديه لهم	طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا
لا يسألون أخاهم حينَ يندُبهم	في النائباتِ على ما قال برهاننا
لكن قومي وإن كانوا ذوى عددٍ	ليسوا من الشرِّ في شيءٍ وإن هانا
يجزون من ظلمِ أهلِ الظلمِ مغفرةً	ومن إساءةِ أهلِ السوءِ إحسانا
كان ربك لم يخأقْ لحشيتيه	سواهم من جميع الناسِ إنسانا
فأيت لي بهم قوما إذا ركبوا	شئوا الإغارةِ فرساناً ورُكبانا

« بنو الشقيقة هي الرواية الصحيحة وإن كانت رواية شراح الحماسة : بنو اللقيطة ، والشقيقة : امرأة من بني ذهل بن شيبان ، وبنوها كانوا سيارةً مرّدةً ليس يأتون على شيء إلا أفسدوه ، وأما اللقيطة فهي امرأة من فزارة ، هكذا زعم أبو محمد الأعرابي . والاستباحة : في معنى الإباحة وهي شبه النهي ، استباحه : انتهبه حتى لكأنه مباحٌ لا تبعه عليه فيه ، وحُشن جمع أحشن وهو من صفات الرجال مثل يُراد به امتناع الجانب وإباء الضم . ورجل ذو لؤثة : بطيء متمكث ذو ضعفٍ واسترخاء ، يقول : لولم أكن من بني العنبر وكنت من بني مازن ثم نالني من بني الشقيقة مانالني من استباحتهم إبلي لكان لي منهم من ينصرتني عليهم ويأخذ بحق اقتساراً منهم

إذا لَانَ ذر الصَّمْفِ والوَهْنِ فلم يَدْفَع ضِيماً ولم يَحْمِ حَقِيقَةً ، ومُرَاد الشاعر تهييج قومه على الانتقام له من أعدائه لا إلى ذمهم ، والحفيظة : الغضب والحمية والمنع للشيء الذي ينبغي أن يحافظ عليه . وقوله : قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم فإبداء الشر تواجده مثل لشدته وصلوته ، وذلك أن السَّبْعَ إذا صال أو شدَّ كَشَرَ عن أنيابه ، فقَبَّه الشَّرُّ به في حال شدته ، وطاروا إليه يريد : أسرعوا إليه ، ووحدانا جمع واحد كراكب ورُكبان ، والزرافات : الجماعات ، يقول في هذا البيت . إنهم لِحِرصهم على القتال وحُبهم إياه لا يلتظر بعضهم بعضاً ، لأن كلاً منهم يعتقد أن الإجابة تعيبت عليه ، فإذا سمعوا يذكُر الحرب أسرعوا إليها مُتجمعين ومُتفرقين ؛ ومثله قول حُميد بن نور الهلالي الصحابي :

قَوْمٌ إِذَا هَتَفَ الصَّرِيحُ رَأَيْتَهُمْ مابينَ مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ<sup>(١)</sup>  
 وقوله : لا يسألون أخاهم... البيت يقول : إذا دعوا إلى الحرب أسرعوا إليها غير سائلين من دعاهم لها ، ولا باحثين عن سببها ، لأن الجبان ربما تعلق بذلك فنباطاً عن الحرب . ونحوه قول سلامة بن جندل :  
 إِنَّا إِذَا مَا تَنَا صَارِحٌ قَزِعُ كَانَ الصَّرَاخُ لَهُ قَرْعُ الظَّنَائِبِ  
 « يقول سلامة : إذا دعانا إلى إعانتِهِ أجنبناه إليها مُجِدِّين ، والظنوب : عَظْمُ السَّاقِ ، يقال : قرع لهذا الأمر ظنوبه : إذا جدَّ فيه »

(١) متف : صاح و يروى تقع : أى ارتفع والصريح : الصباح أو بمعنى الصارخ ويروى إذا سمعوا الصريح . وسافع : أخذ بناصية فرسه ، من قوله تعالى : لنسفعاً بالناصية ، يقول : هم قوم إذا ارتفع الصباح للحرب أسرعوا إليه فتراهم دائرين بين ملجم مهرة وقابض بناصية مهرة يجذبه إليه بسرعة .

وقوله : لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَرِيَّ عَدَدٍ ... أَلَيْتَ وَصَفَ قَوْمَهُ  
بأنهم يُؤْثِرُونَ السَّلَامَةَ وَالتَّغْفُورَ عَنِ الْجُنَاةِ مَا وَجَدُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ، وَلَوْ  
أَرَادُوا الْإِنْتِقَامَ لَقَدَّرُوا بَعْدَهُمْ وَعُدَّهُمْ . هَذَا إِذَا كَانَ الشَّاعِرُ لَا يَرِيدُ كَمَا  
قُلْنَا هِجَاءَ قَوْمِهِ وَإِنَّمَا يُرِيدُ حَسَنَهُمْ عَلَى الْإِنْتِقَامِ ، أَمَا إِذَا كَانَ يَرِيدُ ذَمَّهُمْ  
فَإِنَّهُ يَهْجُوهُمْ وَيُعَيِّرُهُمْ بِالْجُبْنِ فِي هَذَا الْبَيْتِ . وَقَوْلُهُ : كَأَنَّ رَبَّكَ ... الْبَيْتِ  
تَهَكُّمٌ مِنْهُ وَسُخْرِيَةٌ . وَمَعْنَى قَوْلِهِ : فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا : أَنَّهُمْ كَانُوا يُقَاتِلُونَ  
عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ ، وَمِنْ ذَا قَوْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ  
فِي حَرْبِ الْقَادِسِيَّةِ : أَخْبِرْنِي : أَيُّ فَارِسٍ كَانَ أَشْجَعًا ؟ وَأَيُّ رَاكِبٍ كَانَ  
أَشَدَّ غَنَاءً ؟ وَأَيُّ رَاكِبٍ كَانَ أَصْبَرَ ؟ فَذَكَرَهُمْ لَهُ وَمَيَّزَهُمْ .



ومن طريف أبيات الحماسة التي أوردتها أبو تمام في حماسته والمبرّد في  
الكامل أبيات قال المبرّد : إنها لأعرابي من بني سعد <sup>(١)</sup> ونسبها أبو تمام  
إلى الهذلول بن كعب العبدي - وكلاهما شاعر جاهلي - وكان هذا  
القائل نُمَاكًا - أَي عَقِدَ لَهُ عَلَى امْرَأَةٍ وَلَمْ يَبْتَنِ بِهَا - فَنَزَلَ بِهِ أَضْيَافٌ  
فَقَامَ إِلَى الرَّحَى فَطَحَنَ لَهُمْ ، فَمَرَّتْ بِهِ زَوْجَتُهُ فِي نِسْوَةٍ ، فَقَالَتْ لَهُنَّ :  
أَهَذَا بَعْلِي ؟ فَأُعْلِمَ بِذَلِكَ فَقَالَ :

تقول : وَصَكَّتْ نَحْرَهَا بِيَمِينِهَا : أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ ؟  
فقلتُ لها : لَا تَعْجَلِي وَتَبَيَّنِي فَعَالِي إِذَا التَّفَّتْ عَلَى الْفَوَارِسِ  
أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ بِرُكْبٍ رَدَّعُهُ

وفيه سنان ذو غرارين نائس

(١) قال ابن بري : هو نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي

وَأَحْتَمَلُ الْأَوْقَ الثَّقِيلَ وَأَمْتَرِي  
 خُلُوفَ الْمَنَايَا حِينَ فَرَّ الْمُغَامِسُ  
 وَأَقْرَى الْهُمُومَ الطَّارِقَاتِ حَزَاءَةً  
 إِذَا كَثُرَتْ لِلطَّارِقَاتِ الْوَسَاوِسُ  
 إِذَا حَامَ أَقْوَامٌ تَقَحَّمْتُ غَمْرَةً  
 يَهَابُ حَمِيَّاهَا الْأَكْثُ الْمُدَاعِسُ  
 لَعَمْرُ أَيِّكَ الْخَيْرِ إِنْ لَخَادِمُ  
 لِضَيْفِي وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ لِفَارِسُ  
 وَإِنِّي لِأَشْرَى الْجِدَّةِ أَبْغِي رَبَاحَهُ  
 وَأَتْرُكُ فِرْنِي وَهُوَ خَزْيَانُ نَاعِسُ

« الْقَعَسُ : دخولُ الظَّهْرِ وَخُرُوجُ الصَّدْرِ ، وَهُوَ نَقِيضُ الْحَدَبِ ،  
 وَقَوْلُ الْمَرْأَةِ : أَبْعَلَى هَذَا ؟ إِشَارَةٌ تَحْقِيرٍ ، تَعَجُّبٌ مِمَّا رَأَتْ ، وَقَوْلُهُ : بِالرَّحَى  
 الْمَتَقَاعَسُ فَإِنَّ « بِالرَّحَى » تَبْيِينٌ وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ كَلِمَةَ « الْمَتَقَاعَسُ » تَدُلُّ عَلَى  
 أَنَّ هُنَاكَ تَقَاعُسًا وَلَمَّا قَالَ بِالرَّحَى دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ التَّقَاعَسَ حَدَثَ  
 بِالرَّحَى ، وَلَمْ يُرَدَّ أَنْ يُعْمَلَ الْمَتَقَاعَسَ فِي قَوْلِهِ بِالرَّحَى لِأَنَّ ذَلِكَ عَلَى  
 مَا قَالَ النُّجَاحَةُ مَمْنُوعٌ ، لِأَنَّ أَلَّ فِي الْمَتَقَاعَسِ اسْمُ مَوْصُولٍ كَالَّذِي وَبِالرَّحَى  
 صَلَةٌ وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَتَقَدَّمَ الصَّلَةُ عَلَى الْمَوْصُولِ . وَقَوْلُهُ : أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ  
 يَرْكَبُ رَدْعَهُ ، فَالْقِرْنَ : مَنْ يِقَارُؤُكَ فِي قِتَالٍ ، وَقَوْلُهُ : يَرْكَبُ رَدْعَهُ ،  
 قِيلَ : الرَّدْعُ هَهُنَا : الدَّمُ عَلَى سَبِيلِ التَّشْبِيهِ بِرَدْعِ الزَّعْفَرَانِ ، وَمَعْنَى رَكُوبِهِ  
 دَمَهُ : أَنَّهُ جُرِحَ فَسَالَ دَمُهُ فَسَقَطَ فَوْقَهُ مُتَشَجِّعًا بِهِ ، وَقِيلَ : الرَّدْعُ : الْعُنُقُ  
 أَوْ سَقَطَ عَلَى رَأْسِهِ فَانْدَقَّتْ عُنُقُهُ ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ : صُرِعَ مَنْكُوسًا رَأْسَهُ



أَسْفَلَهُ ، مِنْ أَرْتَدَعَ السَّهْمُ : إِذَا رَجَعَ النُّصْلُ مُتَأَخَّرًا فِي السَّنَخِ .  
 وَذُو غِرَارَيْنِ : ذُو حَدَّيْنِ ، وَنَائِسٌ : مُضْطَرَبٌ ، مِنْ نَائَسَ يَنْوَسُ : إِذَا  
 تَحَرَّكَ وَاضْطَرَبَ ، وَتَرَوَى : يَابَسُ وَمَعْنَاهُ : صُلْبٌ ذَكَرٌ لَا تَأْنِيكَ فِيهِ .  
 وَالْأَوْقُ : الثَّقَلُ وَقَدْ آقَ عَلَيْهِ يَوْقُ : مَالٌ بِثِقَلِهِ ، وَصَفَهُ بِالثَّقِيلِ مَبَالِغَةً .  
 وَالْخُلُوفُ جَمْعُ خَلْفٍ — بِالْكَسْرِ — وَهُوَ فِي الْأَصْلِ : ضَرْعُ النَّاقَةِ ،  
 وَأَمْتِرَاؤُهُ : اسْتِخْرَاجُ مَا فِيهِ مِنَ اللَّبَنِ . يَرِيدُ : أَنَّهُ يَسْتَخْرِجُ خَبِيثَاتِ الْمَنَائِي  
 بِأَفَاعِيلِهِ الْمُدْهِشَةِ وَقَدْ جَدَّ الْخُطْبُ وَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ ، وَالْمَغَامَسُ : الَّذِي  
 يَنْغَمَسُ فِي لُجَّةِ الْحَرْبِ لَا يَبَالِي أَصَابَ أَمْ أُصِيبَ ، وَقَوْلُهُ : وَأَقْرَى الْهَمْرَمِ  
 الطَّارِقَاتِ حَزَامَةً ... أَلْبَيْتِ يَقُولُ : أَحْزَمُ عِنْدَهَا إِذَا اشْتَدَّتْ وَكَثُرَتْ  
 أَحَادِيثُ النَّفْسِ بِهَا . وَخَامٌ : جَبِينٌ وَنَكَصَ يَقَالُ : خَامَ عَنِ الْقِتَالِ يَخِيمُ  
 خَيْمًا وَخَيْمَانًا : جَبِينٌ . وَالْحِيَا : صَدْمَةٌ الشَّرِّ ، وَالْأَلْدُ فِي الْأَصْلِ : الشَّدِيدُ  
 الْخُصُومَةِ الَّذِي يَجِيدُ عَنِ الْحَقِّ ، وَالْمَرَادُ هُنَا الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ عَنِ الْحَرْبِ .  
 وَالْمَدَاعِسُ : الْمَطَاعِنُ يَقَالُ : دَعَسَهُ بِالرِّيحِ : إِذَا طَعَنَهُ . وَالرَّبَّاحُ مَصْدَرٌ كَالرِّيحِ  
 وَقَوْلُهُ : وَأَتْرَكَ قِرْنِي الْخَ يَقُولُ : أَهَيْئُهُ فَأَكْسِرُهُ حَتَّى يَبْقَى مَطْرَقًا مُتَمَدِّمًا  
 كَمَنْ غَلَبَهُ النَّعَاسُ ، وَقِيلَ مَعْنَى نَاعَسَ : مُشْرِفٌ عَلَى الْمَوْتِ يَقَالُ طَعَنْتُ  
 صَاحِبِي فَأَنْمَتُهُ : أَي قَتَلْتُهُ . »

\*\*\*

وقالت ليلي الأخيلىة وهى من أبيات الحماسة :

لَا تَفْرُوزَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطْرَفٍ      لَا ظَالِمًا أَبَدًا وَلَا مَظْلُومًا  
 قَوْمٌ رِبَاطُ الْحَيْلِ وَسَطَ بِيوتِهِمْ      وَأَسِنَّةُ زُرُقٍ تُخَالُ نَجُومًا  
 وَخُرْقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ      وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا

حتى إذا رُفِعَ اللّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللّوَاءِ عَلَى الْخَيْسِ زَعِيمًا  
 ه قولها : لا تَغْزُونَ بِرُؤْيٍ لَا تَقْرَبَنَّ وَقَوْلُهَا : لا ظالماً أبداً ولا مظلوما  
 تريد : لا بُتْدِنَا لَهُمْ بِالْحَرْبِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحَارِبُوكَ وَلا مُتَّقِمًا مِنْهُمْ لِأَنْ  
 حَارِبُوكَ ، لِأَنَّهُمْ أَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ لَا يَطَّافُونَ عَلَى أَنْ حَالًا ، وَيُرْوَى :  
 ه لا ظالماً فيهم ولا مظلوما ه

قال البكري شارح الأملی : وهذه الرواية هي الجيدة لوجهين أحدهما :  
 أنها أفادت معنى حسناً ، لأنه قد يكون ظالماً أو مظلوماً من غيرهم فيستجبر  
 بهم الردُّ ظلامته ، أو لا يستدفع مكروهه وتوبته فلا بدَّ لهم من إيجازته ،  
 والوجه الثاني أن قوله : لا تَقْرَبَنَّ الدَّهْرُ قَدْ أَغْنَى عَنْ قَوْلِهِ : أبداً ، فصار  
 حشواً لا يفيد معنى ، وقولها : قومٌ رِبَاطُ الْخَيْلِ ... أَلَيْتَ تَقُولُ : إنهم  
 أصحابُ خَيْلٍ وَرِمَاحٍ مُسْتَعِدُونَ أَبَدًا لِذَنْعِ الْأَعْدَاءِ وَالذُّودِ عَنْ حِيَاظِهِمْ ،  
 وَأَسِنَّةِ زُرُقٍ : صَافِيَةٌ لَامِعَةٌ كَأَنَّهَا نَجْمٌ فِي الصَّفَاءِ وَاللِّبَاقِ ، وَقَوْلُهَا :  
 وَنَحْرَقُ عَنْهُ الْقَمِيصَ فِيهِ قَوْلَانِ : أَحَدُهُمَا : أَنْ ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى جَذْبِ  
 الْعَفَاةِ لَهُ ، وَالثَّانِي : أَنَّهُ يُؤَثِّرُ بِجِدِّ ثِيَابِهِ فَيَكْسُوها وَيَكْتَفِي بِمَعَارِزِها  
 — أَيْ الثِّيَابِ الْبَالِيَةِ مِنْهَا لِأَنَّهَا ثِيَابُ الْمُعْوِزِينَ — وَقَوْلُهَا : تَخَالَهُ مِنَ الْحَيَاءِ  
 سَقِيماً تَرِيدُ أَنَّهُ لِإِمْعَانِهِ فِي الْكِرْمِ وَالسَّخَاءِ تَظُنُّهُ سَقِيماً مِنَ الْحَيَاءِ تَخْشِيَةً أَنْ  
 لَا يَكُونَ قَدْ بَلَغَ مِنْ إِكْرَامِ الضَّيْفِ مَا يَنْبَغِي ، تَمْدَحُهُ بِالْجُودِ كَمَا تَمْدَحُهُ  
 بِالشَّجَاعَةِ . وَالْخَيْسُ : الْجَيْشُ ، وَالزَّعِيمُ : الْكَفِيلُ وَالرَّئِيسُ .

وقال بعضُ بني مازن :

وقد علموا بأن الحرب ليست لأصحابِ المَجَامِرِ وَالنَّحْلُوقِ  
 ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى أَقْنَانَاكُمْ عَلَى وَضْعِ الطَّرِيقِ

« المجامر : المباخر ، أى التى توضع فيها النار والبخور لِيَسْتَجَرَّ بِهَا وَيُنْطَيَّبَ : والخَلُوقُ : طيبٌ معروفٌ يُتَخَذُ مِنَ الْوَانِ شَتَّى مِنَ الطَّيْبِ ، وَقِيلَ : الزعفران »

وقال أبو تمام فى مرثيته المشهورة لمحمد بن حميد الطوسى التى أولها :  
كذا فليجَلِّ الخَطْبُ وليفدَحِ الأمرُ

فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُذر

قال :

فَيَ ماتَ بينَ الطَّغْنِ والضَّرْبِ مِيتَةً

تقوم مقام النصر إذ فاته النصرُ

وما مات حتى مات مَضْرِبُ سَيْفِهِ

من الضرب ، واعتَلَّتْ عليه القنا السُّمُّرُ

وقد كان فوت الموتِ سهلاً فرَدَهُ

إليه الحِفاظُ العُرُ والخُلُوقُ الوَعْرُ

ونفسٌ تعاف العارَ حتى كأنما

هُوَ الكُفْرُ يومَ الرَّوعِ أو دونه الكُفْرُ

فأثبتَ فى مُسْتَنقَعِ الموتِ رِجْلَهُ

وقال لها : من تحت أَخْصِكَ الحِشْرُ

غدا غُدْوَةً والحمدُ نَسْجُ رِدايهِ فلم يَنْصَرِفْ إلا وأكفاههُ الأجرُ

تردَى نِيابَ الموتِ حُمْراً فادَجَا لها الليلُ إلا وهى من سُنْدُسِ خُضْرُ

« قوله : تقوم مقام الصر : لأنه قُتِلَ قِتْلَةً بطل شجاع ، إذ لم يُقْتَلْ

حتى تَلَمَّ حَدُّ سَيْفِهِ مِنْ شِدَّةِ ما ضَرَبَ بِهِ وحتى أَقْصَفَتِ الرِّماحُ فى يَدَيْهِ

كما قال في البيت التالي ، قال نَقْدَةَ الشعر : إن أبا تمام نظر في هذا المعنى إلى قول عُرْوَةَ بن الورد :

ومن يكُ مثلي ذا عيالٍ ومُفْتَرًا      من المالِ يطرُحُ نفسهُ كلَّ مَطْرَحِ  
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أو يَنالَ رَغِيبةً      ومُبْلِغُ نفسِ عُدْرَها مثلُ مُنْجِحِ

قالوا : إن عُرْوَةَ جعل اجتهاده في طلب الرزق عُذْرًا يقوم مقام النجاح وأبو تمام جعل الموت في الحرب الذي هو أفضى اجتهاد المجتهد في لقاء الأعداء قائمًا مقام النصر . هذا ، ومضربُ السيف : حُدّه ، وقوله : واعتلت عليه القنا السُمُرُ فمعنى اعتلال القنا أن العلة أصابها فلم تستطع العمل معه وتحقيق مطالب همة من الصُمود للأعداء ، أو تقول : معنى اعتلاها : أنها تجنّت عليه الذنوب واتخذت ذلك ذريعة إلى العصيان والخلاف عليه ، وما ذنبه عندها إلا كثرة تكاليفها الطعن لا يُربحها من ذلك ، والحِفاظ : التحيّة والغضبُ محافظة على الحرمة وكل ما يجب على المرء حمايته ، والخلق الوعر : الشديد الأنفة ، ولا يُمدح به إلا في العداوة . قال المازني :

تُعَارِبُنِي فيما ترى من شراستي      وشِدَّةِ نَفْسِي أُمّ سَعْدٍ وما تدرى  
فقلت لها : إن الكريمَ وإن حلا      لِيُوجِدُ أحيانًا أمرًا من الصبر

« الروع هنا : الحربُ وفي الأصل : الخوف . وقوله : فأثبت في مُسْتَنَقِعِ الموتِ رجله ... أليبت . جعلَ للوتِ مُسْتَنَقِعًا كَمُسْتَنَقِعِ الماءِ ، وهو : مجتمعه في بطن الوادي ، وأُخِصُّ القدم : مالا يُصيب الأرض من باطنها يقول : إنّه لشجاعته قد صَمَد للوت فلا تتحول رِجْلُهُ إلى أن يموتَ حتى كأن الحشر - يوم يُحشر الناس إلى ربهم يوم القيامة - من

تحت أَخْصَه . وقوله : غدا غدوة ... أبيت يقول : إنه عاش محموداً مشكوراً  
ومات مشوباً ماجوراً . وقوله : تردى ثياب الموت ... أبيت يقول : إنه  
ارتدى الثياب المأطخة بالدم فلم ينقض يوم قتله ولم يدخل في ليلته إلا  
وقد صارت الثياب خضراً من سُندس الجنة . قال علماء البيان : في هذا  
البيت الطباق المسمى بالتدبيح ، وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر في معنى من  
المدح أو غيره ألواناً لقصد الكناية أو التورية ، ويسمى تدبيح الكناية  
أيضاً ، فإنه هنا ذكر لون الحمر والحضرة والمراد من الأول الكناية عن  
القتل ومن الثاني الكناية عن دخول الجنة ،

\*\*\*

وقال البُحْتَرِيُّ :

مَعَشَرُهُمْ أَسَكَّتْ حُلُوهُ هُمُ الْآرِضَ وَكَادَتْ لَوْلَاهُمْ أَنْ تَمِيدَا  
فَإِذَا الْجَدْبُ جَاءَ كَانُوا غَيْرَتَا  
وَكَانَ الْإِلَهِةَ قَالَ لَهُمْ فِي الْهَرَبِ كَرِهُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدَا

وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

لَوْ أَنَّ قَوْمًا يَخْلُقُونَ مَنِيَّةً  
قُورٌ إِذَا حَمَى الْوَطَيْسُ لَدَيْهِمْ  
مِنْ أَبِيهِمْ كَانُوا بَنِي جَبْرِيلَا  
جَعَلُوا الْجَاحِمَ لِلسَّيْفِ مَقِيلَا

وقيل للهَلَبِ بن أبي صُفْرَةَ : إنك لتلقي نفسك في المهالك ا قتال :  
إن لم آت الموت مُسْتَرِلاً ، أَنَانِي مُسْتَجَلًّا ، إِنِّي لستُ آتِي الموتَ من  
حُبِّهِ ، وَإِنَّمَا آتَيْهِ مِنْ بُغْضِهِ ، وتمثل بقول الحُصَيْنِ بن الحَمَامِ :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ  
لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ تَقْدَمَا

وقد تقدم

وقال المتنبي :

شجاعٌ كأنَّ الحربَ عاشقَةٌ له إذا زارها فدتهُ بالخيلِ والرَّجْلِ  
« المراد بالخيل : الفرسان ، والرجل جمع راجل يقول : هو شجاع يُقتل  
ولا يُقتل فكان الحرب تعشقه فإذا زار الحرب استبقتته وأفتت من سواه  
من الفرسان والرجال ، فكأنما جعلتهم فداء له . »

وقال :

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهم تَرَكتَ جمعَهُم أرضاً بلا رَجُلٍ  
ما زال طِرْفُكَ يجرى في دِمَائِهِمْ حتى مَشَى بك مَشَى الشَّارِبِ الشَّمْلِ

« قوله : وكم رجال ... أبيت يقول : كم جمع الأعداء لك جموعاً  
تَغيبُ الأرضُ من كثرتهم وتخفى على الأبصار حتى كأنهم رجالٌ بلا أرضٍ  
فقتلتهم وأفنيتهم حتى خليت أرضهم فبقيت ولا رجل فيها ، وفي هذا البيت  
نظر من ناحية كثرة الجيش إلى قول أبي تمام في صفة جيش :

ملاً المَلَأَ عَصَباً فكاد بأن يُرى لا خَافَ فيه ولا له قُدَامُ

وقوله : ما زال طرفك ... أبيت ، فالطرف : الفرس الكريم ، والشمل  
السكران ، يقول ما زلت تخوض دماءهم بفرسك حتى تعثر بالقتلى وأمالته  
دماؤهم عن سنن جريه وأزلقته حتى مشى بك مشى السكران ،

وقال الشابُّ الظريف من قصيدة له يمدح بها ابن عبد الظاهر :

ومعشِرٍ لم تزل للحزبِ يَبْضُهُمُ

حُمَرُ الخُدُودِ وما من شأنها الخَجَلُ<sup>(١)</sup>

(١) البيض : السيف ، وجعلها حمر الخدود لما يسيل فوقها من دماء الأعداء.

إذا انتَضَوْها بُروقًا صُيِّرَتْ سُجْبًا

يسيلُ من جانِبَيْها عارضٌ دَطلُ<sup>(١)</sup>

يُثني حديثُ الوَعْيِ أَعْظافَهُمْ طربًا

كانَ ذِكْرَ المنايا بينهم غَزَلُ<sup>(٢)</sup>

كم نارٍ حربٍ بهم سُبَّتَ وهم سُجْبُ

وأرضِ قومٍ بهم فاضت وهم سُعَلُ<sup>(٣)</sup>

وقال الشاعر أبو الفَرَجِ البَنْغاهُ شاعرُ اليتيمة :

يسعى إلى المِوتِ والقنا رِصْدُ وخيلُهُ بالرؤسِ تَلْتَمِهُلُ

كَأَنَّهُ واثقٌ بأنَّ لَهُ عُمراً مُقيماً ومالهُ أَجَلُ

« والقنا رِصْدُ : أى قَطْعُ ، والمفرد : تَصَدَّةٌ وهى : القِطْمةُ من الشىءِ

إذا انكسر ،

وقال آخر :

كانَ سيوفُهُ صِيغَتْ عقوداً تجولُ على الترابِ والنُجورِ

وسُمِّرَ رماحِهِ جُعِلَتْ هُموماً فما يَحْظُرَنَّ إلا فى ضَمِيرِ

ومن كلامِ على بن أبى طالب : رَبُّ حِياةٍ سَبَّيْها التَّعَرُّضُ للموتِ ،

وَرُبُّ مَنِيَّةٍ سَبَّيْها طَلَبُ الحِياةِ .

ووبعد ، فإنَّ عقرباتهم فى الشجاعة والتمدح بها لا تكاد تُحصى كثرةً ،

وإنَّ الناظِرَ فى الأدبِ العربى ولا سيما المنظوم منه يتحقَقُ من أنَّ الشجاعة

(١) انتضى السيف : استله من غمده ، والعارض السحاب والمراد هنا الدماء

(٢) الاعطاف جمع عطف وهو الجانب

(٣) وهم سحِبَ أى فى الكرم ، وهم شعل أى كالنار فى استئصال أعدائهم .

والإشادة بها تكاد تكون أحدَ شَطْرَي ما يتمدحون به وينوهون بفضله ،  
أما الشطر الآخر فهو الجود والكرم ، وبحبك بهاتين الخلتين ، وإنهما  
دعامتا سائر الفضائل ، ولنجزئ بهذا المقدار وإن كان قَطْرًا من بحرٍ ،

### صدر من عمقرياتهم في وصف آلات الحرب

قال البُحْتَرِيُّ يَصِفُ السِّيفَ :

يَتَنَاوَلُ الرُّوحَ البَعِيدَ مَنَالُهُ عَفْوًا ، وَيَفْتَحُ فِي القَضَاءِ المَقْفَلَ  
مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمَضِّهِ يَدُ فَارِسٍ بَطْلٍ ، وَمَضَقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصَقِّلِ  
يَغْشَى الوَعَى فَالْتَرُسُ أَيْسَ بَجْنَةٍ مِنْ حَدِّهِ وَالدَّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلِ  
مُضَعِّغٍ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى ، فَإِذَا مَضَى

لَمْ يَلْتَفِتْ ، وَإِذَا تَضَى لَمْ يَنْدِيلِ

مُتَأَلِّقٌ يُفْرِى بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَا أَدْرَكَتْ وَلَوْ أَنهَا فِي يَدِ بِلِ  
وَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أُصِيبَ فَمَالَهُ مِنْ مَقْتَلِ  
وَقَالَ عبدُ اللَّهِ بنُ المعْتزِ يَصِفُهُ :

وَلِي صَارِمٌ فِيهِ المَنَابِيا كَوَامِنٌ فَمَا يُبْتَضَى إِلَّا لِسَفْكِ دِمَاءِ  
تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الفِرْنِدَ كَأَنَّهُ بَقِيَّةُ غَيْمٍ رَقَّ دُونَ سَمَاءِ (١)  
وَقَالَ ابنُ الرُّومِيِّ :

خَيْرٌ مَا اسْتَعَصَمَتْ بِهِ الكَفَّ عَضْبٌ ذَكَرَ هَزَهُ أُنَيْتُ المَهْزُ (٢)

(١) فرند الشيف : وشية

(٢) الذكر من السيوف : الشديد الجيد الصارم ، وهزه أنيث المهز يريد : أنه

لين منقاد مطواع مع شدته



مَا تَأَمَّلْتَهُ بِعَيْنِكَ إِلَّا أُرْعِدْتَ صَفْحَتَاهُ مِنْ غَيْرِ هَزٍّ  
 مِثْلُهُ أَفْزَعَ الشُّجَاعَ إِلَى الدَّرِّ عَ فَعَالَيَ بِهَا عَلَى كُلِّ بَرْ (١)  
 مَا يُبَالِي أَصَمَّتْ شَفْرَتَاهُ فِي مَحْزٍ أَمْ حَادَاتَا عَنْ مَحْزٍ  
 وَلَمَا صَارَ الصَّمَامَةُ سَيْفُ عَمْرُو بْنِ مَعْدِيكَرَبَ إِلَى مُوسَى الْهَادِي  
 أذِنَ لِلشُّعْرَاءِ أَنْ يَصِفُوهُ ، فَبَدَأَهُمُ ابْنُ يَمِينٍ فَقَالَ :

حَازَ صَمَامَةَ الزُّبَيْدِيِّ مِنْ دُو نِ جَمِيعِ الْإِنَامِ مُوسَى الْآمِينُ  
 سَيْفَ عَمْرُو وَكَانَ فِيمَا سَمِعْنَا خَيْرَ مَا أُعْجِدْتَ عَلَيْهِ الْجُفُونُ  
 أَحْضَرَ الْمَتْنَ بَيْنَ حَدِيدِهِ نُورٌ مِنْ فِرْنِدٍ تَمْتَدُّ فِيهِ الْعُيُونُ  
 أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ الصَّوَاعِقُ نَارًا ثُمَّ شَابَتْ بِهِ الدُّعَافُ الْقُيُونُ (٢)  
 فِإِذَا مَا سَأَلْتَهُ بَرَّ الشَّمْسَ ضِيَاءَ فَلَمْ تَكُذْ تَسْتَبِينُ  
 يَسْتَطِيرُ الْإِبْصَارَ كَالْقَبَسِ الْمُشْقَلِ مَا تَسْتَقِرُّ فِيهِ الْعُيُونُ  
 وَكَانَ الْفِرْنِدُ وَالرُّوْنَقُ الْجَا رَى فِي صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينُ  
 وَكَانَ الْمَذُونُ نَيْطَتْ إِلَيْهِ فَهُوَ مِنْ كُلِّ جَانِبَيْهِ مَنُونُ  
 مَا يُبَالِي مَنْ اتَّضَاءُ لَضَرْبِ أَشْمَالٍ سَطَّتْ بِهِ أُمُّ يَمِينُ  
 قَالَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ : وَقَدْ أُخِذَ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ تَشْدِيدُهُ  
 السَّيْفَ بِالشَّمْسِ ثُمَّ بِالْقَبَسِ ، لِأَنَّهُ قَدْ حَطَّهُ دَرَجَاتٍ ... (٣) ،

ولمناسبة عمرو بن معديكرب وصمصامته يُروى أن عمر بن الخطاب  
 بعث إلى عمرو أن يبعث إليه بسيفه الصمصامة ذذا ، فبعث إليه به ، فلما

(١) يقول : إن هذا السيف بلجئ الشجاع إلى أن يقيه بأجود الدروع ، والبز :  
 السلاح يدخل فيه المدرع والمغفر والسيف (٢) الدعاف : السم الذي يقتل من  
 ساعتها ، والقيون جمع قين وهو الحداد وكل صانع (٣) القبس : الجذوة من النار

ضرب به وجده دون ما بلغه عنه ، فكتب إليه في ذلك ، فأجابه يقول :  
 إنما بعثتُ إلى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث له بالساعد الذي يضربُ به .  
 وسأله عمر يوماً عن السلاح فقال : ما تقول في الرُحح ؟ قال : أخوك  
 ورُبَّما خانك فأنقصف ؛ قال : فما تقول في الدتريس ؟ قال : هو المجن  
 وعليه تدور الدوائر ، قال : فالنبل ؟ قال : منايا تُحططُ وتُصيب ، قال :  
 فما تقول في الدرع ؟ قال : مَثَقَلَةٌ للرجال مَشَعَلَةٌ للراكب ، وإنما لحِصْنُ  
 حصين ؛ قال : فما تقول في السيف ؟ قال : هُنالك قارَعَتَكَ أُمك عن  
 الثُّكُلِ<sup>(١)</sup> ؛ قال : بل أُمك اقال : بل أُمك يا أمير المؤمنين ! فعلاه أمير المؤمنين  
 بالدرة ، وقيل : بل قال له — لما قال عمر بل أُمك — قال : أمي  
 يا أمير المؤمنين « الحمى أضرعته لك » أراد : أن الإسلام قيدي ، ولو  
 كنت في الجاهلية لم تُكلمني بهذا الكلام ، وهو مثلُ تضربه العرب إذا  
 اضطرت للخضوع .

ومثل ذلك قول الأغر النهشلي لابنه لما بعثه لحضور ما وقع بين  
 قومه فقال : يا بُني ، كُنْ يداً لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف  
 فإنه ظلُّ الموت ، واتقِ الرُحح فإنه رِشَاءُ المنية ، ولا تقربِ التهام فإنها  
 رُسُلُ تعصى وتطيع ، قال : فبيم أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر :

جلاميدُ أملاء الأكمف كأنها رؤسُ رجالٍ حُلقت في الموائيم

(١) الثكل : الفقد ، وامله يريد : أن يصف السيف بأنه أفتك أنواع الأسلحة  
 وأروعها فسلك إلى ذلك سبيل الكناية فعبر بجملة لازمها يدل على ما يريد أبلغ دلالة  
 إذ يقول : هُنالك — أي إذا ذكر السيف ارتقارعت السيوف ، قارعته أفتك ودافعت  
 عن الثكل والهلاك إشفاقاً عليه ، فإن الإشفاق أعظم ما يكون على المنازل إذا كان  
 السلاح السيف ، لأن ضرباته صائبة قاتلة

فعليك بها وأصقها بالأعقابِ والشوق . « قوله : جلاميد أملاء  
الأكف ... البيت هو أحد أبيات أوردها المبرد وهي :

نُغَطِّي نُمَيْرٌ بِالْعِمَامِ أَوْيَهَا      وكيف يُغَطِّي اللُّؤْمَ طَى الْعِمَامِ -  
فَإِن تَضْرِبُونَا بِالسَّيَاطِ فَإِنَّا      ضَرَبْنَاكُمْ بِالْمَرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ -  
وَإِن تَحْلِقُوا مِنَّا الرُّؤْسَ فَإِنَّا      حَلَقْنَا رُؤْسًا بِاللَّهْمَا وَالغَلَاصِمِ -  
وَإِن تَمْنَعُوا مِنَّا السَّلَاحَ فَعِنْدَنَا      سِلَاحٌ لَنَا لَا يُشْتَرَى بِالدَّرَاهِمِ -  
جَلَامِيدُ أَمْلَاءِ الْأَكْفِ كَأَنهَا      رُؤْسُ رِجَالٍ حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ

« قوله : حلقنا رؤسا : يريد أزلناها بالسيوف ، واللها بفتح اللام  
جمع لهاة وهي لحمه مشرفة على عكدة اللسان ، والغلاصم جمع الغلصمة وهي  
لحمه بين الرأس والعنق ، والجلاميد جمع جلمود وهو الحجر تأخذه بيدك  
وهو بيان لقوله سلاح لنا لا يشتري بالدرهم ،

وقال المعري :

كَأَنَّ أَرَاقِمًا نَفَخَتْ سِمَامًا      عَلَيْهِ فَعَادَ مُبَيِّضًا نَجِيلا  
وَمَنْ تَعَلَّقَ بِهِ حُمَةُ الْإِفَاعِي      يَعِشُ — إِنَّ فَاتَهُ أَجَلٌ — عَلِيلا  
كَأَنَّ فِرْنَدَهُ وَالْيَوْمُ تَحْتُ      أَفَاضَ بَصْفِحِهِ سَجِيلا  
تَرَدَّدَ مَآوُهُ عُلُوقًا وَسُفْلًا      وَهَمَّ فَمَا تَمَكَّنَ أَنْ يَسِيلا  
يَكَادُ سَنَاهُ يُحْرِقُ مَنْ فَرَاهُ      وَيُغْرِقُ مَنْ نَجَا مِنْهُ كُلُولا

« كأن أراقما ... البيت يقول : كأن الحياتِ نفخت السموم على هذا

السيف فصار أبيض ناحلا ، وذلك أن السم موصوف بالبياض ، ومن  
ذكزته الحية ونفخت فيه سمها تحل جسمه ، فجعل البياض في السيف لونا  
للسم والنحافة فعله ، وقوله : ومن تعلق به : البيت لما وصف السيف

بالتحول لما نفثت الأراقم عليه سماءها حقق وجهة نحوه ، وهو أن من خالطه سم الأفاعى هلك فى غالب الأمر ، وإن فاته الهلاك عاش عليلاً ، والليل نحيل الجسم لا تحالة : وقوله : كأن فرندة ... البيت فالفرندة : جوهر السيف وماؤه ، ويوم تحت : شديد الحر ، والسجل : الدلو ، إذا كان فيها ماء ، ولا يقال لها وهى فارغة : سيجل ولا ذنوب ، والسجيل : التضخم العظيم ، يصف بياض السيف وبريقه ، أى كأن جوهر السيف وقد صب بوجهه دلو من الماء فى يوم شديد الحر ، فهو أبيض براق كأنه ماء ، وإنما ذكر شدة الحر لأنه إذا كان اليوم شديد الحر كانت الحاجة إلى الماء أشد ، أو لأن الماء مع إشراق الشمس أشد بريقاً ولمعاناً . وقوله : تردد ماؤه ... البيت لما شبه فرندة السيف بالماء وصفه بأن الماء كأنه يتردد فيه من أعلاه إلى أسفله ومن أسفله إلى أعلاه ، ويهم الماء أن يسيل من صفحته فلا يتمكن من السيلان ، لأنه محصور فى أجزائه ، وقوله : يكاد سناه ... البيت فالسنا : الضوء ، وفراه : قطعه ، وكل السيف والريح يبكل كلولا : إذا نبا عن العمل ، يقول : إن هذا السيف جمع بين النار والماء فهو يحرق من قطعه ويغرق بمائه من كل السيف عنه فتجا منه .

وقال إسحاق بن خفاف :

ألقى بجانب خصره      أهدى من الأجل المتاح  
وكأنما ذرّ الهبا      عليه أنفاس الرياح

وقال النابغة :

نظير فضاضاً بينهم كل قونيس      ويتبعها منهم قرأش الحواجب

تَقْدُ السَّلْوِقِ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتَوْقِدُ الصَّفَاحِ نَارَ الْحَبَابِ  
 « فَضَضْتُ الشَّيْءَ أَضَضُهُ فَضًّا فَهُوَ مَفْضُوضٌ وَفِضِيضٌ : كَسَرْتُهُ وَفَرَّقْتُهُ ،  
 وَفَضَّضْتُهُ وَفِضَّضْتُهُ : مَا تَكَسَّرَ مِنْهُ وَتَفَرَّقَ ، وَالْقَوْنِسُ : مُقَدَّمُ الرَّأْسِ ،  
 وَقَوْنِسُ الْبَيْضَةِ مِنَ السَّلَاحِ : أَعْلَاهَا ، وَالْفِرَاشُ : عَظْمُ الْحَبَابِ ، أَوْ قِشْرَةُ  
 تَكُونُ عَلَى الْعَظْمِ دُونَ اللَّحْمِ ، وَيُقَالُ : ضَرَبْتُ فِطَارًا فِرَاشَ رَأْسِهِ وَذَلِكَ  
 إِذَا طَارَتِ الْعِظَامُ رِقَاقًا مِنْ رَأْسِهِ ، وَالسَّلْوِقُ : الدَّرْعُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى سَلُوقٍ ،  
 وَهِيَ قَرِيبَةٌ بِالْيَمِينِ تُعْرَفُ بِسَاقِيَّتِهَا وَإِلَيْهَا تَنْسَبُ أَيْضًا السُّكَلَابُ السَّلْوِقِيَّةُ ،  
 وَالصَّفَاحُ جَمْعُ صُفَاحَةٍ وَهِيَ : كُلُّ عَرِيضٍ مِنَ الْحِجَارَةِ وَنَحْوِهَا ، وَالْحَبَابِ :  
 الشَّرَرِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنَ الزَّنَادِ يَقُولُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : إِنَّ هَذِهِ السِّيُوفُ  
 تَقْدُ — تَقْطَعُ — الدَّرْعَ الَّتِي ضَوْعَفَ نَسْجُهَا وَالْفَارِسَ وَالْفَرَسَ وَتَصِلُ  
 إِلَى الْأَرْضِ فَتَقْدَحُ النَّارَ بِالصَّفَاحِ » .

وقال البحثري يصف الدرع :

يَمْشُونَ فِي زَرَدٍ كَانَتْ مَتُونَهَا فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ مُتُونٌ مِنْهَا  
 بَيْضٌ نَسِيلٌ عَلَى السُّكَاةِ فَضُوهُهَا سَيْلُ السَّرَابِ بِقَفْرَةٍ بَيْدَاءِ  
 وَإِذَا الْأَيْسَنَةُ خَالَطَتْهَا خِلْتَهَا فِيهَا خَيْالٌ كَوَارِكِبٍ فِي مَاءِ  
 « مِنْهَا جَمْعُ زَيْبٍ ، وَالنَّهْيُ : الْغَدِيرُ »

وقال عبد الله بن المعتز .

كَمْ بَطَلٍ بَارَزَنِي فِي الْوَعْيِ عَلَيْهِ دِرْعٌ خِلْتَهَا تَطْرِدُ  
 كَأَنَّهَا مَاءٌ عَلَيْهِ جَرَى حَتَّى إِذَا مَاغَابَ فِيهِ جَمَدٌ

وقال المتنبي :

تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْسَانِ سَابِقَةً صَوْبُ الْأَيْسَنَةِ فِي أَثْنَانِهَا دِيمٌ

تَحُطُّ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمٌ  
 « يقول في البيت الأول : تمنع الرياح من النفوذ في عُدْوِ الممدوح  
 درعٌ سَابِغَةٌ قَدْ تَلَطَّخَتْ بِالِدَّمَاءِ الَّتِي تَسِيلُ مِنَ الْأَسْتَةِ عَلَيْهَا ، أَوْ أَنْ وَقَعَ  
 الْأَسْتَةُ فِي هَذِهِ الدَّرْعِ كَدِيمَةِ الْمَطَرِ تَتَابَعًا . وَيَقُولُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : إِنْ  
 الرِّيحُ تَوَثَّرَ فِي دَرْعِهِ ، أَيْ نَجَّرَحُهَا ، وَلَا تَنْفُذُهَا إِلَى جِسْمِهِ ، حَتَّى كَأَنَّ  
 أَسْنَتَهَا أَقْلَامٌ تَحُطُّ فِي الْقِرطَاسِ وَلَا تَخْرُقُهُ » . وَقَالَ الْمَعْرِيُّ :

إِذَا طُوِيَتْ فَالْقَعْبُ يَجْمَعُ ثَمَلَهَا وَإِنْ نُثِلَتْ سَالَتْ مَسِيلَ رِمَادٍ  
 وَمَا هِيَ إِلَّا رَوْضَةٌ سَدِكُهَا ذُبَابُ حُسَامٍ فِي السَّوَابِغِ شَادٍ  
 عَلَى أَنَّهَا أُمُّ الْوَعْغَى وَابْنَةُ اللَّظْيِ وَأَخْتُ الظُّبِيِّ فِي كُلِّ يَوْمٍ جِلَادٍ

« الْقَعْبُ : الْقَدَحُ الصَّغِيرُ ، وَنَثَلُ الدَّرْعِ يَنْثَلُهَا : إِذَا أُلْقَاهَا عَلَى نَفْسِهِ  
 وَصَبَّهَا عَلَيْهِ ، وَالثَّمَادُ جَمْعُ ثَمَدٍ وَهُوَ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ . يَقُولُ : إِذَا طُوِيَتْ  
 صَغُرَ حَجْمُهَا بِالطِّيِّ حَتَّى يَسَعَهَا الْقَعْبُ . وَإِنْ لُبِسَتْ سَالَتْ عَلَى الْبَدَنِ  
 كَالْمَاءِ . وَقَوْلُهُ : وَمَا هِيَ إِلَّا رَوْضَةٌ ... الْبَيْتِ ، فَسَدِكُ بِالشَّيْءِ : لَزِمَهُ ، وَشَادٍ  
 يَشْدُو فَهُوَ شَادٍ : إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْغَنَاءِ ، شَبَّهَ هَذِهِ الدَّرْعَ بِالرَّوْضَةِ ،  
 وَالذُّبَابُ يَجْتَمِعُ فِي الرِّيَاضِ وَيُصَوِّتُ فِيهَا ، يَقُولُ : إِنْ هَذِهِ الدَّرْعُ رَوْضَةٌ  
 قَدْ أَوْلَعَ بِهَا ذُبَابُ السَّيْفِ ، وَهُوَ : حَدُّهُ الَّذِي يَتَغَنَّى فِي الدَّرْعِ ، أَيْ أَنَّهَا  
 دِرْعٌ لَا تَزَالُ عَلَى بَطْلِ مُحَارِبٍ تَرُدُّهَا سُيُوفُ الْأَقْرَانِ وَتَقَارِعُهَا فَيُسْمَعُ  
 صَوْتُ وَقْعِهَا . وَقَوْلُهُ : عَلَى أَنَّهَا ... الْبَيْتِ فَالْجِلَادُ : الضَّرَابُ بِالسَّيْفِ ،  
 وَجَعَلَ الدَّرْعَ أُمَّ الْوَعْغَى — أَيْ الْحَرْبِ — إِذْ أَنَّهَا تَجْرِي تَجْرِي الْأَصْلِ  
 وَالْمَلْجَأُ الَّذِي يُلْجَأُ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَهَا ابْنَةُ اللَّظْيِ — أَيْ النَّارِ — لِأَنَّهَا إِذَا  
 نَحَمَلَتْ بِالنَّارِ ، وَأَخْتُ الظُّبِيِّ — جَمْعُ ظُبَّةٍ وَهِيَ حَدُّ السَّيْفِ — إِذْ لَا تَزَالُ

تردها طبات السيوف وتقارنُها ولا تؤثر فيها ، ووصفها بهذه الأسماء المنبئة  
عن القرابات مُريداً بها ما يناسبها من المعنى .

\*\*\*

ولأبي العلاء المعري في الدروع مقطوعات كثيرة ، لقد آفَن فيها اقتنانا ،  
وأبدع ماشاءت عقريته تراها في سقط الزند .

\*\*\*

وإذا أردت التوسع في وصف آلات القتال من السيوف والدروع  
والرماح والقسيّ والنبال وما إلى ذلك فارجع إلى الموسوعات العربية ودواوين  
الشعراء فسوف ترى فيها الظمّ والرّمّ ، مما علّه ينقع عُلتك إن شاء الله .

تمّ الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث إن شاء الله



## استدراكات وتصويبات أخرى

لما وقع في المجلد الأول من الأخطاء

جاء في صفحة ٤٢ من المجلد الأول من الذخائر هذا البيت هكذا :

إذا ظلم المولى فزعتَ لِظُلْمِهِ فحَرَكَ أحشائي وهَرَّتْ كِلابيا

وقد نهنا في تصويبات المجلد الأول : إلى أن فزعت صوابها فزعتُ  
وهنا نحاول أن نشرح هذا البيت شرحاً آخر علاوة على الذي أوردناه هناك في  
شرحه فنقول : قال التبريزي : فحَرَكَ أحشائي يروى « وحَرَكَ أحشائي »  
وهذا كما يقال : هذا أمرٌ قد حرك مِنِّي : إذا اضطربت له ، وقوله :  
حَرَكَ أحشائي يجوز أن يكون تحركت أحشاؤه لِوَجيبِ قلبه وخفقانه ،  
ونبحت كلابه لتهيئته للانتقام وتدججه في السلاح وتجمع أصحابه ، والكلب  
يُنْكِرُ أصحابه إذا رآهم بهذه الحال ، وأنشد الأصمعي في مثله :

أناؤ إذا ما أنكرَ الكلبُ أهلهُ

حَمَوْا جَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءٍ مُظْلِمٍ

ووجه آخر ، وهو أن يكون تحركت أحشاؤه لإعداد ما يُعده .

والمُتَسَرِّعُ يَلْحَقُهُ ذَلِكَ

\*\*\*

وجاء في صفحة ٦٠ : ورأى عُمرُ بنُ الخطابِ رجلاً يقول : أنا ابن

بطحاء مَكَّة ... الخ وصحة هذه الجملة كما جاء في الأغاني ج ٤ ص ٣١٨

طبعة دار الكتب هكذا : وسمع عُمرُ بنُ الخطابِ رضى الله عنه رجلاً يقول

لآخر يُفخِرُ عليه : أنا ابنُ مُسَلِّطِ حِجْرِ البِطَّاحِ ، وابن كذا وكذا ، فقال له



عمر : إن كان لك عقل فلك أصل ، وإن كان لك خُلُق فلك شرف ،  
وإن كان لك تقوى فلك كرم ، وإلا فذاك الحمار خيرٌ منك ؛ أحببكم إلينا  
قبل أن نراكم أحسنكم سَمَنًا ، فإذا تكلمتم فأيدئكم منطِقًا . فإذا اخبرناكم  
فأحسنكم فعلاً .

\*\*\*

وجاء في صفحة ٧٩ من المجلد الأول : وقال حمادُ عَجْرَدٍ في ذلك  
من أبيات : بُثَّ النَّوَالِ وَلَا تَمْنَعَكَ قِلَّتُهُ الخ ، وصوابه هكذا : وقال بشار  
ابن برد يهجو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان قد  
سَمَّنَحَهُ فلم يَمْنَحَهُ :

ظَلَّ الْيَسَارِ عَلَى الْعَبَّاسِ تَمْدُودُ	وَقَابَهُ أبدأً فِي الْبُخْلِ مَعْقُودُ
إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ	حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ مَجْهُودُ
وَلِلْبَخِيلِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلُّ	زُرُقُ الْعَيْونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سَوْدُ
إِذَا تَكَرَّهْتَ أَنْ تُعْطِيَ الْقَائِلِ وَلَمْ	تَقْدِرْ عَلَى سَعَةِ لَمْ يَظْهَرَ الْجُودُ
أَوْ رِقِّ بَخِيرٍ تُرْجَى لِلنَّوَالِ فَمَا	تُرْجَى الثَّمَارُ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُودُ
بُثَّ النَّوَالِ وَلَا تَمْنَعَكَ قِلَّتُهُ	فَكُلِّ مَاسِدًا فَقْرًا فَهُوَ مَجْمُودُ

\*\*\*

وجاء في صفحة ١٢١ هذا البيت هكذا :

وما خُبْرُهُ إِلَّا كَعَنْقَاءِ مُغْرِبٍ      تَصَوَّرُ فِي بُسْطِ الْمُلُوكِ وَفِي الْمَثَلِ  
وصوابه هكذا :

وما خُبْرُهُ إِلَّا كَعَنْقَاءِ مُغْرِبٍ      تَصَوَّرُ فِي بُسْطِ الْمُلُوكِ وَفِي الْمَثَلِ

وهو أحد أبيات لابي نواس يهجو بها إسماعيل بن سهل وقيل هذا

البيت :

على خُبزِ إسماعيلَ وافيةُ البُخْلِ      فقد حَلَّ في دارِ الأمانِ من الأكلِ

وبعدہ :

يُحَدِّثُ عَنْهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ      سَوَى صُورَةٍ مَا إِنَّ تُمِرُّ وَلَا تُحَلِي  
إلى آخر الأبيات . والمثلُ هو المثلُّ جمع ، يمثال وهو : ما يُفَسِّرُشُ مِنْ مَفَارِشِ  
الصَّوْفِ الْمُلوْتَةِ ، وقوله : يُحَدِّثُ عَنْهَا النَّاسُ ... انضمامها لنعناء مغرب ،  
وقوله : ما إن تُمِرَّ وَلَا تُحَلِي : قمر : تجمله مرا وتحلي : تجمله حلوا والمعنى :  
لا تأتي هذه الصورة بطائل إذ أنه لا حقيقة لنعناء مغرب في الواقع وهذا  
على حد قولهم : فلا أنت حُلُو ولا أنت مُر : أي لست هناك »

\*\*\*

وجاء في صفحة ١٢٤ : فهي حق أريد بها باطل ، وصوابها : فهي حق أريد

به باطل .

\*\*\*

وجاء في صفحة ١٥٩ : ولي حُرُّ النعم . وصوابها . ولي حُرُّ النعم

\*\*\*

وجاء في صفحة ٣١٥ : لم يَدْخُلْهُ ياذنى فأخْرِجْهُ ياذنى . وصوابها :

لم يَدْخُلْهُ ياذنى فأخْرِجْهُ ياذنى .

وجاء في هذه الصفحة : قال ابن عباس رضى الله عنه ، وصوابها قال ابن

عِيَّاش رضى الله عنه ، « وهذا ابن عياش هو أبو بكر بن عياش المُحَدِّثُ

المتروفي سنة ١٩٣ هجرية وقد ترجم له ياقوت في معجم الأدباء « ج ٧ ،

وقد وردت فيه حكايتهما هكذا : قال أبو بكر بن عياش : كنت إذا أنا شابٌ إذا أصابتنى مُصيبةٌ ، تصبّرتُ ورَدَدْتُ البكاء ، فكان ذلك يوجعني ويزيدني الماء ، حتى رأيت بالكناسة — محلة بالكوفة — أعرابياً واقفاً وقد اجتمع الناس حوله فأشدد :

خليلي عوجاً من صدور الرواحل      بجهورٍ حُزويٍّ وأبكيا في المنازلِ  
لعلَّ انحدارَ الدَّمعِ يُعقِبُ راحةً      من الوجدِ أو يَشْفِي نجيَّ البلايلِ  
فسألت عنه فقيل : ذو الرِّمة ، قال : فأصابتني بعد ذلك صائبٌ فكنت أبكي  
فأجدُ راحةً ، فقلت في نفسي : قاتل الله الأعرابي ، ما كان أبصره وأعلمه !



## أغلاط مطبعية

في هذا الجزء الثاني

صواب	خطأ	ص	سطر
وفي باب الغرم	وفي باب الغرم	٧	١٢
فِيصِيرُكَ	فِيصِيرُكَ	١	٤٤
حَسَنُ الكِدْنَةِ - بكسر الكاف	حَسَنُ الكِدْنَةِ	٤	٤٦
وضمها - : أي السَّمَن			
فكأنها	فكأنه	٢٠	٤٨
عَلَّتَهُ	عَلَّتُهُ	٢٠	٦٠
عُلُوُّ	عُلُوُّ	١٢	١٠٠
فإن يكُ حُرْم	فإن يكُ حُرْم	١٤	١٢١
قال زُفَر بن الحارث	قال من لا أذكر اسمه	١٥	١٢٢
سطر أجنبي عنهما			
الشاعر البَغَاء	الشاعر البَغَاء	١٣	١٦٨
نهم عن الغضب من المرح	نهم عن الغضب في المرح	١١	١٨٤
أَيَّ يَوْمِيَّ	أَيَّ يَوْمِيَّ	١٠	٢٢٩
وانجلى الزُّبْدُ	وانجلى الزُّبْدُ	١٧	٢٤٠
إنِ العَدُوَّ	إنِ العَدُوَّ	٨	٢٤٤
بيد أن ميناها	بيد أن معناها	٥	٢٤٧
سحاب	سحاب	٤	٢٥١

## فهرس الجزء الثاني

### من الذخائر والعقريات

#### عقريات شتى

#### تندرج في الابواب السابقة

سمر أخلاق الخلفاء الراشدين ٢ طلحة بن عبيد الله ٣ حادث ثلاثي فيه الكرم بالشجاعة والمروءة  
والحياء والتبيل ٧ حلم وأدب وسمو خلق ٩ خير ما برزقه العبد ١٠ لاتزال العرب عربا ما حافظت  
على زيتها ١٠ توفيق العالم والشريف والكبير ١١ عبرة ١٤ لاتشك إلى غير الله ١٥ نبالة  
وسرورة ١٥ دعوة الله ١٦ كلمات في السؤال ١٦ كما وبرون أن الملوك لا يستحق من مسألته ١٦  
مثل في الرياء ١٨ المم نصف المرم ١٩ مثل الدنيا وآفتها ١٩ عمرو بن العاص يصف حاله في  
احتضاره ٢٠ ماذا قال عبد الله بن الزبير حين آتاه خبر مقتل أخيه المصعب ٢١ إذا ضيقت شيئا  
ضاق جداً ٢٢ لاتلهون على ما فانك ٢٢ ومن قولهم في الحث على التعزى ٢٣ لكل غد طعام ٢٤  
الثام مولعون بايذاء الكرام ٢٥ آيات في الصبر والشجاعة والكرم ٢٦ آيات حكيمة ٢٧  
آيات من لم يرها فلا مروءة له ٣٠ حكم ومواعظ ٣٢ في الموت ٣٥

#### طائفة من عقرياتهم في النعازى

التسليية بمد وقوع المخذور ٣٧ من دواعى التسلى قرب الاحوق بالميت ٣٨ من تعازى الملوك  
وتسليمهم بأن الناس جميعاً مصابون ٣٨ التسلى بأنهم معزى لامعزى به ٣٩ التسلى عن معنى بمن بنى ٣٩  
من تسلى بماله من الثواب وبعض تعازيهم ٤٠ من مات له كثير من أهله فصبر ٤١ ومن ادعيتهم  
لذوى المصيبة ٤٢

#### عقرياتهم في الطب والمرض وعبادة المرضى

معنى الطب ٤٢ وصف طبيب حاذق ٤٢ الطبيب الجمال ٤٣ مدح الحية وذمها ٤٣ شرب  
الدواء ٤٤ سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره ٤٥ من تناول طعاما وتحقق تولدعة  
منه ٤٧ الحمى ٤٨ الرمد ٥٠ الثفرس ٥١ عود إلى عقرياتهم في السدائى والأدوية ٥١  
شهرة المريض إلى الطعام ٥٢ شكوى العلة ٥٢ فضل الصحة والعافية ٥٣ نفع المرضى ٥٤  
وصف العلة بأنها تنال الأمان ٥٤ وجوب عبادة المريض ٥٦ أدب عبادة المريض ٥٦ شكاية  
من لا يعود إخوانه ٥٧ الاعتذار عن ترك العبادة ٥٧ من علاه مرضه ٥٧ مريض عاد صحيحا ٥٨  
حسب العائد على تنقيط المريض ٥٨ حنهم على تخويفه ليتجنب الميئيل ٥٨ تغير اللون ٥٨ تهنئة  
من برأ من المرض ٥٩ نفدية المريض ٦٠

عقبريات شتى  
٦١ { في الطب والمرض والعبادة

## الباب الرابع في كتمان السر وإفشائه

وعقبرياتهم في ذلك وفيما يجرى هذا المجرى

من الشورى والاستبداد بالرأى والنصح والإناة والعجلة

تمهيد ٦٤ حفظ اللسان ٦٥ منع إظهار السر قبل تمامه ٦٦ حثهم على حفظ السر ٦٦ من يكره إعلانه على السر ٦٧ المتفخر بحفظ السر ٦٨ المدح بحفظ السر ٦٨ صعوبة حفظ السر ٧٠ من لا يحفظ مره ويحتفظه غيره ٧٠ الأحوال التي يفشو فيها السر ٧١ المساررة في المحافل ٧١ التبعج باظهار أمرار أصدقائه ٧٢ الرخصة في إفشاء السر إلى الصديق ١٢ عقبريات شتى في كتمان السر ٧٣ عقبرياتهم في المشورة والاستبداد بالرأى ٧٦ مدح المشورة ٧٦ حثهم على مشاورة الحازم اللبيب ٧٧ استشارة الكبار والصغار ومن يعتمد على مشورته ورويته ٧٨ من يجب أن يختار استشارته ٨١ وجوب نصيحة مستشيرك ٨١ الحث على قبول النصح وإن كان مرأ ٨٣ عتاب من لم يقبل النصح ٨٣ ضياع النصح لمن لا يقبله ٨٣ معاتبة من يستنصح الناس ويستنصح الناس ٨٤ النصيحة منهم ٨٥ وصف غاش في نصحه ٨٦ الاستبداد وكره المشورة ٨٦ المتفادى من أن يستشار ٨٨ مدح الإناة والرؤية وذم العجلة ٨٨ مدح العجلة وانتهاز الفرص ٩٠ عقبريات شتى في المشورة ٩١

## عقبرياتهم في الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

نهي من لم يعظ عن الوعظ ٩٥ حثهم على الوعظ بالفعال دون المقال ٩٥ التلطف واللين في الوعظ ٩٦ الحث على الانماط ٩٦ وعظ من لا يعظ ٩٦ حثهم على قبول وعظ من ليس يعظ ٩٧ النهي عن الاقتداء بذوى الزلات ٩٧ الحث على الأمر بالمعروف والحال التي يجوز فيها ٩٧

## الباب الخامس

في الحلم وكظم الغيظ والغفو والغضب والانتقام وما إلى هذه المعاني

تمهيد ١٠٠ المدح بالحلم وتمدهم به ١٠٢ فضل كظم الغيظ ١٠٤ الغضب والوانه وما يمكن به ثوراته ١٠٥ من اجتهد في إغتيابه فحلم ١٠٧ حثهم على ترك الغضب المؤدى إلى الاعتذار ١٠٩ حثهم على اتصام عن التبعج وتمدهم بذلك ١١٠ حثهم على الغفو مطلقا ١١٠ التحلم عن الخدم ١١١ الرحمة ومدح ذريها ١١٢ ما يستحسن فيه الحلم من الكبار وما يستنصح ١١٢ حثهم على در الحدود ١١٣ حث القادر على الغفو ١١٣ ذم المتشفي من الغيظ ١١٤ مدح من صفح =

قدرة ١١٥ الحث على إقالة من سلم ظاهره ١١٥ العفو عن سلم باطنه ١١٦ عتب من يحفظ الذنب بعد تقادمه ١١٧ العفو عن المقر المعترف ١١٧ حسن العفو عن الصر ١١٨ استعفاء من خلط إقراراً بانكار ١١٨ معتذر مع إنكار ١١٩ معتذر بشكيب نفسه ١٢٠ استعفاء من زعم أن ذنبه كان خطأ ١٢١ مستغف سأل أن يقوم ويؤدب ١٢٢ مستغف سأل العفو لفرط خوفه ١٢٢ مستغف انكل على سالف حرمة ١٢٢ الاستعفاء للذنب من قوم محسنين ١٢٣ متوصل إلى العفو بمراجعة أو حجة ١٢٣ مستغف ذكر فرط خوفه من الوعيد ١٢٣ من استغف واستوهب معاً ١٢٤ المتوصل إلى العفو بالثبوت إلى حين التبيين ١٢٥ نهى العاقب عن اثتريب ١٢٥ نهيم عن الاعتذار وصعوبته ١٢٦ تأسف من يعاتب بغير ذنب ١٢٧ التهي عن الحلم إذا كان بسبب ذلاً أو ضراً ١٢٨ دفع الجهل بالجهل ١٢٩ من نهى عن الاعتزاز بحلمه ١٣٠ الحلم مفر وضار مذل ١٣٠ نهيم عن إكرام اللتام ١٣١ الاستعانة بالجهل لدى الحاجة إليه ١٣٢ حث القادر على العقاب قبل فوته ١٣٢ التبيج بقسوة القلب وقلة الرحمة ١٣٣ أخذ البريء بذنب الجاني ١٣٤ عذر من بدر منه سخط ١٣٨ الاحتراس من غرس العداوة ١٣٨ نهيم عن الاعتزاز بالود تسيطن معه العداوة ١٣٩ نهيم عن السكون إلى من تقدم منك إليه إساءة ١٤٢ نهيم عن احتقار العدو ١٤٣ التبيج باظهار اللبان وإضمار العداوة ١٤٤ المدو يكاشرك إذا حضرك ١٤٥ من نظره بنج عن عداوته ١٤٥ ثبات العداوة الذاتية ١٤٧ حمد المداجة طلباً للفرصة ١٤٧ المسرة بوقوع الداء بين أعدائك ١٤٨ ذنب يعاديك بلا سبب ١٤٨ تأسف من يعاديه لئيم أو ذنب ١٤٨ حثهم على العداوة بالقول لا بالفعل ١٤٩

## طائفة من عقرياتهم

في الناس وما جبل عليه السواد الأعظم  
من الحقد والحسد وسوء الظن والشتمة وما جرى هذا المجرى

الناس - لا يزال الناس بخير ما تابوا ١٤٩ وجدت الناس أخبر قله ١٥١ الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة ١٥١ لوتكاشفت مائدانتم ١٥٢ تفاريق في الناس وأروانهم ١٥٢ القوغاه ١٦١ فلة الرقاء في الناس وشروع القدر والمنكر في عامتهم ١٦٣ الأندال واللتام ١٦٦ الظن ١٦٨ الشتمة ١٧٠ الحقد ١٧٠ ذم الحقد ومدحه ١٧١ الحسد ١٧٤ المزاج ١٨٢ نهيم عن المزاج ١٨٢ حدم القصد في المزج ومزاج الأمائل ١٨٣ نهيم عن الغضب من المزج ١٨٤ المدوح بأن فيه الجمد والهزل ١٨٤ عذر من يضحك وهو محزون ١٨٥ نهيم عن كثرة الضحك ١٨٥ إيراد جد في مسلك هزل ١٨٥ صدر من عقرياتهم في الغيبة والنميمة - حقيقة الغيبة ١٨٦ ذم الغيبة والنميمة ١٨٦ من سمحت نفسه بأن يكون في حل ومن لا تسمح نفسه ١٨٨ من قلت مبالاته بمن اغتابه ١٨٨ ذم ناقص بغتاب فاضلاً ١٨٩ من رمى غيره بعيبه ١٩٠ اغتباب المرء غيره يدل على عيبه ١٩٠ تشهي النميمة واستطابتها ١٩١ من اغتتاب فاعتيب ١٩٢ نهيم عن الاصفاء إلى الغتاب ١٩٢ المدوح بصيانة مجلسه عن النميمة ١٩٢ حثهم على الثبوت فيما يسمع من السعاية ١٩٢ صعوبة التخلص من اغتباب الناس ١٩٥ ذم ناقص الغيبة ١٩٦ الموصوف بالنميمة ١٩٦ من اغتتاب غيره فراه ١٩٦ من لا يعوم اغتياه ١٩٧ حثهم على التحرز عما يقتضى الغيبة ١٩٧

## الباب السادس

### في التواضع والكبر وما إليهما

حدالتواضع والكبر ١٩٨	حتم على التواضع ٢٠٠	ذمهم التكبر ٢٠٣	بعضدواعى التكبر ٢٠٤
متكبر دق أو فقير ٢٠٥	مدحهم معرفة الرجل قدر نفسه وذمهم الصلف وبعض نواذر المزهون ٢٠٥		
معتذر لعجبه وعزته ٢٠٧	اتكبر على ذوى الكبر ٢٠٧	ذمهم الافراط فى التواضع ٢٠٨	حد
تعظم الكبار ٢٠٨			

## الباب السابع

### في الشجاعة وعقوباتهم فيها

#### وفى الصبر فى القتال وسائر ما يتصل بالحرب

حقيقة الشجاعة ٢١٠	الاسباب المنجمة ٢١١	حتم على الثبات والاقدام ونهيم عن الاحجام
والفكر فى العواقب ٢١٢	البادر إلى الحرب غير مبال بها ٢١٥	حت من دعى إلى المبارزة على
الاجابة ٢١٦	النازل وقت المنازلة ٢١٦	صدر من عقوباتهم فى الصبر ٢١٧
المدعة والحيلة	واتحز فى الحرب ٢٢٠	ما ينبغي أن يتصف به أمراء الجيوش ٢٢٢
حتم على التفكير قبل	اتقدم ٢٢٧	من يؤثر الموت فى العز على الحياة فى الذل ٢٢٨
نهيم عن مخافة القتل وحتم على تصور	الموت وتمدحهم بذلك ٢٢٩	الجود بالنفس وحب الموت فى الوغى وأنفتهم من الموت على الفرائس ٢٣٤
من يحوض الحرب لا بد أن يوطن نفسه على الموت ٢٣٨	فى القتل حياة ٢٣٨	تأثير الخوف والخوف
منه والموفى على الجماعة ٢٣٩	المدوح بقوة نفسه دون جسمه ٢٤٣	انفصد إلى العدى مجاهرة ٢٤٤
المقاتل عن حريمه ٢٤٤	الاستنكف من السلب ٢٤٥	السيان والكهول فى الحرب ٢٤٦
العاجز	أعاده عن إصلاح ما أفسده وعكس ذلك ٢٤٨	من تصعب العايور والسباع فى القتال ٢٤٩
عذر من	يلبس الدروع ونحوها فى الحرب والمستغنى بشجاعته ويؤتبه عنها ٢٥٢	تحريم الملاهى على المحارب ٢٥٤
طائفة من عقوباتهم فى الصلح والتحذير من الحرب ٢٥٦	الحرب تصيب جانبها وغير جانبها ٢٦٠	
المنتع من الصلح ٢٦١	ضارع يطلب الصلح ٢٦٢	المعير بانتهزاه ٢٦٧
ترك اتباع المنهزم ٢٦٨	القار وقت الفرار والثبات وقت الثبات ٢٦٩	المتفادى من حضور الحرب والمنتج لانتهزاه بالخوف من
اقتل ٢٧٠	دارب يعتذر عن هربه ٢٧١	التخلف عن قومه ٢٧٢
من نجا وقد استولى عليه	الخوف ٢٧٣	تسليه المنهزم ٢٧٤
صدر من عقوباتهم فى الجبن ٢٧٥	من يظهر الشجاعة خارج	
الحرب ويحجن فيها ٢٧٧	عقوبات شتى فى الشجاعة والحرب ٢٧٧	ماغزى قوم فط فى عمر دارم
إلا ذلوا ٢٨٢	صدر من عقوباتهم فى وصف آلات الحرب ٢٩٦	استدراكات أخطأ فى الجزء الأول ٣٠٤
استدراكات أخطأ فى الجزء الثانى ٣٠٧	الفهرس ٣٠٨	